المِنْهَاجُ الوَاضِحُ

فتاوى
سماحةِ المرجِعِ الدينيِّ الأعلى آيةِ اللّهِ العظمى السيّدِ الصرخيِّ الحسنيِّ (دامَ ظلّه)

بحوثٌ تمهيديّةٌ وأخلاقيّةٌ

الجزء الثاني

كتاب الطهارة

القسم الثالث

الطهارة

معنى الطهارة:

الطهارة من المعاني الواضحة، وهي تخلّص الشيء ممّا هو من غير سنخه الذي يوجب كراهة الشيء واستقذاره، فيكون على حالته السابقة من وجدان الصفات المرغوبة ذات الفائدة والحسن.

وبحسب طبيعة الإنسان فإنَّ حياته مبنيّة على التصرّف في الماديّات والمحسوسات والاستفادة منها والبلوغ إلى مقاصد الحياة، ولهذا تنبّه الإنسان منذ القِدم وبدأ بتطبيق معنى الطهارة وما يقابلها من النجاسة والتي فيها معنى الرغبة أو النفرة على المحسوسات والماديّات، وبعد ذلك أَخَذَ في تعميمها وتطبيقها في غير المحسوسات أيضًا من المعقولات ونحوها بملاحظة أصل معنى الرغبة أو النفرة فيها كالعقائد والأخلاق والأفعال والأحكام والأقوال وغيرها.

والشارع المقدّس بحكمته ورحمته ورغبته في تحقيق المجتمع المتكامل الآمن والفرد المتوازن الصالح، أخذ وأكّد على توسيع معنى الطهارة والنجاسة وعممهما للمحسوسات والمعقولات والمعارف والأحكام وغيرها، حتى استعمل عددًا من الألفاظ غير الطهارة والنجاسة قريبة من معناهما، كالنظافة والنزاهة والقدس والسبحان ويقابلها ألفاظ كالقذارة والرجس والرجز، فمثلًا في المحسوسات اعتبر العديد من الأشياء نجاسات كالدم والبول والغائط والمني والميتة والكلب والخنزير وغيرها، وحكم بوجوب اجتنابها في الأكل والشرب والعبادة كالصلاة، وفي الجانب العبادي اعتبر الإشراك بالله- أي الشرك- الجلي من النجاسات بل هو النجاسة الكبرى، فأمرَ بالتوحيد وأعطى وأرشد إلى الأدلة والبراهين الوجدانيّة والعقليّة لإثبات التوحيد، وأكد على الاستعانة بالله وحده والتوكّل عليه والتوجّه إليه، وفي الجانب العبادي لتعميق الغريزة الإيمانيّة، اعتبر الشارع المقدّس عدم امتثال الأحكام الشرعية أو التهاون في امتثالها من النجاسات، وكذلك اعتبر ميل النفس إلى التفسيرات الماديّة لعلل الأحكام من النجاسات؛ ولهذا حثَّ الشارع المقدّس وأمرَ بامتثال الأوامر الشرعيّة وعدم التهاون فيها، وحثَّ على المبادرة والإسراع إليها وفي نفس الوقت جعل الغيبيّة في العديد من العبادات وأجزائها ومنها الطهارة لتعميق الإيمان وترسيخه، وإضافة لذلك اعتبر الاتصاف بالأخلاق الرذيلة والدنيئة من النجاسات، فحثَّ على الابتعاد عن سفاسف الأمور ورذائلها والاتصاف بالأخلاق الفاضلة الحسنة.

عِلَل وعِبَر

بعد أن تعرضّنا لبعض الآداب المعنويّة للطهارة في القسم الأوّل من كتاب الطهارة، وبعد أن نكون قد أخذنا العِبرة والعظة من ذلك ومن بحث الرحيل إلى الآخرة في القسم الثاني، فإنّنا نتعرّض وبشكل إجمالي ومختصر لبعض العِبر التي يمكن استفادتها من أحكام النجاسات والمطهّرات، ولا ننسى أنّنا ذكرنا الهدف الرئيس من العبادات وهو تكامل الإنسان الجسدي والنفسي والروحي وتوفير الأمان والاستقرار بعد أن تسود حالة المحبّة والرحمة والتعاون والإيثار بين بني البشر، ولتحقيق ذلك عمد الشارع المقدّس وضع الإرشادات والأحكام الشرعيّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة بأساليب مختلفة ومتنوّعة تغطّي جميع جوانب الحياة الفرديّة والاجتماعيّة، وفي كتاب الطهارة لم يقتصر الشارع المقدّس على الطهارة الظاهريّة بل تعدّى إلى الطهارة الباطنيّة النفسيّة والروحيّة، حيث أرشدَ المولى إلى تجريد الباطن من النجاسات المعنويّة المختلفة، وإلى تقديس وتزكية وتطهير الأفكار والأعمال والسلوك، وأرشد لهذا وأكد عليه من خلال إلفات الناس إلى بعض العِلل والحِكَم والعِبر من الأحكام (فمثلًا) يؤكد الشارع على خطورة الأمراض النفسيّة والروحيّة وعِظم تأثيرها على سلوك الإنسان والمجتمع، من خلال الإشارة والإرشاد إلى أنّ سوء الخلق ونتن رائحته وقذارته يُخرج الإنسان من الإسلام بل من الإنسانيّة، فيكون كالبهيمة وأشد كفرًا ونفاقًا، ومن خلال الإشارة والإرشاد إلى المتنجّسات والنجاسات يمكن تطهيرها أو التطهّر منها بوسائل مختلفة كالماء والتراب، بينما الكافر والمنافق وقلبه ونفسه لا تطهر بالماء والتراب بل بالإسلام والإيمان ومكارم الأخلاق، وطلب المولى من العبد أنّ يكون كالماء الصافي في عبادته وأفعاله وسلوكه، يغسل الظاهر والباطن، شامل المنفعة للفرد والمجتمع،

فعن الإمام الصادق(عليه السلام): «قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ... ﴿وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيّ﴾ كما أحيا اللهُ (بالماءِ) كلَّ شيء من نعيم الدنيا، كذلكَ برحمتِه وفضلِه جعلَه حياةَ القلوبِ والطاعاتِ»[1].

وقال (عليه السلام): «ولتكن صفوتُكَ معَ الله تعالى في جميع طاعاتِكَ كصفوةِ الماءِ، حيثُ أنزلَهُ من السماء وسمّاهُ طَهورًا، وطهّرْ قلبَك للتقوى واليقينِ عندَ طَهارةِ جَوارحِكَ بالماء»[2].

---

[1] مصباح الشريعة، المنسوب للإمام الصادق عليه السلام ١٢٨؛ بحار الأنوار للمجلسي، ج٧٧، ص٣٤٠؛ جامع السعادات للنراقي، ج٣، ص٢٥٢.

[2] مصباح الشريعة، ١٢٩؛ جامع السعادات، ج٣، ص٢٥٣.

وقال (عليه السلام): «وتفكّرْ في صفاءِ الماءِ ورقّتِه وطهورِه وبركتِه ولطيفِ امتزاجِه بكلِّ شيءٍ، واستعملْهُ في تطهيرِ الأعضاءِ التي أمرَكَ اللهُ تعالى بتطهيرها... ثمَّ عاشرْ خَلْقَ اللهِ كامتزاجِ الماءِ بالأشياءِ يؤدّي إلى كلِّ شيءٍ حقَّهُ ولا يتغيّرُ عن معناه، معتبرًا لقولِ رسولِ اللهِ (صلى الله عليه وآله): [مَثَلُ المؤمنِ الخالصِ كمَثَلِ الماءِ]»[٣].

وإليك بعض العِلل أو الحِكَمْ والعِبر المستفادة من أحكام هذا القسم من كتاب الطهارة:

١ـ البول والغائط:

الحكم بنجاسة البول والغائط وفيه:

أولًا: إلفات وإرشاد إلى العفّة وعدم الشره، فإنّ مصير الإفراط بالطعام والشراب والإفراط بالحصول عليه حتّى بالطرق المحرّمة مصيرهُ إلى هذه النجاسة من البول والغائط، وقد أشار إلى مساوئ الشره والإفراط في شهوات المأكل والمشرب ما ورد:

(أ) عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ البطن إذا شبع طغى»[٤].

(ب) عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ الله يبغض كثرة الأكل»[٥].

(جـ) عن صادق آل محمد (عليه السلام): «كُل داء من التخمة»[٦].

ثانيًا: وفيه أيضًا إرشاد إلى علاج آفة العُجب والتكبّر، فالذي يحمل مثل هذه النجاسات والذي يجهد نفسه للتخلّص منها لأنّ في بقائها الضرر الصحي الجسدي والنفسي، لا يوجد أيّ مبرر لعجبه وكبره بل عليه أن يكون مؤدّبًا ومتواضعًا، وقد نهى الشارع المقدّس عن العجب واستعظام الإنسان نفسه كما ورد:

(أ) عن الإمام الصادق (عليه السلام): «منْ دخلهُ العُجُب هلك»[٧].

(ب) عن الإمام الصادق (عليه السلام): «قال إبليس(لعنه الله) لجنوده: إذا استمكنت من ابن آدم في ثلاث لم أُبالِ ما عمل، فإنّه غير مقبول منه: (١) إذا استكثر عمله (٢) ونسي ذنبه (٣) ودخله العجب»[٨].

---

[٣] بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣٤٠.

[٤] من لا يحضره الفقيه للصدوق، ج٣، ص٣٥٦؛ وسائل الشيعة للحر العاملي، ج٢٤، ص٢٤٢.

[٥] الدعوات للراوندي، ص١٣٩؛ وسائل الشيعة، ج٢٤، ص٢٤٠.

[٦] المحاسن للبرقي، ج٢، ص٤٤٧، الكافي للكليني، ج٦، ص٢٩٦.

[٧] الكافي، ج٢، ص٣١٣؛ شرح أصول الكافي للمازندراني، ج٩، ص٣٣٤.

[٨] الخصال للصدوق، ص١١٢؛ روضة الواعظين للفتال النيسابوري، ص٣٨١.

٢ـ المني:

إنَّ الحكم بنجاسة المني:

أولًا: يُرشد إلى علاج العديد من الآفات الأخلاقية منها العجب والتكبر، حيث لا يعقل ذلك من إنسان أصله المني النجس فعليه أن يكون متواضعًا، وقد ذكرنا نهي الشارع عن العجب، وإليك بعض ما صدر بخصوص التكبّر:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَلا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٩].

(ب) قوله تعالى: ﴿وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبالَ طُولًا﴾[١٠].

(جـ) قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[١١].

(د) عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: «مرَّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) على جماعة، فقال (صلى الله عليه وآله): على ما اجتمعتم؟

فقالوا: يا رسول الله، هذا مجنون يصرع، فاجتمعنا عليه،

فقال (صلى الله عليه وآله): ليس هذا بمجنون، ولكنّه المبتلى،

ثمّ قال (صلى الله عليه وآله): ألا أخبركم بالمجنون حقّ المجنون؟

قالوا: بلى يا رسول الله (صلى الله عليه وآله).

قال (صلى الله عليه وآله): المتبختر في مشيه، الناظر في عطفيه، المحرّك جنبيه بمنكبيه، يتمنّى على الله جنته وهو يعصيه، الذي لا يؤمن شرّه، ولا يرجى خيره، فذلك المجنون وهذا المبتلى»[١٢].

(هـ) عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه زين العابدين (عليهم السلام): «وقع بين سلمان الفارسي وبين رجل كلام وخصومة، فقال له الرجل: من أنت يا سلمان؟

فقال سلمان (رضي الله عنه): أمّا أوّلي وأوّلك فنطفة قذرة، وأمّا آخري وآخرك فجيفة منتنة، فإذا كان يوم القيامة ووضعت الموازين، فمن ثقل ميزانه فهو الكريم، ومن خفَّ ميزانه فهو اللئيم»[١٣].

---

(٩) سورة لقمان، الآية: ١٨.

(١٠) سورة الإسراء، الآية: ٣٧.

(١١) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(١٢) الخصال، ص٣٣٢.

(١٣) أمالي الصدوق، ص٧٠٨؛ تفسير نور الثقلين للحويزي، ج٥، ص٦٦٠.

ثانيًا: يرشد إلى التحلّي بالعفّة والتخلّي عن الشره؛ وذلك بملاحظة أنّ الإفراط في اتّباع الشهوة الجنسيّة الحيوانيّة والانقياد لها هو انقياد لتلك المادة القذرة النجسة، وقد تحدّثنا سابقًا عن الشره، وفي هذا المقام نشير إلى بعض الموارد الشرعيّة بخصوص العفّة والامتناع والترفّع عمّا لا يحلّ من شهوات البطن والجنس، والتحرر من عبودية تلك الشهوات التي تقوده كالبهائم:

(أ) عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): «أكثر ما تلج به أمتي النار، الأجوفان: البطن والفرج»[١٤].

(ب) عن الإمام الباقر (عليه السلام): «ما من عبادة أفضل عند الله من عفّة بطن وفرج»[١٥].

(جـ) قال رجل للإمام الباقر (عليه السلام): «إنّي ضعيف العمل، قليل الصلاة، قليل الصيام، ولكنّي أرجو أن لا آكل إلّا حلالًا، ولا انكح إلّا حلالًا.

فقال (عليه السلام) له: {وأيّ جهاد أفضل من عفّة بطن وفرج}»[١٦].

٣ ـ الدم:

إنّ الحكم بنجاسة الدم:

أولًا: يشير إلى ما يحمله الإنسان من نجاسة تمثّل عصب الحياة لجسد الإنسان، وفي هذا إرشاد إلى التخلّي عن العجب والكبر والتحلّي بالتواضع واحترام الناس وعدم الترفّع عليهم، وقد أشار المولى الشرعي إلى هذه الفضيلة الخلقيّة في موارد منها:

(أ) قوله تعالى: ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١٧].

(ب) عن المصطفى الأمجد (صلى الله عليه وآله): «إنّ أحبكم إليَّ، وأقربكم مني يوم القيامة مجلسًا، أحسنكم خُلُقًا، وأشدكم تواضعًا، وإنّ أبعدكم مني يوم القيامة، الثرثارون وهم المستكبرون»[١٨].

(جـ) عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّ في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبّر وضعاه»[١٩].

---

[١٤] الكافي، ج٢، ص٧٩؛ جامع أحاديث الشيعة للبروجردي، ج١٤، ص٢٧٩.

[١٥] مستدرك سفينة البحار لعلي النمازي، ج٧، ص٢٨٧؛ موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام) لهادي النجفي، ج٧، ص٢١٠.

[١٦] المحاسن، ج١، ص٢٩٢.

[١٧] سورة الشعراء، الآية: ٢١٥.

[١٨] قرب الإسناد للحميري القمي، ص٤٦؛ بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٨٥.

[١٩] كتاب الزهد للحسين بن سعيد، ص٦٢؛ مشكاة الأنوار للطبرسي، ص٤٠١.

ثانيًا: فيه تحذير من إبليس ووسوسته ومداخله العديدة إلى النفس؛ لأنّه ووسوسته تجري في نفس الإنسان وقلبه كجريان الدم في عروقه حيث يصل الدم إلى جميع أنحاء الجسد بصورة عامّة، وهكذا إبليس ومطاياه توسوس للإنسان في كلّ زمان ومكان وحال، فعلى كلّ إنسان الحذر الشديد الدائم من مكائد إبليس وشباكه.

٤ـ الميتة:

إنّ الحكم بنجاسة الميتة فيه:

أولًا: الإرشاد إلى مصير الإنسان ونهايته المحتومة في الموت وكونه سيؤول إلى جثة نجسة نتنة يبتعد عنه أقرب إنسان، وبهذا تأديب واضح على التواضع وعدم العجب والكبر.

ثانيًا: إنّ ابتعاد الناس حتّى الأهل والأحباب عن الميت ومسّه، وفي حالة المسّ قبل الغسل يترتّب وجوب الغسل، فبلحاظ هذا ولحاظ تخلّي الأموال والمناصب والأصحاب عنه، إرشاد إلى المصير؛ إلى الوحشة والغربة والوحدة من الدنيا ومتعلّقاتها جميعًا إلاّ العمل، فعلى الإنسان العاقل تقديم زاده من العمل الصالح لمثل هذا اليوم الذي تفيض فيه روحه فيكون العمل قرينه وأنيسه.

٥ـ الكافر:

إنَّ الحكم بنجاسة الكافر فيه إرشاد إلى أنّ النجاسة الباطنيّة القلبيّة والروحيّة أخطر من النجاسة الظاهريّة الماديّة، فالأخيرة يمكن تطهيرها بالمطهّرات الماديّة كالماء والتراب، أمّا ظلامة وكفر القلب ونفاقه فلا يطهر إلّا بالإسلام والإيمان والتخلّي عن رذائل الأخلاق.

٦ـ الكلب والخنزير:

الحكم بنجاستهما فيه:

أولًا: تحذير من الانقياد للقوى الباطنيّة الشهويّة والغضبيّة الحيوانيّة المتمثّلة بخنزير النفس وكلبها.

ثانيًا: تحذير من التعامل والموادّة مع المنافقين والكافرين من اليهود الذين حصل فيهم المسخ بسب عصيانهم وجحودهم وكفرهم.

٧ـ الخمر:

إنّ الحكم بنجاسته فيه:

أولًا: إرشاد إلى استعمال العقل واستخدامه في الأمور الصالحة وتمييزها، لأنّ المولى جلّت قدرته قد خاطب العقل بالإقْبال فأقبل وبالإدبار فأدبر، فيه يُثيب وبه يعاقب، فإلغاء العقل وتحجيم دوره ومنعه

من التفكير الصحيح الصالح بتناول الخمر، يعتبر جناية عليه وإنكارًا لنعمة الله تعالى على الإنسان والانحطاط في صنف البهيمية.

ثانيًا: التحذير من إبليس اللعين لدوره المباشر والرئيس في إنشاء الخمر وإغراء الناس المنحرفة لإنتاجه وتناوله.

كتاب الصلاة

القسم الأول

البابُ الأوّلُ

الآدابُ المعنويَّةُ لِلصَّلاةِ

الفَصْلُ الأوَّلُ
العَمَلُ في نَظَرِ الإسلامِ

الدَّوَافِعُ النَّفْسيّة لِلْعَمَلِ:
الأوَّلُ: الدَّافِعُ النَّفْسِيُّ الخَاصُّ
الثانِي: الدَّافِعُ النَّفْسِيُّ العَامُّ

قَـبُـولُ الأَعْـمَـال
أَسْبَابُ عَدَمِ قَبُولِ الأَعْمَالِ:
الأوَّلُ: العَامِلُ الذَّاتِيُّ
الثانِي: العَامِلُ المَوْضُوعِيُّ

شُرُوطُ قَبُولِ الأَعْمَالِ

الفَصْلُ الثانِي

أَسْبَابُ عَدَمِ قَبُولِ الصَّلاةِ وَتَضْيِيعِهَا

١ – شُرْبَ الخَمْرِ

٢ – الظُّلْمُ

٣ – الإِسَاءَةُ

٤ – نُشُوزُ الزَّوْجَةِ

٥ – الاسْتِخْفَافُ

٦ – الجَهْلُ

- جَهْلُ تَارِكِ الصَّلاةِ
- جَهْلُ المُصَلِّي

٧ – الكَسَلُ

- كَسَلُ الجَسَدِ
- كَسَلُ النَّفْسِ
- كَسَلُ انحِرَافِ النَّفْسِ
- شَخْصِيَّةُ الإِنسَانِ وَانحِرَافُ النَّفْسِ

٨ – حُبُّ الذَّاتِ

- النِّفَاقُ وَالرِّيَاءُ
- سُوءُ الفَهْمِ وَالتَّطْبِيقِ
- حُبُّ الذَّاتِ الرِّسَالِيِّ وَالإِسْلامِيِّ

الفَصْلُ الأوَّلُ

العَمَلُ في نَظَرِ الإسْلامِ

الثَّابِتُ فِي النَّظَرِيَّاتِ الرَّأْسِمَالِيَّةِ أَنَّ العَمَلَ يُقاسُ بِمنافِعِهِ دُونَ الأَخْذِ بِنَظَرِ الاعْتِبارِ دَوافِعَ العَمَلِ النَّفْسِيّة والروحِيَّةِ، فَيَدَّعُونَ أَنَّ مَذْهَبَهُم الرأسمالِيَّ يُعْنَى بِالمَصالِحِ الحَياتِيَّةِ لِلْمُجْتَمَعِ وعَلاقاتِ أَفْرادِهِ بَعْضِهم بِبَعْضٍ، فَالعَمَلُ الذي يُحَقِّقُ مَصْلَحَةً لِلْمُجْتَمَعِ هُوَ العَمَلُ الشريفُ والجَديرُ بِالاحترامِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَن الدَّوَافِعُ الشخصِيَّةِ لِصاحِبِ العَمَلِ، فالثَّرِيُّ الذي يَتَبَرَّعُ لِمَدْرَسَةِ أطفالٍ أوْ لِمَلْجَأِ أيْتامٍ الطعامَ والشرابَ واللِباسَ، هُوَ الإنسانُ البَطَلُ المُحْتَرَمُ الذي يَسْتَحِقُّ التقديرَ الاجْتِماعِيَّ في الدنيا والسعادةَ في الآخِرَةِ، أمّا الإنسانُ الفَقيرُ الذي لا يَمْلِكُ إلّا رَغيفَ الخُبْزِ الواحِدِ الذي تَبَرَّعَ بِهِ أو بِنِصْفِهِ إلى مَنْ هُوَ أفْقَرُ مِنْهُ وأحْوَجُ مِنْهُ إلَيْهِ، فَلا يَسْتَحِقُّ أيَّ تَقْدِيرٍ أو احْتِرامٍ؛ لِأَنَّ عَمَلَهُ ضَيِّقٌ وتَافِهٌ، وأضْيَقُ مِن هذا العَمَلِ وأتْفَهُ مِنْهُ عِنْدَما يَخْفِقُ قَلْبُ الإنسانِ شَفَقَةً على الأعْمَى الذي يُريدُ عُبورَ الطريقِ فَتَنْهَضُ إلَيْهِ وتَأْخُذُ بِيَدِهِ وتُساعِدُهُ في عُبورِ الشارِعِ.

والنظريّاتُ الشيوعِيَّةُ تَحْمِلُ نَفْسَ المَقاييسِ لكِنْ تَخْتَلِفُ مَعَها في المَصادِيقِ والتطبيقاتِ، حَيْثُ تُضَيِّقُ مِن المَصادِيقِ فَتَنْظُرُ إلى العَمَلِ ومَنْفَعَتِهِ في خُصوصِ طَبَقَةٍ اجْتِماعِيَّةٍ دُونَ غَيْرِها والتي تُسميها بالطَبَقَةِ الاجْتِماعِيَّةِ الجَديدَةِ وهِيَ الطَّبَقَةُ العُمّالِيَّةُ، فَالعَمَلُ يُقَيَّمُ مِن خِلالِ المَصْلَحَةِ والمَنْفَعَةِ الطَّبَقِيَّةِ التي يُحَقِّقُها ولا عَلاقَةَ ولا مَدْخَلِيَّةَ لِلدَّوافِعِ الرُّوحِيَّةِ والأخْلاقِيَّةِ في تَقْييمِ العَمَلِ، فَمَثَلًا يَقولُ لينين: «لا وُجودَ عِنْدَنا لِلآدابِ المُعْتَبَرَةِ فَوْقَ المُجْتَمَعِ؛ إنَّها لَأُكْذوبَةٌ سافِرَةٌ، فَالآدابُ خاضِعَةٌ عِنْدَنا لِمَنْفَعَةِ نِضالِ الطَّبَقَةِ العُمّالِيَّةِ»[٢٠].

أمّا الإسلامُ فَقَدْ جَعَلَ لِلنيَّةِ والدافِعِ لِلعَمَلِ النَّصيبَ الأوّلَ والأَكْبَرَ في تَقييمِ العَمَلِ، فَلا قِيمَةَ لِلْعَمَلِ بِدونِ نِيَّةٍ صَالِحَةٍ صَادِقَةٍ وإنْ كانَتْ لَهُ مَنافِعٌ كَثيرَةٌ، ولِهذا لَا يَحتاجُ الإنسانُ المُسلِمُ الصالِحُ إلى المُرَغِّباتِ والإغْراءاتِ الإعْلامِيَّةِ والمادّيَّةِ حَتّى يَقومَ بِالعَمَلِ بَل الدافِعُ لِلْعَمَلِ الإيمانُ والتَّقْوى والأخْلاقُ، ومَعْنى هذا أنَّ الإسلامَ لَمْ يَبْتَعِدْ عَن الواقِعِ والحَياةِ والمُجْتَمَعِ بَلْ سَجَّلَ الواقِعِيَّةَ الفِعْلِيَّةَ والمَنافِعَ الاجتِماعِيَّةَ وأكَّدَ عَلَيْها في جَميعِ المُناسَباتِ والأحْوالِ، فَمِنَ النادِرِ وُجودُ عِبادَةٍ لَمْ يَنْظُرْ ولَمْ يأخُذْ الشارِعُ المُقَدَّسُ فيها الجانِبَ الاجتِماعِيَّ، وعَلاقةَ الإنسانِ بِأخِيهِ الإنسانِ، وأمرَ بِذلكَ وأرْشَدَ إلَيْهِ وجَعَلَ الدافِعَ لَهُ التَّقْوَى والأخْلاقَ ولَيْسَ المُرَغِّباتِ والمنافِعَ الدُّنْيَوِيَّةَ، ولِتَحْقيقِ هذا نَحتاجُ إلى أَمْرَيْنِ:

---

(٢٠) السيد محمد باقر الصدر، العمل الصالح في القرآن، مقالة، جريدة "اخترنا لك"، بيروت- دار الزهراء، ١٩٨٢م.

الأوّل: جَعْلُ الرَقِيبِ الدَاخليّ

لَقَدْ عَمِلَ الشارِعُ المُقَدَّسُ على تَربيةِ الإنْسانِ وتَكامُلِهِ وجَعْله يمْتَنِع من تلقاء نفسه عَن ارتكاب المُنْكَراتِ والرَّذائِلِ الرُّوحِيَّةِ والأخلاقِيَّةِ التي تُفْسِدُ النَّفْسَ وتُسَبِّبُ الأضْرارَ بِالمُجْتَمَعِ، لأَنَّهُ سَيُدْرِك الآثَارَ المُهْلِكَةَ للأَعْمَالِ المُنْكَرَةِ فَيَجْتَنِبُهَا، فَيكونُ الرقيبُ عليهِ نَفسُهُ التي التَزَمَتْ بالدِينِ والأخْلاقِ.

الثاني: قَرْن العمل بالنيّة

اعْتَبرَ المَوْلَى عَظَمَةَ العَمَلِ مُتَعَلِّقَةً ومَقْرُونَةً بِنِيَّةِ الإنسانِ العامِلِ، بَلْ أشارَ إلى أنَّ العملَ هُوَ النيَّةُ والنيّةَ هِيَ العَمَلُ، فَالعَمَلُ البَسيطُ التافِهُ في مَظْهَرِهِ الاجْتِماعِيِّ الظاهِرِيِّ كَإعْطاءِ نِصْفِ الرغيفِ لِلفَقيرِ وكَاهْتِمامِ القَلْبِ وشَفَقَتِهِ على الأعْمَى أكْبَرُ وأرْفَعُ وأسْمَى مِن عَمَلِ الثَّرِيِّ الذي يَتَبرَّعُ إلى مَدْرَسَةِ الأطفالِ أو المَلْجَأِ، مَا دَامَتْ نِيَّةُ الفَقيرِ أصْفَى وأنْقَى وأصْدَقَ.

لَقَدْ وَرَدَ عَن الشارعِ المُقَدَّسِ مَا يُشيرُ إلى الحَثِّ عَلى العَمَلِ وأَنَّ العَمَلَ الصالِحَ مُقْتَرِنٌ بِالنيَّةِ الصالحَةِ، وَمِنْ ذلِكَ:

١ - قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ﴾[٢١].

وَرَدَ في تَفسيرِها، سَيَرى اللهُ ثَباتَ أعْمالِكُمْ ويُحاسِبُكُمْ عَلى نِيّاتِكُمْ.

٢- عَن النبيِّ (ﷺ): «إنَّما الأعْمالُ بِالنِّيّاتِ، ولِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى»[٢٢].

٣- عَن النبيِّ (ﷺ): «نِيَّةُ المُؤمِنِ خَيْرٌ مِن عَمَلِهِ، ونِيّةُ الكافِرِ شَرٌّ مِن عَمَلِهِ، وكُلُّ عَامِلٍ يَعْمَلُ عَلى نِيَّتِهِ»[٢٣].

٤- عَنْ أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام): «مَن ماتَ مِنْكُم عَلى فِراشِهِ وهُوَ عَلى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وحَقِّ رَسُولِهِ وأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا، ووَقَعَ أَجْرُهُ عَلى اللهِ، واسْتَوْجَبَ ثَوابَ مَا نَوَى مِن صَالِحِ عَمَلِهِ، وقَامَت النيَّةُ مَقامَ إصلاتِهِ بِسَيْفِهِ»[٢٤].

٥- عَنْ أميرِ المؤمنينَ (عليه السلام): «إنَّما الأجْرُ في القَوْلِ بِاللسانِ والعَمَلِ بالأيْدِي والأَقْدامِ، وإنَّ اللهَ سُبحانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النيَّةِ والسريرةِ الصالحَةِ مَن يَشاءُ مِن عِبادِهِ الجَنَّةَ»[٢٥].

---

[٢١] سورة التوبة، الآية: ١٠٥.

[٢٢] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٤٩؛ الشريف المرتضى، الانتصار، ص٣٠٣.

[٢٣] المازندراني، شرح أصول الكافي، ج٨، ص٢٦٦؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ج٤، ص٣٤١٧.

[٢٤] محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٣٣؛ وسائل الشيعة، ج١٥، ص٥٦.

الدَّوَافِعُ النَّفْسِيّةُ للعملِ

والنيَّةُ والدافِعُ النَّفْسِيّ لِلْعَمَلِ قَدْ يَكونُ نَقِيًّا وصَالِحًا بِجَميعِ عَناصِرِهِ، وقَدْ يَكونُ رَديئًا وسَيِّئًا بِجَمِيعِ عَناصِرِهِ، وقَدْ يَكونُ مُرَكّبًا مِن عَناصِرَ صالِحَةٍ وعَناصِرَ رَديئَةٍ، ولِلدافِعِ النَّفْسِيّ (النيَّة) حَيْثِيّتانِ:

الأولى: الدافِعُ النَّفْسِيّ الخاصّ

مِن الواضِحِ أنَّ الدافِعَ النَّفْسِيَّ الخَاصَّ بِكُلِّ عَمَلٍ يَخْتَلِفُ عَن الدَّافِعِ النَّفْسِيِّ لِلْعَمَلِ الآخَرِ، ويَرْجِعُ هذا الاخْتِلافُ إلى اخْتِلافِ العَناصِرِ والمُحَفِّزاتِ النَّفْسِيّة بَيْنَهُما، وفي هذِهِ الحالَةِ يُقالُ: إنَّ دَرَجَةَ صَلاحِ العَمَلِ تَعْتَمِدُ عَلى الدافِعِ النَّفْسِيّ والنيَّةِ، فكُلّما كانَتْ النيَّةُ أنْقَى وأزْكَى كانَ العَمَلُ أكْثَرُ صَلاحًا.

الثانية: الدافِعُ النَّفْسِيّ العامّ

إنّ لِكُلِّ إنسانٍ مُحتوَى نَفْسِيٍّ ودَوافِعَ نَفْسِيَّةً يَتميَّزُ بِها عَن باقِي الناسِ، وهذهِ النَّفْسِيَّةُ والشخصِيَّةُ لِكُلِّ فَرْدٍ تُؤَثِّرُ سَلْبًا وإيجَابًا في دَرَجةِ صَلاحِ العَمَلِ؛ لِأنَّها تُؤَثِّرُ في صَلاحِ الدافِعِ النَّفْسِيّ الخاصِّ.

وبِعبارَةٍ أوْضَحَ، يُقالُ (مَثَلًا): كَما أنَّ النتيجَةَ النهائِيَّةَ لِنَجاحِ الطالِبِ وانْتِقالِهِ إلى مَرْحَلَةٍ دِراسِيَّةٍ لاحِقَةٍ يَعْتَمِدُ عَلى دَرَجَةِ:

١ – الامْتِحانِ النهائِيِّ (في نِهايَةِ العامِ الدراسِيِّ).

٢ – دَرَجَةِ مُعَدَّلِ السَّعْيِ السَّنَوِيِّ، الذي يَعْتَمِدُ عَلى دَرَجاتِ الامْتِحانَاتِ الشهْرِيَّةِ والفَصْلِيَّةِ، كَذلكَ النتيجَةُ النهائِيَّةُ لِصَلاحِ العَمَلِ تَعْتَمِدُ عَلى:

١ – الدافِعِ النَّفْسِيّ الخاصِّ بِكُلِّ عَمَلٍ.

٢ – الدافِعِ النَّفْسِيّ العامِّ.

(ومَثلًا) كَما أنَّ النتيجَةَ النهائِيَّةَ لِنَجاحِ الطالِبِ (في بَعْضِ المَراحِلِ الدراسِيَّةِ) يَعْتَمِدُ على:

١ – الدرَجَةِ النهَائِيَّةِ التي تُمَثِّلُ المُعَدَّلَ لِدَرَجَتَيْ الامْتِحانِ النهائِيِّ والسَّعْيِ السنَوِيِّ.

٢ – المُعَدَّلِ النهائِيِّ لِلدَّرَجاتِ النهَائِيَّةِ لِجَميعِ الدُّرُوسِ، فكَما يُقالُ 'راسِبٌ بِالمُعَدَّل' أو 'راسِبٌ بِالمَجْمُوع'، كَذلِكَ النتيجَةُ النهائِيَّةُ لِصَلاحِ العَمَلِ تَعْتَمِدُ عَلى:

---

[٢٥] الأمالي للطوسي، ج٢، ص ١٨٦؛ محمد عبدة شرح نهج البلاغة، ج٤، ص١٢؛ هادي النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، ج١٠، ص٢١٢.

١ – الدافِعِ النَّفْسِيّ الخاصِّ.

٢ – الدافِعِ النَّفْسِيّ العامِّ.

قَبولُ الأعمالِ

في البَدْءِ عَلَيْنَا مَعْرِفَةُ الفَرْقِ بَيْنَ إجْزَاءِ العَمَلِ وبَيْنَ قَبُولِهِ، فَمَعْنَى الإجْزاءِ: هُوَ الخَلاصُ مِن العِقابِ مَعَ عَدَمِ وُجودِ الثوابِ أصْلًا أوْ مَعَ الثوابِ القَليلِ المَحْدُودِ.

أمّا القَبُولُ: فَهُوَ اسْتِحْقاقُ الثوابِ وكَثْرَتُهِ ونَماؤُهُ بالتفَضُّلِ مِن الله تَعالى بإفاضَةِ الآثارِ المُتَرَتِّبَةِ على الأعْمالِ وتَنْمِيَتِها بِما يَحْصُلُ فيهِ التخَلِّي والتجَلِّي والرُّقِيُّ في سُلَّمِ التكامُلِ في الدُّنْيا والآخِرَةِ.

ومِمّا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ أنَّهُ لَيْسَ كُلُّ الأعْمالِ الصالِحَةِ تَكونُ مَقْبُولَةً بَلْ بَعْضُها يَكُونُ مُجْزِيًا لكِنَّهُ غَيْرُ مَقْبولٍ، كَمَا في الصَّلاةِ الخالِيَةِ مِن الخُشوعِ وحُضُورِ القَلْبِ والتَّوَجُّهِ والتي تَكُونُ كَنَقْرِ الغُرابِ، فَمِثْلُ هذهِ الصلاةِ مِن الأعْمالِ الصالِحَةِ وهِيَ مُجْزِيَةٌ لكِنَّها غَيْرُ مَقْبُولَةٍ.

أسبابُ عَدَمِ قَبول الأعمال

إنَّ عَدَمَ قَبُولِ الأعْمالِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ يَرْجِعُ إلى عَامِلَيْنِ:

الأَوَّلُ: العَامِلُ الذَّاتِيُّ: ويَشْمَلُ قِسْمَيْنِ مِن الأعْمالِ:

١ – الأعْمالُ الفاقِدَةُ لِلصَّلاحِيَّةِ:

ومِثْلُ هذهِ الأعْمالِ واضِحَةٌ في عَدَمِ قَبُولِها الرِّعَايَةَ والتَّنْمِيَةَ، كَالأعْمالِ الصادِرَةِ مِن الكَافِرِ والتي تَحْتاجُ إلى قَصْدِ القُرْبَةِ الذي لا يَصِحُّ مِن الكَافِرِ، وكَالتَّوْبَةِ الصادِرَةِ مِن الكَافِرِ ثُمَّ يَكْفُرُ ويَزْدَادُ كُفْرًا، ويَشْهَدُ لِهَذا:

١ – قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾[٢٦].

٢ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾[٢٧].

---

[٢٦] سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

[٢٧] سورة النساء، الآية: ١٣٧.

٣- قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَيْمانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ إِنَّهُمْ ساءَ ما كانُوا يَعْمَلُونَ * ذلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ﴾[٢٨].

٢ - الأعمالُ ذاتُ الصلاحيَّةِ الضَّعيفَةِ:

وهذهِ الأعْمالُ الصالِحَةُ تَكُونُ دَرَجَةُ الصلاحِيَّةِ فِيها مُنْخَفِضَةً وضَعِيفَةً بِحَيْثُ لا تَقْبَلُ التنْمِيَةَ والرعايَةَ الإلهيَّةَ، كَالصَّلاةِ الصَّادِرَةِ مِن الْمُصَلّي بِدُونِ حُضورِ القَلْبِ ولا تَوَجُّهٍ ولا خُشُوعٍ.

ويُوجَدُ العَديدُ مِن المَوارِدِ الشرْعِيَّةِ التي تُشِيرُ إلى هَذا العَامِلِ الذاتِيِّ وإعْمالِهِ، مِنْها:

١ - قوله تَعالى: ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾[٢٩].

٢ – عَن الإمام الصادق(عليه السلام): «وَاللهِ لَيَأْتِي عَلى الرَّجُلِ خَمسونَ سَنَةً وما قَبِلَ اللهُ مِنْهُ صَلاةً واحِدَةً، فَأَيُّ شَيْءٍ أَشَدّ مِن هَذا؟ واللهِ إنَّكُمْ لتَعْرِفُونَ مِن جِيرانِكُم وأَصْحابِكُم مَن لَوْ كَانَ يُصَلِّي لِبَعْضِكُم ما قَبِلَها مِنْهُ لاسْتِخْفافِهِ بِها، إنَّ اللهَ لا يَقْبَلُ إلّا الحَسنَ فَكَيْفَ يَقْبَلُ مَا يُسْتَخَفُّ بِهِ»[٣٠].

٣ - عَن الإمام الصادق (عليه السلام) عَن الإمام الباقر(عليه السلام): «صَلّى رَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) صَلاةً وجَهَرَ بِالقِراءَةِ... ثُمَّ قَالَ (صلى الله عليه وآله): {مَا بَالُ أقْوامٍ يُتلَى عَلَيْهِم كِتابُ الله تَعَالَى فَلا يَدْرُونَ مَا يُتْلَى عَلَيْهِم مِنْهُ ولَا يُتْرَكُ (أي: ولا يَدرونَ ما يُترَكُ مِنه)، هكَذا هَلَكَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ، حَضَرَتْ أبْدانُهُم وغَابَتْ قُلُوبُهم، ولا يَقْبَلُ اللهُ صَلاةَ عَبْدٍ لَا يَحْضُرُ قَلْبُهُ مَعَ بَدَنِهِ»[٣١].

٤ - عَن الإمام الصادق (عليه السلام): «يُجاءُ بِعَبْدٍ يَوْمَ القِيامَةِ، قَدْ صَلَّى، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ صَلَّيْتُ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ. فَيُقالُ لَهُ: إنَّكَ صَلَّيْتَ لِيُقالَ: مَا أحْسَنَ صَلاةَ فُلانٍ، اذْهَبُوا بِهِ إلى النارِ»[٣٢].

الثاني: العامِل المَوْضُوعِيّ: وهذا يَشْمَلُ قِسْمَيْنِ مِن الأعْمالِ:

الأوّل: الأعْمالُ التي فِيها الصَّلاحِيَّةُ الكافِيَةُ لِلرعايَةِ الإلهِيَّةِ وتَنْمِيَتِها، ولَكِنْ بِسَبَبِ وُجُودِ العَمَلِ البَدِيلِ الصَّالِحِ الأفْضَلِ والأكْثَرِ دَرَجَةً لِلقَبُولِ والتأْهِيلِ والرعَايَةِ الإلهيَّةِ والنُّمُوِّ والتكَامُلِ النَّفْسِيّ في الدُّنْيا والآخِرَةِ، فيُقبَلُ هذا العملُ الأفضلُ بَدَلًا عن ذَلِكَ العمل. ويشهد لهذا ما ورد عن الشارع المقدّس:

١ - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا﴾[٣٣].

---

[٢٨] سورة المنافقون، الآيتان: ٢– ٣.

[٢٩] سورة المائدة، الآية: ٢٧.

[٣٠] موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٦، ص١١٢.

[٣١] البرقي، المحاسن، ج١، ص٢٦٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٤٢.

[٣٢] بحار الأنوار، ج٧، ص١٨١.

٢ – قالَ رجلٌ لِلإمامِ الصادقِ(عليه السلام): إنَّهُ يُصلي ثُمَّ يَدْخُلُ المَسْجِدَ فَتُقامُ الصلاةُ، أيُعيدُ الصلاةَ؟ قالَ(عليه السلام): «صَلِّ مَعَهُمْ، يَخْتارُ اللهُ أحَبَّهُما إلَيْهِ»[٣٤].

الثاني: الأعْمالُ التي فِيها الصَّلاحِيَّةُ الكافِيَةُ ولكِنْ بِسببِ وُجودِ المانِعِ، فَإنَّ المَوْلَى لا يَقْبَلُها، كَما في شُرْبِ الخَمْرِ فَإنَّهُ مَانِعٌ عَن قَبُولِ الصلاةِ، وكذلكَ الظُّلْمُ وغَيْرُهُ، ويَشْهَدُ لِهذا:

١ – عَن النبيِّ الأكْرَمِ (صلى الله عليه وآله): «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةُ أرْبَعينَ يَوْمًا»[٣٥].

٢ – عَن النبِيِّ الأكْرَمِ (صلى الله عليه وآله): قال الله تبارك و تعالى: «إنَّما أتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَواضَعَ بِها لِعَظَمَتِي، وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي»[٣٦].

شروطُ قَبول الأعمال

إنَّ قَبُولَ الأعْمالِ يَعْتَمِدُ عَلى أمْرَيْنِ:

الأوّلُ: **دَرَجَةُ الصَّلاحِ**: يَجِبُ تَوَفُّرُ دَرَجَةُ صَلاحٍ كَافِيَةٍ في العَمَلِ حَتّى يَكونَ مُهَيَّئًا لِلْقَبُولِ، وكُلَّما كَانَتْ دَرَجَةُ الصَّلاحِ أعْلَى كَانَ العَمَلُ أكْثَرَ اسْتِعْدادًا وتَهْيِئَةً لِلْقَبُولِ.

الثاني: **تَوَفُّر شُرُوطِ القَبُولِ**: وهِيَ عَلَى نَوْعَيْنِ:

١ – **الشروطُ العامّةُ**: وهِيَ الشرُوطُ التي يَجِبُ تَوَفُّرُهَا في كُلِّ عَمَلٍ، والتي تَرْجِعُ جَمِيعُهَا إلى عِنْوانِ التَّقْوَى والحَذَرِ مِن مُخَالَفَةِ أَمْرِ الله تَعَالَى ونَهْيِهِ، ويُسَمَّى بِالضَّمِيرِ القَانُونِيِّ الشَّرْعِيِّ والأخْلاقِيِّ لَدَى الإنْسَانِ.

٢ – **الشروطُ الخاصّةُ**: وهِيَ تَخْتَلِفُ مِن عَمَلٍ إلَى آخَرَ، ومَا دَام الحَديثُ عَن الصلاةِ، فَسَيَكُونُ الكَلامُ في الفُصولِ القادِمَةِ كَما يَلي:

---

[٣٣] سورة الأحقاف، الآية: ١٦.

[٣٤] الكليني، الكافي، ج٣، ٣٧٩؛ الطوسي، تهذيب الاحكام، ج٣، ص٢٧٠؛ وسائل الشيعة، ج٨، ص٤٠٣.

[٣٥] بحار الأنوار، ج٨، ص٢٤٤؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ص٧٠.

[٣٦] الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٢، ص١٤٧.

الفصلُ الثاني

أسبابُ عدمِ قَبولِ الصلاةِ وتضييعها

١ – شُربُ الخمرِ
٢ – الظلمُ
٣ – الإساءةُ
٤ – نشوزُ الزوجةِ
٥ – الاستخفافُ
٦ – الجهلُ
- جهلُ تاركِ الصلاةِ
- جهلُ المصلي

٧ – الكسلُ
- كسلُ الجسدِ
- كسلُ النفسِ
- كسلُ انحرافِ النفسِ
- شخصيةُ الانسانِ وانحرافُ النفسِ

٨ – حبُ الذاتِ
- النفاقُ والرياءُ
- سوءُ الفهمِ والتطبيقِ
- حبُ الذاتِ الرساليّ والإسلاميّ

الفصلُ الثاني

أسبابُ عدمِ قَبولِ الصلاةِ وتضييعها

نَذْكُرُ في المَقامِ بَعْضَ الأسْبابِ الخاصَّةِ والعامَّةِ بِعَناوينَ مُسْتَقِلَّةٍ بِالرَّغْمِ مِن إمْكانِ إرْجَاعِ بَعْضِها إلى الآخَرِ، لِأهَمِّيَّةِ البَعْضِ ولِتَعْمِيمِ الفائِدَةِ، وللغَرَضِ نَفْسِهِ فَصَّلْنَا الحَديثَ في بَعْضِها، ومِن هذهِ الأسْبابِ:

الأوّل: شُربُ الخمرِ

١ – وَرَدَ عَن النبِيِّ الأكْرَمِ (ﷺ): «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاة أرْبَعينَ يَوْمًا»[٣٧].

٢ – عَن المُصطَفَى الأمْجَدِ (ﷺ) في الخَمْرِ: «شَارِبُها، وعَاصِرُها، ومُعْصِرُها، وبَايِعُها، ومُبْتاعُها، وحامِلُها، والمَحْمُولَةُ إلَيْهِ، وآكِلُ ثَمَنِهَا سَواءٌ في إثْمِهَا، ولَا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَى لَهُ صَلاةً ولَا صَوْمًا ولَا حَجًّا ولَا عُمْرَةً حَتّى يَتُوبَ»[٣٨].

الثاني: الظلمُ

١ – وَرَدَ عَن النبِيِّ المُصطَفَى (ﷺ): قال الله تبارك وتعالى: «إنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي»[٣٩].

٢ – عَن الإمَامِ الصادقِ (عليه السلام): {أَرْبَعَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ صَلَاةٌ: الإمَامُ الجَائِرُ...»[٤٠].

الثالث: الإساءةُ

والمَقْصُودُ هُنا الإساءَةُ الأخْلاقِيَّةُ وغَيْرُها، ويَشْهَدُ لهذا:

١ – عَن النبِيِّ (ﷺ): «تَصْعَدُ صَلاةُ المُحْسِنِ طَيِّبَةً مُضيئَةً، وصَلاةُ المُسيءِ مُنْتِنَةً مُظْلِمَةً»[٤١].

---

[٣٧] بحار الأنوار، ج٨، ص٢٤٤؛ الهيثمي، مجمع الزوائد، ص٧٠.

[٣٨] بحار الأنوار، ج٧٦، ص١٥٠.

[٣٩] الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٢، ص١٤٧.

[٤٠] بحار الأنوار، ج٧١، ص١٤٤؛ الصدوق، الخصال، ص٢٤٢؛ وسائل الشيعة، ج٨، ص٣٤٩.

[٤١] بحار الأنوار، ج٥٨، ص١٠١.

٢ – عَن النبِيِّ المُصطَفَى (ﷺ): «ثَمانِيَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُم صَلاةٌ: العَبْدُ الآبِقُ حَتّى يَرْجِعَ إلى مَوْلاهُ، ... وإمامُ قَوْمٍ يُصَلّي بِهِمْ وهُمْ لَهُ كَارِهُونَ»[٤٢].

الرابع: نشوز الزوجة

نُشُوزُ الزَّوْجَةِ هُوَ مَنْعُهَا زَوْجَهَا مِن حُقُوقِهِ الشَّرْعِيَّةِ والتَّمَرُّدُ عَلَيْهِ وعَلى الحياةِ الزوجِيَّةِ، بِالفِعْلِ والمَنْعِ المُباشِرِ وعَدَمِ تَمْكينِهِ مِن الاسْتِمْتاعِ أو بِفِعْلِ مَا يُنَفِّرُ الزَّوْجَ مِن مَمارَسَةِ حَقُوقِهِ أو التَّخَلّي عَن الأخْلاقِ الحَسَنَةِ والاتِّصافُ بِسُوءِ الخُلُقِ، كَسَبِّ الزَّوْجِ وشَتْمِهِ أو الخُرُوجِ بِدُونِ إذْنِهِ (وكَذا الكَلامُ عَن الزَّوْجِ فَيَدْخُلُ تَصَرُّفُهُ في عُنْوانِ النُّشوزِ أو تَحْتَ عُنْوانِ الظُّلْمِ) وعَلى كِلا التقْديرَيْنِ لَا تُقْبَلُ صَلاتُها، ويَشْهَدُ لِما يَخُصُّ النُّشُوزَ:

١ – عَن النبِيِّ الأكْرَمِ (ﷺ): «ثَمانِيَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ صَلاةٌ... الناشِزُ عَن زَوْجِها وهُوَ عَلَيْها سَاخِطٌ»[٤٣].

٢ – عَن الإمامِ الصادِقِ (عليه السلام): «أَرْبَعَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ صَلاةٌ... والمَرْأَةُ تَخْرُجُ مِن بَيْتِ زَوْجِها بِغَيْرِ إذْنِهِ»[٤٤].

الخامس: الاستخفافُ

الصلاةُ عَمودُ الدينِ، وهِيَ تَنْهَى عَن الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ، وتارِكُ الصلاةِ كافرٌ، وإنْ قُبِلَتْ قُبِلَ ما سِواهَا مِن أعْمالٍ، كُلُّ ذلكَ وغَيْرُهُ صَدَرَ عَن الشارعِ المُقَدَّسِ وسَمِعْناهُ مِن الآباءِ والإخْوانِ، ومِن الكِبارِ والصِّغارِ، ومِن رِجالِ الدِّينِ وغَيْرِهم، لكِنْ هَلْ وَعَى كُلُّ أُولئِكَ تِلكَ المَعانِي التي نَقَلُوها كَيْ تَنْتَقِلَ بِوَعْيٍ إلَيْنَا؟ وهَلْ مُلازَمَةُ تلكَ المَعاني لَهُم قَدْ أثَّرَتْ بِهِم وتَفاعَلوا مَعَها حَتّى نَتأثّرَ بِها نَحْنُ ونَتفاعلَ مَعَها؟

مِن المُؤْسِفِ جِدًا في مُجْتَمَعِنا نَجِدُ وبِصُورَةٍ عامَّةٍ أنَّ فَريضةَ الصلاةِ قَدْ فُرِّغَتْ مِن مَعْناها وحَقيقَتِها، فأصْبَحَ كُلٌّ مِنّا مُخالِفًا لِلقُرآنِ والسُّنَّةِ مِن حَيْثُ يَعْلَمُ أو لَا يَعْلَمُ، فالصلاةُ عِنْدَنا لَا تَنْهَى عَن الفَحشاءِ والمُنْكَرِ، وتَارِكُ الصلاةِ حَتّى مِن أبنائِنا وأرْحامِنَا نَعْتَبِرُهُ مُسْلِمًا ونَتعامَلُ مَعَهُ عَلى هذا الوَصْفِ بَيْنَما الشارِعُ المُقَدَّسُ يَعْتَبِرُهُ كافِرًا كَما وَرَدَ:

---

[٤٢] الخصال، ص٤٠٧؛ الصدوق، معاني الأخبار، ص٤٠٤؛ ابو الفتح الكراجي، معدن الجواهر، ص٦٤.

[٤٣] بحار الأنوار، ج٨٥، ص١٢٨؛ علي النمازي، مستدرك سفينة البحار، ج١، ص٥٢٩.

[٤٤] بحار الأنوار، ج٧١، ص١٤٤؛ الخصال، ص٢٤٢؛ وسائل الشيعة، ج٨، ص٣٤٩.

١ – عَن الإمامِ الباقرِ(عليه السلام): «ما بَيْنَ المُسْلِمِ وبَيْنَ أن يَكْفُرَ إلّا أنْ يَتْرُكَ الصلاةَ الفريضَةَ مُتَعَمِّدًا أو يَتَهاونَ بِها فَلا يُصَلّيها»[٤٥].

٢ – أنّ الإمامَ الصادقَ (عليه السلام) قَدْ سُئِلَ «ما بَالُ الزانِي لَا تُسَمّيهِ كَافِرًا، وتارِكُ الصلاةِ تُسَمّيهِ كَافِرًا؟... قال(عليه السلام): {لأنَّ الزّانِي ومَا أَشْبَهَهُ إنَّما فَعَلَ ذلكَ لِمكانِ الشهوةِ لِأنَّها تَغْلِبُهُ، وتاركُ الصلاةِ لا يَتْرُكُها إلاّ اسْتِخْفافًا بِها، وذلكَ لِأنّكَ لَا تَجِدُ الزاني يَأتي المَرْأةَ إلّا وهُوَ مُسْتَلِذٌّ لِإتيانِهِ إيّاهَا، قَاصِدٌ إلَيْها، وكُلُّ مَن تَرَكَ الصلاةَ قاصِدًا لِتَرْكِها فَلَيْسَ يَكونُ قَصْدُهُ لِتَرْكِها اللذَّةَ، فَإذا انْتَفَتْ اللذَّةُ وَقَعَ الاسْتِخْفافُ وإذا وَقَعَ الاسْتِخْفافُ وَقَعَ الكُفْرُ}»[٤٦].

وقَدْ أصْبَحْنا مُسْتَخِفِّينَ بِالصَّلاةِ، فَلَا صَلاةٌ في أوَّلِ الوَقْتِ ولَا خُشوعٌ ولَا الْتِفاتٌ ولا حُضورُ قَلْبٍ، فَنُقَدِّمُ أَتْفَهَ الأعْمَالِ وأبْسَطَ الأشْياءِ وأرْدَءَهَا عَلى الصَّلاةِ، وإذَا صَلَّيْنا فانْشِغَالُ الذِّهْنِ والقَلْبِ بِتِلْكَ الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ التافِهَةِ الزائِلَةِ، ومَعَ هَذا يَعْتَبِرُ كُلٌّ مِنّا نَفْسَهُ مُتَّقِيًا مُصَلِّيًا مُلْتَزِمًا مُسْلِمًا بَيْنَما الشارِعُ المُقَدَّسُ اعْتَبَرَ مِثْلَ ذلكَ الإنسانَ المُسْتَخِفَّ بِصَلاتِهِ لَيْسَ بِمُسْلِمٍ، وإنَّهُ في النارِ مَعَ المُنافِقينَ والكافِرينَ كَقارُونَ وهامانَ وغَيْرِهما، وقَدْ وَرَدَ عَن المَوْلَى الشَّرْعِيِّ مَا يُشيرُ إلى هَذا، كَما وَرَدَ:

١ – عَن النبيِّ (صلى الله عليه وآله): «إنَّ عَمودَ الدّينِ الصَّلاةُ، وهِيَ أوَّلُ ما يُنظَرُ فيهِ مِن عَمَلِ ابنِ آدَمَ، فَإن صَحَّتْ نُظِرَ في عَمَلِهِ، وإن لَمَ تَصِحّ لَمَ يُنظَرْ في بَقيَّةِ عَمَلِهِ»[٤٧].

٢– وعَن الصادقِ الأمينِ (صلى الله عليه وآله): «إذا كانَ يَوْمُ القيامَةِ يُدْعَى بِالعَبْدِ، فَأَوّلُ شَيْءٍ يُسْأَلُ عَنْهُ: الصلاةُ، فإذا جاءَ بِها تامَّةً وإلّا زُجَّ في النارِ»[٤٨].

٣– وعن الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله): أنَّ الصلاةَ «إنْ قُبِلَتْ قُبِلَ مَا سِوَاهَا وإنْ رُدَّتْ رُدَّ مَا سِواهَا»[٤٩].

٤– وعَن المُصطَفَى (صلى الله عليه وآله):«لَيسَ مِنّي مَنِ استَخَفَّ بِصَلاتِهِ»[٥٠].

---

[٤٥] الحر العاملي، الفصول المهمة، ج٢، ص٦٤؛ المحاسن، ج١، ص٨٠.

[٤٦] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٠٦؛ وسائل الشيعة، ج٤، س٤١؛ بحار الأنوار، ج٦٦، ص٦٦.

[٤٧] موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٦، ص١٠٤، الريشهري، ميزان الحكمة، ج٥، ص٢٤٣.

[٤٨] الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، ج١، ص٣٥؛ وسائل الشيعة، ج٤، ص٣٠.

[٤٩] محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٤، ص٤٤٠؛ الصدوق، المقنع، ص٧٣؛ بحار الأنوار، ج١٠، ص٣٩٤.

[٥٠] الكافي، ج٣، ص٢٦٩؛ المقنع، ص٧٣.

٥ – وعَن النبِيِّ (ﷺ): «لا تُضَيِّعوا صَلاتَكُم فَإِنَّ مَن ضَيَّعَ صَلاتَهُ حُشِرَ مَعَ قارونَ وهامانَ، وكانَ حَقًّا عَلَى الله أن يُدخِلَهُ النّارَ مَعَ المُنافِقينَ»[٥١].

٦– عَن الإمامِ الباقرِ (عليه السلام): «بَيْنَا رَسُولُ الله (ﷺ) جالِسٌ فِي المَسجِدِ إذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَقامَ يُصَلّي فَلم يُتِمَّ رُكوعَهُ ولا سُجودَهُ، فقال (ﷺ): نَقرٌ كَنَقرِ الغُرابِ، لَئِن ماتَ هذا وهكَذا صَلاتُهُ لَيَموتَنَّ عَلى غَيرِ ديني»[٥٢].

فَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَن يُجْهِدَ نَفْسَهُ حَتّى يَكونَ غَيْرَ مُسْتَخِفٍّ بِالصلاةِ ولا يَكونَ تارِكًا لَها ولَا نَاقِرًا لَها كَنَقْرِ الغُرابِ، ولِكَيْ يُقْبَلَ عَمَلُهُ ولا يُحْشَرَ مَعَ المُنافِقينَ والكافِرينَ، ويَتَحقَّقُ ذلكَ بِصَرْفِ بَعْضِ الوَقْتِ لِلاطِّلاعِ عَلى ما مَوْجُودٌ في هذا البَحْثِ وغَيْرِهِ مِن بُحوثٍ، وتَكرارِ الاطِّلاعِ لِمَعْرِفَةِ مَعْنى الصلاةِ وحَقيقَتِها وأَهْدافِها وثِمارِها المادِّيَّةِ والمعنويَّةِ الظاهِرِيَّةِ والباطِنِيَّةِ، فَيَكونُ أَدَاؤُهَا بِصُورَةٍ صَحيحَةٍ وصَالِحَةٍ مَعَ الحُضورِ والخُشوعِ فَتَكُونُ مُهَيَّأَةً لِلْقَبُولِ والنُّمُوِّ لِتَحْقيقِ التَّكامُلِ والسعادَةِ في الدارَيْنِ.

ولَا يَخْفَى أنَّ لِلْاسْتِخْفافِ أَسْبَابًا عَديدَةً، ولِهذا يُمْكِنُ أَنْ تَرْجِعَ الأَسْبابُ والعَناوِينُ اللاحِقَةُ كُلُّها أَوْ بَعْضُها إلى الاسْتِخْفافِ حَيْثُ تَكونُ جَميعُها أو بَعْضُها سَبَبًا لِلاسْتِخْفافِ، ونَحْنُ أَبْرَزْنا بَعْضَ العناوينِ بالرَّغْمِ مِن أنَّها تَتَداخَلُ في البَعْضِ الآخَرِ، لِإِظْهارِ أَهَمِّيَّتِها ولِزِيادَةِ الفائِدَةِ وتَعْميمِها.

السادس: الجَهْلُ

لَا يَخْفَى أنَّ الجَهْلَ هُوَ السببُ الرَّئيسُ في التَّهافُتِ السُّلوكيِّ والعِبادِيِّ عِنْدَ الناسِ، وهُوَ السببُ في إعْراضِهِم عَنْ كُلِّ أمْرٍ جَادٍّ يُجَدِّدُ مَصيرَهُم في الحياةِ الآخِرَةِ فَضْلًا عَن الدُّنْيا، فَلَوْ عَرَفَ الناسُ حَقيقةَ المَعاصِي والمُوبِقاتِ والشَّهَواتِ الشَّيْطانِيَّةِ وما هِيَ أضرارُها وتَبِعاتُها السيِّئَةُ لَوَلَّوا مِنها فِرارًا، ولَوْ عَرَفَ الإنْسانُ حَقيقةَ العِباداتِ والأعْمالِ الصالِحَةِ وبِالخُصوصِ لَوْ عَرَفَ مَعْنَى الصلاةِ وحَقيقَتَها وثَمَراتِها لَمَا ضَيَّعَها بِتَرْكِها أصْلًا أوْ بِالاسْتِخْفافِ بِها.

لَقَدْ شَيَّدَ الاسْتِعْمارُ اليَهودِيُّ الصليبِيُّ أُسُسَ وأَرْكانَ الجَهْلِ في قُلوبِ ونُفُوسِ الكَثيرِ، وأزاحَ العِلْمَ والتعالِيمَ الإسْلامِيَّةَ عَن قُلوبِهم وأذْهانِهم، فَأصبحَ المسلِمُ يَتَحلَّى بِالجَهْلِ وهُوَ آمِنٌ ومُفْتَخِرٌ، فَانْتَشَرَ وسادَ في المُجْتَمَعِ المُسْلِمِ الانْحِطاطُ العِبادِيُّ الروحِيُّ والأخْلاقِيُّ، وأصْبَحَ أكْثَرُ الأفْرادِ مِصْداقًا لِلْجاهِلِ الذي وَرَدَ وَصْفُهُ في كَلامِ النبِيِّ الأكْرَمِ (ﷺ) عِنْدَما سُئِلَ عَن عَلاماتِ الجاهِلِ فقالَ (ﷺ):«إنْ صَحِبْتَهُ

---

[٥١] عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ج١، ص٥٣؛ وسائل الشيعة، ج٤، ص٣٠.

[٥٢] وسائل الشيعة، ج٤، ص٣٢؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٤، ص٤٦.

عَنّاكَ، وإنْ اعْتَزَلْتَهُ شَتَمَكَ، وإنْ أعْطـاكَ مَنَّ عَلَيْكَ، وإنْ أعْطَيْتَهُ كَفّرَكَ، وإنْ أسْرَرْتَ إلَيْهِ خانَكَ، وإنْ أَسَرَّ إلَيْكَ اتَّهَمَكَ، وإنْ اسْتَغْنَى بَطِرَ وكَانَ فَظّاً غَليظاً، وإنْ افْتَقَرَ جَحَدَ نِعْمَةَ الله ولَمْ يَتَحرَّجْ، وإنْ فَرِحَ أَسْرَفَ وطَغَى، وإنْ حَزِنَ آيَسَ، وإنْ ضَحِكَ نَهَقَ، وإنْ بَكَى خَارَ، يَقَعُ في الأبْرارِ، ولا يُحِبُّ اللهَ، ولا يُراقِبُ اللهَ، ولا يَسْتَحِي مِن اللهَ ولا يَذْكُرُهُ»[٥٣].

وفي خُصوصِ الصلاةِ يَكونُ تَأثيرُ الجَهْلِ بِمُسْتَوِيَيْنِ:

الأوّل: جَهْل تارك الصلاة

لَوْ أَلْقَى كُلٌّ مِنّا نَظْرَةً فاحِصَةً على المجتمعِ لَوَجَدَ جِنايَةَ الجَهْلِ وتَأثيرَهِ الفِعْلِيَّ في تَرْكِ الصلاةِ وخاصَّةً في الشريحَةِ الاجْتِماعِيَّةِ التي تُسَمَّى (المُثَقَّفَة)، وكُلُّ فَرْدٍ مِن هؤلاءِ عَلى اسْتِعْدادٍ أَن يَقْرأَ ويَطّلِعَ عَلى أيِّ شَيْءٍ إلّا على الإسلام، وُيُفكِّرُ في أيِّ شَيْءٍ إلّا في الإسْلام، فَمَعْلوماتُهُ عَن الإسلامِ أمَّا ضَحْلَةٌ لا تُمَثِّلُ شَيْئًا أوْ خَاطِئَةٌ ومَسْمُومَةٌ ومُنْحَرِفَةٌ، وفي خُصوصِ الصلاةِ لا تَتَعدَّى مَعْلُوماتُهُ مُجَرَّدَ سَماعِ اسْمِها، وفي الواقِعِ إنَّ مِثْلَ هذا الإنسانِ لَيْسَ بِمُثَقَّفٍ ولَا وَاعٍ بَلْ هُوَ الجاهِلُ الحَقيقِيُّ؛ لِأَنَّهُ يُنْفِقُ عُمرَهُ في أشياءٍ تافِهَةٍ زائِلَةٍ ولا يَبْحَثُ في المسائِلِ المَصيرِيَّةِ المُهِمَّةِ، أَلَا يَعْلَمُ مِثْلُ هذا التابِعِ والذَّنَبِ لِلْمُجْتَمَعِ الغَرْبِيِّ أنَّ أمَامَهُ حَياةً أُخْرَى غَيْرَ هذهِ الفانِيَةِ، وتِلكَ هِيَ الدائِمَةُ والباقِيَةُ؟! أَلا يَعْلَمُ أنَّ لَهُ رَبّـًا خَالِقًا مُنْعِمًا عَظِيمًا شَديدَ العِقابِ سَيَسْأَلُهُ عَن أعْمالِهِ وأفْعالِهِ الصادِرَةِ في هذهِ الدُّنْيا الفانِيَةِ وماذا جَهَّزَ وقَدَّمَ لِدارِ بَقائِهِ؟! أَلَيْسَ مِنَ الحِكْمَةِ والعَقْلِ النَّظَرُ والتَّمَعُّنُ في مَعْرِفَةِ هذهِ الدَّعْوَى المُهِمَّةِ عَن الخَالِقِ العَظيمِ والآخِرَةِ والإسْلامِ ومَعْرِفَةِ حَقيقَتِها ومُتَطَلَّباتِها؟ وبِالتَّأكِيدِ سَيَسْمَعُ ويَقْرَأُ أنَّ الصلاةَ تُمَثِّلُ أكْبَرَ وأَهَمَّ المَسائِلِ الفَرعِيَّةِ لِهذا الدينِ الخالِدِ وأنَّها مِن ضَروريّاتِهِ، فَالجَاهِلُ يَجْني عَلى نَفْسِهِ بِجِنايَتِهِ عَلى الصلاةِ بِتَرْكِها.

الثاني: جَهْل المُصَلّي

كَثيرٌ مِن المُصَلّينَ تُرافقُهُم الصلاةُ في حَياتِهِم لَكِنَّ أَحَدَهُمْ لَا يُكَلِّفُ نَفْسَهُ عَنَاءَ التفكيرِ ولا السُّؤالِ عَن مُحْتَوى وأبْعادِ هذا العَمَلِ ومُعْطَياتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ والأخرَوِيَّةِ، ومِثْلُ هَذا المُصَلِّي يَكُونُ قَدْ جَنَى عَلى الصَّلاةِ بِجَهْلِهِ بِحَقيقَةِ الصلاةِ وبِالتالِي يَكُونُ قَدْ جَنَى عَلى نَفْسِهِ بَسَأمِهِ مِن الصلاةِ التي يَعْتَبِرُها عَمَلًا شَكْلِيًّا مُكَرَّرًا مُفَرَّغًا مِن المُحْتَوى.

---

[٥٣] ابن شعبة الحرّاني، تحف العقول، ص١٨؛ بحار الأنوار، ج١، ص١١٩.

حُكِيَ أنَّ أَحَدَ الأشْخاصِ رَأَى شَخْصًا كَبيرًا يُؤَدّي صَلاتَهُ كَنَقْرِ الغُرابِ، فَقالَ لَهُ: أَنْتَ شَيْخٌ كَبيرٌ عَلَيْكَ سِماتُ التُّقَى والصَّلاحِ، لِماذَا تُعَجِّلُ بِصَلاتِكَ؟

قالَ الشَّيْخُ الكَبيرُ: دَعْنِي يَا سَيِّدي، فَقَدْ مَلَلْتُ الصلاةَ ومَلَّتْنِي، حَيْثُ بَدَأْتُ بِها مُنْذُ الصِّغَرِ ورَافَقَتْني عَشَراتِ السِّنينَ ولَمْ تَتَرْكُنْي يَوْمًا وَاحِدًا، أَلَيْسَ مِن حَقّي أَنْ أَسْأَمَ مِنْها وتَسْأَمَ مِنّي.

وفي حَقِيقَةِ الأَمْرِ لَوِ وَعَى هَذا الشَّيْخُ وفَهِمَ مَعْنَى الصلاةِ وعَرَفَ أنَّها عَمَلٌ تَرْبَوِيٌّ إلهِيٌّ مُتكامِلٌ مُؤَثِّرٌ ومُتَفاعِلٌ مَعَ حَرَكَةِ أيّامِهِ وأَفْعَالِهِ وسُلُوكِهِ، لَعَاشَ وتَذَوَّقَ رُوحًا وطَعْمًا وعَطاءً جَدِيدًا ومُمْتِعًا لِصَلاتِهِ في كُلِّ يَوْمٍ.

ومِن المُؤَكَّدِ إنَّنا لَا نَقْصِدُ بِالوَعْيِ والفَهْمِ ما يَسْتَطيعُ بِهِ الإنْسانُ أَن يُعَبِّرَ لَكَ عَن مُحْتَوى الصلاةِ ويُفَسِّرَ حَقيقتَها، بَل المَقْصُودُ الوَعْيُ الحَقيقِيُّ والفَهْمُ والرُّؤْيَةُ العَمِيقَةُ التي يَتَنَوَّرُ القَلْبُ بِها، ويُعْرَفُ هَذا مِن نَفْسِ آثارِ الإنْسانِ ونَبَراتِهِ وإنْ عَجَزَ عَن التَّعْبيرِ بِالكَلِماتِ، ويُشيرُ إلى هَذا مَا وَرَدَ عَن الإمامِ الصادقِ (عليه السلام): «تَجِدُ الرَّجُلَ لَا يُخْطِئُ بِلَامٍ ولَا وَاوٍ خَطِيبًا مُصْقِعًا (بَلِيغًا)، ولَقَلْبُهُ أَشَدُّ ظُلْمَةً مِن الليلِ المُظْلِمِ، وتَجِدُ الرَّجُلَ لَا يَسْتَطيعُ يُعَبِّرُ عَمّا في قَلْبِهِ بِلِسانِهِ، وقَلْبُهُ يُزْهِرُ كما يَزْهُر المِصْبَاحُ»[٥٤].

السابع: الكَسَل

لَقَدْ أَشارَ الشارِعُ المُقَدَّسُ إلى حالاتِ الكَسَلِ في الصلاةِ كَما في:

١ – قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى... وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[٥٥].

٢ – عَن الإمامِ الصادقِ(عليه السلام): «أَنْصِف الناسَ مِن نَفْسِكَ واسهمهم (وواسِهِمْ) في مَالِكَ، وارضَ لَهُمْ بِما تَرْضَى لِنَفْسِكَ، واذْكُر اللهَ كَثيراً، وإيّاكَ والكَسَلَ والضَّجَرَ، فَإنَّ أَبي بِذلكَ كَانَ يُوصِيني... إنَّكَ إذ كَسِلْتَ لَمْ تُؤَدِّ إلى الله حَقَّهُ، وإنْ ضَجِرْتَ لَمْ تُؤَدِّ إلى أَحَدٍ حَقًّا»[٥٦].

وصَلاةُ الكُسالَى تَكونُ فَاقِدَةً لِرُوحِها وحَرارتِها العاطِفِيَّةِ ولِأبْعادِها الفِكْرِيَّةِ؛ لِأنَّها أَصْبَحَتْ عَادَةً وعَمَلًا مُكَرَّرًا مُغْلَقًا مُفَرَّغًا مِن الرُّوحِ والطَّعْمِ والتأثيرِ.

ويُصَنَّفُ الكَسَلُ حَسْبَ مَناشِئِهِ إلى:

---

[٥٤] الكافي، ج٢، ص٤٢٢؛ موسوعة أحاديث أهل البيت، ج٩، ص١٨١.

[٤٨] سورة النساء، الآية: ١٤٢.

[٥٦] المفيد، الأمالي، ص١٨٢؛ بحار الأنوار، ج٦٦، ص٣٩٧.

أوّلًا: كَسَل الجَسَد

ويَحْصُلُ هذا الكَسَلُ بِسَبَبِ الخَلَلِ في وَظائِفِ الجَسَدِ الفسيولوجيّةِ، وبِسَبَبِ الترابُطِ الوَثيقِ بَيْنَ النَّفْسِ والجَسَدِ يَحْصُلُ انْعِكاسُ الكَسَلِ عَلى النَّفْسِ، فَتُصابُ بِالخُمولِ والضَّعْفِ وعَدَمِ القُدْرَةِ عَلى العَمَلِ وتَحْصُلُ الصُّعُوبَةُ والضُّمُورُ في الاسْتيعابِ والشُّعورِ والتَّفاعُلِ ويَنْعَكِسُ هَذا عَلى عِباداتِهِ وخَاصَّةً صَلاتُهُ، وهَذا النَّوْعُ مِن الكَسَلِ عَلى نَحْوِ العُمُومِ لَيْسَ فِيهِ مَحْذُورٌ شَرْعِيٌّ ولَا عَقْلِيٌّ ولَا يُذَمُّ صَاحِبُهُ مَا دَامَ لَمْ يَحْصُلْ بِسَبَبِهِ وبِاخْتِيارِهِ تَطْبيقًا لِقَوْلِهِ تَعالَى: ﴿لا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَها، لَها ما كَسَبَتْ وَعَلَيْها مَا اكْتَسَبَتْ﴾[٥٧]، نَعَمْ، لَوْ أَوْقَعَ الإنْسانُ نَفْسَهُ في الضَّرَرِ الجَسَدِيِّ المُؤَدِّي إلى كَسَلِ النَّفْسِ المُؤَدِّي إلى تَضييعِ الصَّلاةِ، فَمِثْلُ هذا الإنْسانِ يَسْتَحِقُّ الذَّمَّ والعِقابَ في الشَّرْعِ والعَقْلِ.

ثانيًا: كَسَلُ النَّفْسِ

ويَشْملُ قِسْمَيْنِ:

١ – كَسَل إرْهاق النَّفْس:

ويَنتُجُ هذا الكَسَلُ عِندَما تَبْذُلُ النَّفْسُ الجُهْدَ العَالي والمُتواصِلَ دُونَ إعْطائِها قِسْطًا مِن الرَّاحَةِ، فَتُصابُ النَّفْسُ بِالمَرَضِ والإعْياءِ والإرْهاقِ المُؤَدِّي إلى ضَعْفِ وضُمورِ التفاعُلِ والاسْتيعابِ، وغالبًا مَا يَكونُ هذا الكَسَلُ مُؤَقَّتًا، وهذا النَّوْعُ مِن الكَسَلِ لَيْسَ فِيهِ مَحْذُورٌ شَرْعِيٌّ أَوْ عَقْلِيٌّ ولَا يُذَمُّ صَاحِبُهُ مَا دامَ الجُهْدُ المَبْذُولُ مَشْرُوعًا، وأَشارَ لِهذا المَوْلَى الشَّرْعِيُّ كَما في (الأَنْفُس تَمَلُّ كَما تَمَلُّ الأبْدانُ، وإنَّ لَها إقْبالاً وإدْباراً) [٥٨].

٢ – كَسَل انْحِراف النَّفْس:

إذا حَصَلَ انْحِرافُ النَّفْسِ وتَلَوُّثُها بالنَّجاساتِ والرَّذائِلِ الظاهِرِيَّةِ والباطِنِيَّةِ، انْعَكَسَ هذا وأَثَّرَ سَلْبًا عَلى تَفاعُلِ النَّفْسِ وانْسِجامِها مَعَ النَّشاطِ والسُّلوكِ الخَـيِّرِ النافِعِ، حَيْثُ نَجِدُ الكَسَلَ والخُمُولَ والضَّجَرَ والنُّفُورَ مِن هذهِ النشاطاتِ الخَـيِّرَةِ النافِعَةِ، وفي كَثيرٍ مِن الأحْيانِ يَكونُ هذا الانْحرافُ دائِمِيًّا ويُوجَدُ حَالتَانِ لِهذا الكَسَلِ:

---

[٥٠] سورة البقرة، الآية: ٢٨٦.

[٥٨] قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنّ هذه القلوب لتملّ كما تملّ الأبدان فابتغوا لها طرائف الحكمة، وإنّ للقلوب إقبالًا وإدبارًا، فإذا أقبلت فاحملوها على النوافل، وإذا أدبرت فاقتصروا بها على الفرائض». مشكاة الأنوار للطبرسي، ص٤٤٧. ووردت باختلاف بسيط في روضة الواعظين للفتال النيسابوري، ص٤١٤.

الأولى: كَسَلُ الانْحِرافِ الجُزْئِيِّ: وفيهِ يَنْحَصِرُ الضَّجَرُ مِن أعْمالٍ مُعَيَّنةٍ كَالصّلاةِ.

الثانية: كَسَلُ الانْحِرافِ الكُلِّيِّ: وفيهِ يَحْصُلُ الضَّجَرُ مِن جَميعِ النشاطاتِ النافِعَةِ والخَيِّرَةِ ، فَتترَكَّزُ رَغَباتُ النَّفْسِ عَلى النشاطاتِ الضَّارَّةِ.

شخصيّة الإنسان وانحراف النفْس

ومَا يُؤَثِّرُ في انْحِرافِ النَّفْسِ، شَخْصِيَّةُ الإنْسانِ وكَيْفِيَّةُ مُواجَهَةِ الحَياةِ وشُؤونِها، ومُواجَهَةُ الحَياةِ عَلى ثَلاثِ صُوَرٍ:

١ – **مُواجَهَةٌ مَسْؤولَةٌ**: وتَكونُ المُواجَهَةُ بِرُوحٍ وشَخْصِيَّةٍ جَادَّةٍ ومَسْؤُولَةٍ ووَاعِيَةٍ، وهِيَ رُوحُ وشَخْصِيَّةُ الإسْلامِ والإيمانِ الشامِلَةُ لِلحَياةِ الفَرْدِيَّةِ الخاصَّةِ والحَياةِ الاجْتِماعِيَّةِ العامَّةِ لِصَغيرِ الأُمُورِ وكَبيرِها، والتي تَنْظُرُ بِعَيْنِ الطاعَةِ والمَسْؤُولِيَّةِ أَمامَ الله الخَالِقِ المُطْلَقِ عَزَّ وجَلَّ، ومِثْلُ هذا الإنْسانِ يَكونُ حَيَوِيًّا مُتَفاعِلًا مَعَ الحَياةِ في كُلِّ جَوانِبِ سُلوكِهِ وأفْعالِهِ، لِأَنَّهُ سَيَفْعَلُ مَا يُؤْمِنُ بِهِ ويَعْتَقِدُ بِنَفْعِهِ في الدَّارَيْنِ ويَرْفُضُ ويَتَجَنَّبُ ما لَا يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ يُؤْمِنُ ويَعْتَقِدُ بِإضرارِهِ في الدَّارَيْنِ فَيَجْتَنِبُهُ ويَبْتَعِدُ عَنْهُ.

٢– **مُواجَهَةٌ انْتِهازِيَّةٌ غَيْرُ مَسْؤولَةٍ**: وتَكونُ المُواجَهَةُ بِرُوحِ وشَخْصِيَّةِ النِّفاقِ الانْتِهازِيَّةِ الوُصُولِيَّةِ التي تَفْرِضُ عَلى صَاحِبِها مُجاراةَ الناسِ وخِداعَهُم بِالقيامِ بِأَعْمالٍ يُعطيها صُورةَ الصَّلاحِ والخَيْرِ لِإرْضاءِ النّاسِ، لَكِنَّهُ غَيْرُ مُقْتَنِعٍ بِها بَلْ فَعَلَ ذلكَ مِن أجْلِ الوُصولِ إلى غايَتِهِ ومَصالِحِهِ الشَّخْصِيَّةِ، ومِثْلُ هذا المَريضِ المُنْتَفِعِ تَكونُ أعْمالُهُ باطِلَةً وغَيْرَ مَقْبولَةٍ، وقَدْ وَصَفَهُ الشارِعُ المُقَدَّسُ بِالفاسِقِ والمُنافِقِ والكافِرِ وعَدَمِ كَوْنِهِ مُسْلِمًا، وإنَّهُ إذا قامَ لِلصلاةَ كانَ الرِّياءُ وعَدَمُ الجِدِّيَّةِ والكَسَلُ التّامُّ في الصلاةِ وغَيْرِها، ويَشْهَدُ لِهذا:

١ – قوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فاسِقِينَ ۞ وَما مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقاتُهُمْ إِلاَّ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلا يَأْتُونَ الصَّلاةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسالى وَلا يُنْفِقُونَ إِلاَّ وَهُمْ كارِهُونَ ۞ فَلا تُعْجِبْكَ أَمْوالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُمْ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِها فِي الْحَياةِ الدُّنْيا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كافِرُونَ ۞ وَيَحْلِفُونَ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَما هُمْ مِنْكُمْ وَلكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾[٥٩].

([٥٩]) سورة التوبة، الآيات: (٥٣ – ٥٤ – ٥٥ – ٥٦).

٢ – قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنافِقِينَ يُخادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خادِعُهُمْ وَإِذا قامُوا إِلَى الصَّلاةِ قامُوا كُسالى يُراؤُنَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلاَّ قَلِيلًا ۞ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذلِكَ لا إِلى هؤُلاءِ ولا إِلى هؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾[٦٠].

٣ – **مُواجَهَةٌ مَسْؤولَةٌ غَيْرُ تامَّةٍ**: وتكونُ المُواجَهَةُ لَا بِرُوحٍ وشَخْصِيَّةِ النِّفاقِ بَلْ بِرُوحٍ وشَخْصِيَّةٍ ناقِصَةٍ لَمْ يَكْتَمِلْ فيها الإيمانُ والجِدُّ والمَسْؤُولِيَّةُ، ومِثْلُ هذهِ الشَّخْصِيَّةِ تُوَلِّدُ انْحِرافًا وكَسَلًا نَفْسِيًّا تَخْتَلِفُ دَرجاتُهُ بَيْنَ الكَسَلِ المُطْبِقِ عَلى جَميعِ النَّشاطِ الخَيِّرِ بَعْدَ أَنْ كَانَ الخُمولُ والجُمودُ في القَلْبِ، وبَيْنَ الكَسَلِ الجُزْئِيِّ كَالكَسَلِ عَن مَحَبَّةِ الناسِ أَوْ عَناصِرِ الصلاةِ. ولَا يَخْلُو إنْسانٌ مِن هذا الكَسَلِ إلّا بَعْضُ الأَوْلِياءِ والمُقَرَّبينَ والمَعْصُومُونَ (عليهم السلام)، فَالواجِبُ عَلى كُلِّ إنْسانٍ مَعْرِفَةُ سَبَبِ الكَسَلِ الذي يَعْرِضُ لَهُ في الصلاةِ، فَإِنْ كانَ نَاتِجًا عَن كَسَلِ الجَسَدِ والعَارِضِ الصِّحِّيِّ رَفَعَهُ بِالمُعالَـجَةِ الصحِّيَّةِ الجَسَدِيَّةِ، وكذا الكَلامُ في كَسَلِ إرْهاقِ النَّفْسِ حَيْثُ يُرْفَعُ بِمُعالَـجَةِ النَّفْسِ وعَدَمِ إجْهادِها بِأَعْمالٍ أُخْرَى أَقَلّ أَهَمِّـيَّةً مِن الصلاةِ أَوْ لَيْسَ فِيها أَهَمِّـيَّةٌ أَصْلاً، وإنْ كانَ الكَسَلُ نَاتِجًا عَن كَسَلِ انْحِرافِ النَّفْسِ الذي فيهِ الضُّمُورُ والضَّعْفُ في التفاعُلِ معَ السُّلوكِ والنشاطاتِ الخَيِّرَةِ، فَتُصْبِحُ صَلاتُهُ (مَثَلًا) صَلاةَ كُسالَى، ولِمُعالجَةِ هذا الكَسَلِ في الصلاةِ وإنْقاذِ النَّفْسِ بِالخُروجِ مِن صَلاةِ الكُسالَى إلى صَلاةِ الواعِينَ العارِفينَ الخاشِعينَ، تُوجَدُ أساليبُ مُخْتَلِفَة مُناسِبَة مِنْها:

١ – تَطْهيرُ النَّفْسِ وتَذْكِيَتُها مِن الانْحِرافاتِ الرُّوحِيَّةِ والأَخْلاقِيَّةِ.

٢ – تَفَهُّمُ الصلاةِ ومَعْرِفَةُ ثِمارِها ومُعْطَياتِها الرُّوحِيَّةِ والنَّفْسِيّة والصِّحِّيَّةِ والاجْتِماعِيَّةِ.

٣ –مَعْرِفَةُ حَقيقةِ الصلاةِ وآدابِها المَعْنَوِيَّةِ، وإدْراكُ ذلكَ وتَفَهُّمُهُ لِلدَّرَجَةِ التي يُحِسُّ المُصَلّي ويَشْعُرُ ويَسْتَمْتِعُ بِنَظَرِ الله تَعالَى إلَيْهِ في الصلاةِ وأنَّ المَلائِكَةَ والصالِحِينَ (عليهم السلام) يُؤَمِّنونَ عَلَى دُعائِهِ ويَسْتَغْفِرونَ لَهُ، فَيَعيشُ بِرُوحِهِ وفِكْرِهِ وجَسَدِهِ بِراحَةٍ ومُتْعَةٍ في حَقْلٍ جَميلٍ واسِعٍ مُنْفَتِحٍ فِيهِ الحَياةُ والرُّقِيُّ والتَّكامُلُ.

الثامن: حُبّ الذات

إنَّ حُبَّ الذّاتِ الشَّخْصِيِّ المادِّيِّ مِن أَعَمِّ الغَرائِزِ بَلْ يُمْكِنُ القَوْلُ أنَّ جَميعَ الغَرائِزِ المُنْحَرِفَةِ والضّارَّةِ تَرْجِعُ إلَيْها، فالإنْسانُ المُحِبُّ لِذاتِهِ كَالمُصَلِّي (مَثَلًا) يَجْنِي عَلَى صَلاتِهِ ويُضَيِّعُها بِعِدَّةِ صُوَرٍ مِنْهَا:

الأولى: النِّفاق والرِّياء

---

(٦٠) سورة الآيات، الآية: ١٤٢ – ١٤٣.

المَعْرُوفُ أنَّ المُنافِقَ والمُرائِيَ يَعيشُ وَاقِعًا حُبَّ الذّاتِ الشَّخْصِيِّ المادِّيِّ لكِنَّهُ يُظْهِرُ لِلنّاسِ خِلافَ ذلكَ مِن أجْلِ الحُصولِ عَلَى المَنافِعِ الشخصيَّةِ الدنيئَةِ، وجِنايَتُهُ عَلَى الصَّلاةِ (مَثلًا) وتَضْييعُها يَتَمَثَّلُ في تَحْويلِها مِن عَمَلٍ تَرْبَوِيٍّ رَفيعٍ مُطَهِّرٍ إلى عَمَلٍ مُفَرَّغٍ مِن الرُّوحِ والمَعْنَى يَقُومُ عَلَى أَساسِ المَكْرِ والخِداعِ لِلنَّفْسِ والنّاسِ، ويُمارِسُ هذا الخِداعَ والمَكْرَ في كُلِّ يَوْمٍ بَلْ في كُلِّ وَقْتٍ.

الثانية: سُوء الفَهْم والتطبيق

كَثيرٌ مِن الناسِ يَعيشُ حُبَّ الذّاتِ المادِّيِّ الشَّخْصِيِّ في داخلِهِ وفي سُلُوكِهِ الخارِجِيِّ، ومَعَ هَذا فَهُوَ يَعْتَقِدُ بِصِحَّةِ مَا يَفْعَلُهُ وإنَّهُ مُطابِقٌ لِواقِعِ مَا يُريدُهُ الشارِعُ المُقَدَّسُ مِن رُوحِ ومَعْنَى العِباداتِ والأفْعالِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، ومِثْلُ هذا الاعْتِقادِ الخاطِئِ يَرْجِعُ إلى عَدَمِ اطِّلاعِهِ وفَهْمِهِ لِلْمَعْنَى الصَّحِيحِ لِلْعِبادَةِ كَالصَّلاةِ وحَقيقَتِهَا.

وأكْتَفي بِذِكْرِ أمْرَيْنِ عِبادِيَّيْنِ لَمْ يُفْهَما ولَمْ يُطَبَّقا بِصُورَةٍ صَحيحَةٍ:

الأوّل: الولاية:

لَا يَخْفَى أنَّ الشارِعَ المُقَدَّسَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْنا وِلايَةَ أهْلِ البَيْتِ (عليهم السلام) ومَحَبَّتَهُم، وقَدْ أعْطَى المعصومون المَعْنَى الحَقِيقِيَّ الشَّرْعِيَّ لِلْوِلايَةِ، والذي فيهِ تَخَلِّي المُوَالِي عَن رَذائِلِ الأخْلَاقِ وقَذاراتِ المَعاصِي والتَّحَلِّي بِالخُلُقِ الكَريمِ وبِالتَّقْوَى، وامْتِثالِ الأوامِرِ والإرشاداتِ بِما يُؤَدِّي إلى تَكامُلِ الفَرْدِ وجَعْلِهِ عُنْصُرًا فَعَّالًا في المُجْتَمَعِ ومُحِبًّا لِأخِيهِ الإنسانِ فَيَسُودُ الأمَانُ والسَّعادَةُ في الدَّارَيْنِ، وقَدْ أشارَ إلى هذا المَعْنَى مَا وَرَدَ:

١- عَن الإمامِ الباقرِ (عليه السلام) عَن آبائِهِ عَن أَميرِ المؤمنينَ (عليه السلام): «شِيعَتُنا المُتَباذِلونَ في وِلايَتِنا، المُتَحابُّونَ في مَوَدَّتِنا، المُتَزاوِرُونَ في إحْياءِ أَمْرِنا، الذينَ إنْ غَضِبُوا لَمْ يَظْلِمُوا، وإنْ رَضُوا لَمْ يُسْرِفُوا، بَرَكَةٌ عَلَى مَنْ جَاوَرُوا، سِلْمٌ لِـمَنْ خَالَطُوا»[٦١].

٢ - عَن الإمامِ الباقرِ (عليه السلام): «أَحَسِبَ الرَّجُلُ أَن يَقُولَ أُحِبُّ عَلِيًا وأَتَوَلّاهُ ثُمَّ لَا يَكونُ مَعَ ذلكَ فَعّالًا، فَلَوْ قالَ: إنّي أُحِبُّ رَسُولَ الله، فَرَسُولُ الله (صلى الله عليه وآله) خَيْرٌ مِن عَلِيٍّ (عليه السلام) ثُمَّ لَا يَتَّبِعُ سِيرَتَهُ، ولَا يَعْمَلُ بِسُنَّتِهِ، مَا نَفَعَهُ حُبُّهُ إيّاهُ شَيْئًا، فَاتَّقُوا اللهَ واعْمَلُوا لِما عِنْدَ الله، لَيْسَ بَيْنَ الله وبَيْنَ أَحَدٍ قَرابَةٌ، أَحَبُّ

[٦١] الكافي، ج٢، ص٢٣٧؛ وسائل الشيعة، ج١٥، ص١٩٠؛ بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٩٠.

العِبادِ إلى الله عِزَّ وجِلَّ وأَكْرَمُهُم عَلَيْهِ أَتْقَاهُمْ وأَعْمَلُهُم بِطاعَتِهِ... مَنْ كَانَ لله مُطِيعًا فَهُوَ لَنا وَلِيٌّ، ومَنْ كانَ لله عَاصِيًا فَهُوَ لَنا عَدُوٌّ، وما تُنالُ وِلايَتُنا إلاّ بِالعَمَلِ والوَرَعِ»[٦٢].

والمُؤْسِفُ جِدّاً أنَّ الكَثيرَ مِن الناسِ يُفرِّغُ الوِلايةَ مِن مَعناها الحَقيقِيِّ الحَيِّ الشَّرْعِيِّ ويُحَوِّلُها إلى مَعْنَى أَجْوَفَ يُمَثِّلُ عَلاقَةً شَخْصِيَّةً مادِّيَّةً ضَيِّقَةً، فَيَجْعَلُها وَسيلَةً لِلحُصولِ عَلى الشفاعَةِ أو لِطَلَبِ الرِّزْقِ أو لِإطالَةِ العُمْرِ أو لِقَضاءِ حاجاتٍ دُنْيَوِيَّةٍ أُخرى، ومِثْلُ هذهِ الغاياتِ في نَفْسِها لَيْسَ فِيها مَحْذُورٌ لكِنَّ المَحْذُورَ يَحْصُلُ عِنْدَما تَتَعارَضُ هذهِ المَصالِحُ والمَطالِبُ الشَّخْصِيَّةُ مَعَ المَصالِحِ الإسْلامِيَّةِ العُلْيا لِلْأَفْرادِ والمُجْتَمَعِ، فَعِنْدَ تَقديمِ المَصالِحِ الشَّخْصِيَّةِ يَكونُ مِثْلُ هذا الشخص غَيرَ مُوالٍ لِأَهْلِ البَيْتِ (عليهم السلام)؛ لِأَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ الوِلايَةَ مِن رُوحِها ومَعْناها الحَقيقِيِّ الإسلامِيِّ الرِّسالِيِّ وتَمَسَّكَ بِمَعْنَى جَامِدٍ مُفَرَّغٍ لَا يُمَثِّلُ الوِلايَةَ الحقيقِيَّةَ الشرعِيَّةَ، ومِن هؤلاءِ الناسِ العَديدُ مِمَّنْ يَذْهَبُ لِزيارَةِ المَشاهِدِ المُشَرَّفَةِ والعَديدُ مِمَّنْ يَعْقِدُ المَجالِسَ الحُسَيْنِيَّةَ وغَيْرَها مِن مَجالِسِ التَّعْزِيَةِ لِلْمَعْصُومِينَ (عليهم السلام).

الثاني: الصلاة

عَرَفْنا أنَّ الشارِعَ المُقَدَّسَ فَرَضَ عَلَيْنا الصلاةَ وبَيّنَ أَنَّهُ يُريدُ بِها الصلاةَ الناهِيَةَ عَن الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ، والتي إنْ قُبِلَت قُبِلَ مَا سِواها مِن أَعْمالٍ، وأنَّها مِعْراجُ المُؤْمِنِ، وتارِكُها فَاسِقٌ ومُنافِقٌ وكافِرٌ ولَيْسَ بِمُسْلِمٍ، ومَعَ هذا نَجِدُ الكَثيرَ مِن المُصَلِّينَ يَجْنِي عَلَى الصَّلاةِ ويُضَيِّعُها ويُفَرِّغُها مِن مَعْناهَا الحَقيقِيِّ الشُّمُولِيِّ مِن التربِيَةِ الإسْلامِيَّةِ الرسالِيَّةِ، ويَنْحَرِفُ بِها نَحْوَ المَعانِي الذاتِيَّةِ الشخصِيَّةِ المادِّيَّةِ، فَلا نَرى ذلكَ المُصَلِّي آمِرًا بِالمَعْرُوفِ ولَا ناهِيًا عَن المُنْكَرِ ولَا مُهْتَمًّا بِأُمُورِ المُسْلِمِينَ بَلْ يَتعاوَنُ مَعَ أَهْلِ الشِّرْكِ والنِّفاقِ لِلإضْرارِ بِالإسلامِ والمُسْلِمِينَ مِن أَجْلِ أَمْرٍ دُنْيَوِيٍّ تافِهٍ وزائِلٍ، ولَا نَراهُ مُتَحَلِّيًا بِأَخْلاقِ أَهْلِ البَيْتِ (عليهم السلام) بَلْ يَتَحلَّى بِأَخْلاقِ أعْدائِهِم، والمُؤْسِفُ جِدًا إنَّ كُلَّ واحِدٍ مِنْهُمْ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ قَدْ طَبَّقَ التعالِيمَ الإسْلامِيَّةَ الشَّرْعِيَّةَ كَالصَّلاةِ وغَيْرِها بِصُورَةٍ صَحيحَةٍ وتَامَّةٍ ومَقْبُولَةٍ لكِنَّ الواقِعَ خِلافُ هذا.

حُبّ الذات الإسلامِيّ الرسالِيّ

ذَكَرْنا في مُناسَباتٍ عَديدةٍ أنَّ الشَّارِعَ المُقَدَّسَ تَصَدَّى لِصِياغَةِ الأوامِرِ والأحْكامِ بِالصُّورَةِ التي تُحَقِّقُ الأهْدافَ الرئيسَةَ التي مِن أجْلِها جُعِلَتْ الشَّرايعُ والأدْيانُ، وأهَمُّ الأهْدافِ والغايَةُ القُصْوَى تَحْقيقُ العَلاقَةِ المِثالِيَّةِ بَيْنَ الإنسانِ وأخيهِ الإنْسانِ لِلوُصولِ إلى التَّكامُلِ والأَمانِ الاجْتِماعِيِّ والسَّعادَةِ في الدَّارَيْنِ، الاخْتِيارِ والقَرارِ، وقَدْ عَرَفْنا أنَّ الصلاةَ عَمُودُ الدِّينِ ومِعْراجُ المُؤْمِنِ ونَاهِيَةٌ عَن الفَحْشاءِ

---

[٦٢] الكافي، ج٢، ص٧٤؛ جامع أحاديث الشيعة، ج١٤، ص٩٢.

والمُنْكَرِ...، فَبالضَّرُورَةِ تَكونُ الصلاةُ مَشْمُولَةً بِهذهِ الصِّياغاتِ الشَّرْعِيَّةِ والتي فِيهَا تَكَامُلٌ وسَعَادَةٌ لِلْمُجْتَمَعِ، فَالمُصَلِّي الذي يُحَوِّلُ صَلاتَهُ إلى عَمَلٍ ضَيِّقٍ يُرَسِّخُ ذاتَهُ الشخصِيَّةَ ويُنَمِّيها فَقَطْ ويُفَرِّغُ صَلاتَهُ مِن الرُّوحِ والثَّمَرَةِ الاجْتِماعِيَّةِ يَكونُ قَدْ جَنَى عَلى الصَّلاةِ وضَيَّعَها، ونَحْنُ لَا نَقْصِدُ إلغاءَ حُبِّ الذَّاتِ مُطْلَقًا، فَإنَّ هذا الشيءَ الغَريزِيَّ لَا يُمْكِنُ إزالَتُهُ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ، بَلْ نَقْصِدُ تَوجيهَهُ وتَصْحيحَهُ بإعْطائِهِ المَعْنَى الحَقيقِيَّ المُناسِبَ لِتَحْقيقِ الأهْدافِ السَّامِيَةِ الإسلامِيَّةِ، وبِعبارَةٍ أَوْضَحَ: يُوجَدُ مَفْهُومانِ لِحُبِّ الذَّاتِ:

الأوّل: حُبّ الذّاتِ الشَّخْصِيُّ المادِّيُّ

ومِثْلُ هذا الإنسانِ يُحِبُّ اللَذَّةَ والمَنْفَعَةَ والسعادَةَ لِنَفْسِهِ، ويُبْغِضُ الأَلَمَ والشَّقاءَ لَها، فَيَنْدَفِعُ إلى كَسْبِ مَعيشَتِهِ وتَوْفيرِ حاجاتِهِ الشخْصِيَّةِ الغِذائِيَّةِ والمادِّيَّةِ، وهذهِ القِيَمُ المادِّيَّةُ تُوَفِّرُ لَهُ المُتَعَ والمَسَرّاتِ واللذّاتِ.

الثاني: حُبُّ الذّاتِ الرِّساليُّ الإسلامِيُّ

ومِثْلُ هذا الإنسانِ يُرَبّي نَفْسَهُ عَلى جَعْلِ مَصالِحِهِ الذَّاتِيَّةِ الشخصِيَّةِ ومَصالِحِ المُجْتَمَعِ الجَماعِيَّةِ شَيْئًا واحِدًا، فَتكونُ اللذَّةُ والمَنْفَعَةُ والمَسَرَّةُ عِنْدَهُ هِيَ ما يَحْصُلُ لِلْمُجْتَمَعِ مِن لَذّاتٍ ومَسَرّاتٍ ومَنافِعَ؛ أَيْ: يَكُونُ الْتِذاذُهُ بِالقِيَمِ المَعْنَوِيَّةِ والخُلُقِيَّةِ لَا بالقِيَمِ المادِّيَّةِ، فَعَلَيْنا أَنْ نَفْهَمَ المَعْنَى الرُّوحِيَّ والواقِعِيَّ لِلحَياةِ والإحْساسَ الخُلُقِيَّ بِهَا.

وبِما أنَّ الصلاةَ مِن أَهَمِّ العِباداتِ المُلازِمَةِ والمُرافِقَةِ لِلإنْسانِ، لِذلكَ جَعَلَها الشارِعُ المُقَدَّسُ عَمَلًا تَرْبَوِيًّا يَجِبُ الاسْتِفادةُ مِنْهُ في تنمية حُبِّ الذَّاتِ الإسْلامِيِّ الرِّساليِّ، فَيَكُونُ عَمَلُ الخَيْرِ والتَّضْحِيَةُ مِن أَجْلِ الناسِ والمُجْتَمَعِ هُوَ الأَمْرُ المَحْبُوبُ إلَى النَّفْسِ والذي فِيهِ مَرْضاةُ الله سُبْحانَهُ وتَعالَى، وبِخِلافِ ذلكَ تَحْصُلُ الجِنايَةُ والتَّضْييعُ لِلصَّلاةِ والإسْلامِ، فَعَلَى كُلٍّ مِنّا:

١ – مُراقَبَةُ نَفْسِهِ وسُلُوكِهِ العامِّ، ويَتَوثَّقُ مِن حُصُولِهِ مِن صِلاتِهِ عَلَى التَّرْبِيَةِ الذَّاتِيَّةِ الإسْلامِيَّةِ الرِّساليَّةِ، بِأَن يَعيشَ لِإسْلامِهِ ولِرِسالَتِهِ حَتّى لَوْ كانَ عَلَى حِسابِ ذاتِهِ الشَّخْصِيَّةِ.

٢ – المُحافَظَةُ عَلَى ذلكَ السُّلوكِ العامِّ الرِّساليِّ، وذلكَ بِتكرارِ المُراقَبَةِ والمُحاسَبَةِ والاسْتِمرارِ بِها وتَجاوُزِ الأخْطاءِ ونُقاطِ الضّعْفِ التي تَمُرُّ بِها النَّفْسُ، ومِمّا يُحَقِّقُ ذلكَ مَعْرِفَةُ المَعانِي الرُّوحِيَّةِ والسُّلُوكِيَّةِ لِلصَّلاةِ والتَّفاعُلُ مَعَها والاسْتِفادَةُ مِنْها ومَعْرِفَةُ ثِمارِها المُخْتَلِفَةِ وبَذْلُ الجُهْدِ لِاقْتِطافِها اليَوْمِيِّ.

الفصل الثالث

شروط قبول الصلاة

بَعْدَ التَّمَعُّنِ في ما صَدَرَ عَن الشارِعِ المُقَدَّسِ نَجِدُ العَديدَ مِن المُقَدِّماتِ والشُّرُوطِ الخاصَّةِ والعامَّةِ لِقَبُولِ الصَّلاةِ، وسَنَجِدُ بَعْضَ المَعاني والآثارِ أو الثِّمارِ المُتَرَتِّبةِ عَلَى الصَّلاةِ، فَمَثلًا سَنَعْرِفُ مَا المَقْصودُ مِن النَّهْيِ عَن الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ أَو عَمُودِ الدِّينِ وغَيْرِها، وفِيما يَلي بَعْضُ مَا صَدَرَ عَن المَوْلَى الشَّرْعِيِّ لِبَيانِ بَعْضِ شُرُوطِ ومُقَدِّماتِ قَبُولِ الصَّلاةِ:

الأوّل: مَعرِفَةُ النبيِّ(ﷺ) حَقّ المَعْرِفَةِ

عَن الإمامِ الصادِقِ(عليه السلام): «إنَّما يَقْبَلُ اللهُ مِن العِبادِ العَمَلَ بِالفَرائِضِ التي افْتَرَضَها اللهُ عَلَى حُدُودِهَا مَعَ مَعْرِفَةِ مَن جَاءَهُم بِهِ مِن عِنْدِهِ ودَعاهُمْ إلَيْهِ... وكُلُّ ذلكَ هُوَ النبِيُّ، والنبِيُّ أَصْلُهُ، وهُوَ أَصْلُ هذا كُلِّهِ؛ لِأنّهُ جَاءَ بِهِ ودَلَّ عَلَيْهِ وأَمَرَ بِهِ، ولَا يَقْبَلُ مِن أَحَدٍ شَيْئًا مِنْهُ إلَّا بِهِ... وإنَّهُ مَنْ صَلَّى وزَكَّى وحَجَّ واعْتَمَرَ وفَعَلَ ذلكَ كُلَّهُ بِغَيْرِ مَعْرِفَةِ مَن افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهِ طاعَتَهُ، لَمْ يَقْبَلْ مِنْهُ شَيْئًا مِن ذلكَ، ولَمْ يُصَلِّ ولَمْ يَصُمْ ولَمْ يُزَكِّ ولَمْ يَحُجَّ ولَمْ يَعْتَمِرْ ولَمْ يَغْتَسِلْ مِن الجَنابَةِ ولَمْ يَتَطَهَّرْ ولَمْ يُحَرِّمْ لله حَرامًا ولَمْ يُحَلِّلْ لله حَلالاً، ولَيْسَ لَهُ صَلاةٌ وإنْ رَكَعَ وسَجَدَ، ولَا لَهُ زَكاةٌ وإنْ أَخْرَجَ لِكُلِّ أَرْبَعِينَ دِرْهَمًا دِرْهَمًا»[٦٣].

الثاني: وِلايَةُ أَهْلِ البَيْتِ (عليهم السلام)

مِن الوَاضِحِ أَنَّنا لَا نَقْصِدُ عُنْوانَ الوِلايَةِ المُفَرَّغَ مِن الرُّوحِ بَلْ نَقْصِدُ الوِلَايَةَ الحَقِيقِيَّةَ الأَصِيلَةَ التي أَشارَ إلَيْها الشارِعُ المُقَدَّسُ مِن التَّقْوَى والإيمانِ الصَّادِقِ والأَخْلاقِ الفَاضِلَةِ مِن التَّواضُعِ والكَرَمِ والإيثارِ والعِفَّةِ والتَّسامُحِ وغَيْرِها، وإلَيْكَ بَعْضَ المَوارِدِ التي تُشِيرُ إلى أَنَّ الوِلايَةَ مِن شُروطِ قَبُولِ الصَّلاةِ وغَيْرِهَا مِن الأَعْمالِ:

١ – عَن النبِيِّ(ﷺ): «مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا تَقَبَّلَ اللهُ صَلاتَهُ وصِيَامَهُ وقِيَامَهُ»[٦٤].

٢– عَن أميرِ المؤمنينَ(عليه السلام): «فَإنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وحَقِّ رَسُولِهِ وأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا ووَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى الله، واسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ»[٦٥].

---

[٦٣] بحار الأنوار، ج٢٤، ص٢٩٣.

[٦٤] محمد بن الحسن القمي، العقد النضيد والدر الفريد، ٢٧؛ بحار الأنوار، ج٦٥، ص١٢٤.

٣ - عَن النبيِّ الأَكْرَمِ (ﷺ): «مِفْتَاحُ الصَّلاةِ الطُّهُورُ، وتَحْرِيمُهَا التَّكْبيرُ، وتَحْلِيلُها التَّسْلِيمُ، لَا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَى صَلاةً بِغَيْرِ طُهُورٍ،... ، وإنَّ أَعْظَمَ طُهُورِ الصَّلاةِ التي لَا يُقْبَلُ الصَّلاةُ إلّا بِهِ، ولَا شَيْئًا مِن الطَّاعَاتِ مَعَ فَقْدِهِ، (الطُّهُورُ هُوَ) مُوَالاةُ مُحَمّدٍ (ﷺ) وأَنَّهُ سَيِّدُ الْمُرْسَلينَ، ومُوالاةُ عَلِيٍّ (عليه السلام) وأَنَّهُ سَيِّدُ الوَصِيّينَ، ومُوالاةُ أَوْلِيائِهما ومُعادَاةُ أَعْدَائِهما»[٦٦].

وأمّا مَعْنَى الوِلايَةِ الحَقِيقِيِّ والْمُوَالي الصَّادِقِ الوَرِعِ، فَقَدْ أشارَ إلَيْهِ الشارِعُ الْمُقَدَّسُ في عِدَّةِ مَوارِدَ:

١- عَن الإمامِ الصادِقِ (عليه السلام): «نَحْنُ أَصْلُ كُلِّ خَيْرٍ ومِن فُروعِنا كُلُّ بِرٍّ، ومِن البِرِّ التَّوْحِيدُ والصَّلاةُ والصِّيامُ وكَظْمُ الغَيْظِ والعَفْوُ عَن الْمُسيءِ ورَحْمَةُ الفَقيرِ وتَعَاهُدُ الجَارِ والإقْرارُ بِالفَضْلِ لِأَهْلِهِ، وعَدُوُّنَا أَصْلُ كُلِّ شَرٍّ ومِن فُرُوعِهِم كُلُّ قَبيحٍ وفَاحِشَةٍ، فَمِنْهُم الكَذِبُ والنَّميمَةُ، والبُخْلُ، والقَطيعَةُ، وأَكْلُ الرِّبَا، وأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ بِغَيْرِ حَقِّهِ، وتَعَدِّي الحُدودِ التي أَمَرَ اللهُ عَزَّ وجَلَّ، ورُكُوبُ الفَواحِشِ مَا ظَهَرَ مِنْها ومَا بَطَنَ مِن الزِّنَا والسَّرِقَةِ، وكُلُّ مَا وَافَقَ ذلكَ مِن القَبيحِ، وكَذَبَ مَنْ قَالَ: إنَّهُ مَعَنا وهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِفَرْعِ غَيْرِنَا»[٦٧].

٢- عَن الإمامِ الصادِقِ (عليه السلام): «لَيْسَ مِنْ شِيعَتِنا مَنْ قَالَ بِلِسانِهِ وخَالَفَنا في أَعْمالِنا وآثارِنا، ولكِن شِيعَتنا مَنْ وَافَقَنا بِلِسانِهِ وقَلْبِهِ، واتَّبَعَ آثارَنا وعَمِلَ بِأَعْمالِنا، أُولئِكَ شِيعَتُنا»[٦٨].

٣ - وعَن صادِقِ أَهْلِ البَيْتِ (عليه السلام): «إنَّمَا شِيعَةُ جَعْفَر مَنْ عَفَّ بَطْنُهُ وفَرْجُهُ، واشْتَدَّ جِهادُهُ، وعَمِلَ لِخالِقِهِ، ورَجَا ثَوابَهُ، وخَافَ عِقَابَهُ، فَإذا رَأَيْتَ أُولئِكَ فَأُولئِكَ شِيعَةُ جَعْفَر»[٦٩].

٤ - وعَن الإمامِ جَعْفَرٍ الصادِقِ (عليه السلام): «إيّاكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا عَمَلًا نُعَيَّرُ (يُعَيِّرُنا) بِهِ، فَإنَّ وَلَدَ السُّوءِ يُعَيَّرُ والدُهُ بِعَمَلِهِ، كُونُوا لِمَنْ انْقَطَعْتُمْ إلَيْهِ زَيْنًا ولَا تَكُونُوا عَلَيْهِ شَيْنًا، صلوا في عَشَائِرِهِمْ، وعُودُوا مَرْضَاهُمْ، واشْهَدُوا جَنائِزَهُمْ، ولَا يَسْبِقُونَكُمْ إلَى شَيْءٍ مِن الخَيْرِ فَأَنْتُمْ أَوْلَى بِهِ مِنْهُمْ»[٧٠].

---

[٦٥] محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص١٣٣.

[٦٦] بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣١٦؛ وسائل الشيعة، ج١، ص٣٩٨.

[٦٧] بحار الأنوار، ج٢٤، ص٣٠٣؛ الكافي، ج٨، ص٢٤٢.

[٦٨] وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٤٧؛ مستدرك سفينة البحار، ج١٠، ص٢٨٤.

[٦٩] الصدوق، الخصال، ص٢٩٦؛ وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٥١.

[٧٠] الكافي، ج٢، ص٢١٩؛ وسائل الشيعة ج١٦، ص٢١٩.

الثالث: اتباع الحق وأهله

مَهْمَا صَلَّى الإنْسانُ ومَهْمَا عَمِلَ فَإنَّ صَلاتَهُ لَا تُقْبَلُ مَا دَامَ يَسْلُكُ طَرِيقَ الهَوَى والضَّلالَةِ مُبْتَعِدًا عَن طَرِيقِ الحَقِّ وأَهْلِهِ، ويَشْهَدُ لِهذا مَا وَرَدَ عَن النَّبِيِّ (ﷺ): «أُمَّتِي أُمَّتِي إذَا اخْتَلَفَ الناسُ بَعْدِي، وصَارُوا فِرْقَةً فِرْقَةً، فَاجْتَهِدُوا في طَلَبِ الدِّينِ الحَقِّ حَتّى تَكُونُوا مَعَ أَهْلِ الحَقِّ، فَإنَّ المَعْصِيَةَ في دِينِ الحَقِّ تُغْفَرُ، والطاعَةُ (الصلاةُ وغَيْرُها) في دِينِ الباطِلِ لَا تُقْبَلُ»[٧١].

الرابع: الإقبال والتوجّه

عَلَى المُصَلّي الإقْبالُ عَلَى الصلاةِ بِتَوَجُّهِ الجَوارِحِ لله تَعَالَى وحُضُورِ قَلْبِهِ مَعَ جَوارِحِهِ وبَدَنِهِ حَتّى تَكُونَ صَلاتُهُ مَقْبُولَةً إذا تَوَفَّرَتْ بَاقِي الشُّرُوطِ، ويَشْهَدُ لِهذا:

١) وَرَدَ عَن النبِيِّ الأَكْرَمِ (ﷺ): «هَلَكَتْ بَنُو إسْرائِيلَ، حَضَرَتْ أَبْدانُهُمْ وغَابَتْ قُلُوبُهُمْ، ولَا يَقْبَلُ اللهُ صَلاةَ عَبْدٍ لَا يَحْضُرُ قَلْبُهُ مَعَ بَدَنِهِ»[٧٢].

٢) عَن الإمامِ الباقِرِ (عليه السلام): «إنَّ العَبْدَ لَيُرفَعُ لَهُ مِنْ صَلاتِهِ نِصْفُها أَوْ ثُلُثُها أَوْ رُبُعُهَا أَوْ خُمُسُهَا، فَمَّا يُرْفَعُ لَهُ إلاّ مَا أَقْبَلَ عَلَيْهِ مِنْهَا بِقَلْبِهِ»[٧٣].

الخامس: أداء الزكاة

حَثَّ الشَّارِعُ المُقَدَّسِ عَلَى أَداءِ الزَّكاةِ لِتَأْدِيبِ النَّفْسِ وتَحْقِيقِ التَّكامُلِ الاجْتِماعِيِّ، ولِلتَّأْكِيدِ عَلَى ذلكَ جَعَلَ أَداءَ الزَّكاةِ مِنْ شُروطِ قَبُولِ الصَّلاةِ والتي لَا تُقْبَلُ الأعْمالُ إلاّ بِقَبُولِها (أيْ: بِقَبُولِ الصَّلاةِ)، ويُشيرُ إلَيْهِ مَا وَرَدَ عَن الإمامِ الرِّضا (عليه السلام): «إنَّ اللهَ عَزَّ وجَلَّ أَمَرَ بِثَلاثَةٍ مَقْرُونٌ بِها ثَلاثَةٌ أُخْرَى: أَمَرَ بِالصَّلاةِ والزَّكاةِ، فَمَنْ صَلَّى ولَمْ يُزَكِّ لَمْ تُقْبَلْ مِنْهُ صَلاتُهُ»[٧٤].

السادس: الأخلاق الحَسَنة

مِن شُروطِ قَبُولِ الصَّلاةِ الاتِّصافُ بِالأخْلاقِ الحَسَنَةِ كَالتَّواضُعِ والشَّفَقَةِ والإيثارِ والكَرَمِ ونَحْوِهَا، ويَشْهَدُ لِهذا:

مَا وَرَدَ عَن الإمامِ الصادقِ (عليه السلام): «إنَّمَا أَقْبَلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ يَتَواضَعُ لِعَظَمَتِي...،

---

[٧١] بحار الأنوار، ج٢٧، ص١٩٧؛ النوري، مستدرك الوسائل، ج١، ص١٦٩.

[٧٢] البرقي، المحاسن، ج١، ص٢٦٠؛ جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٣٧.

[٧٣] الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٣٢٨؛ بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٣٨؛ وسائل الشيعة، ج٤، ص٧١.

[٧٤] الخصال، ص١٥٦؛ وسائل الشيعة، ج٩، ص٢٥.

ولا يَتَعاظَمُ عَلى خَلْقِي، ويُطْعِمُ الجائِعَ، ويَكسُو العارِيَ، ويَرْحَمُ المُصابَ، ويُؤوِي الغَريبَ، فَذلِكَ يُشْرِقُ نورُهُ مِثْلَ الشَّمْسِ، أَجْعَلُ لَهُ فِي الظُّلْمَةِ نُورًا وفِي الجَهالَةِ عِلمًا، وأكلأُهُ بِعِزَّتِي، وأستَحفِظُهُ مَلائِكَتِي، يَدْعُونِي فَأُلَبّيهِ، ويَسأَلُنِي فَأُعْطِيهِ»[٧٥].

السابع: التقوى

وهِيَ خَصْلَةٌ مِن الطاعَةِ يُحْتَرَزُ بِها مِن العُقُوبَةِ وهِيَ أَصْلُ الإيمانِ، وقِيلَ: إنَّ التَّقْوَى غَيْرُ الطاعَةِ، فَالطَّاعَةُ هِيَ الانْقِيادُ لِمَطْلُوبِ الشَّارِعِ بِمَا أَمَرَ بِهِ وَاجِبًا كَانَ أَوْ مُسْتَحَبًّا، والتَّقْوَى هِيَ كَفُّ النَّفْسِ عَمّا نَهَى الشارِعُ عَنْهُ حَرامًا كَانَ أَوْ مَكْرُوهًا، أيْ: إنَّ التَّقْوَى شَرْطٌ فِي قَبُولِ الصَّلاةِ، فَقَدْ وَرَدَ أنَّ النبِيَّ الأكْرَمَ (ﷺ) قالَ لِأبي ذَرٍّ (رضوان الله عليه): «يا أبا ذرّ إنَّ المُتَّقينَ الذينَ يَتَّقُونَ اللهَ مِن الشيْءِ الذي لا يُتَّقَى مِنْهُ، خَوْفًا مِن الدُّخُولِ فِي الشُّبْهَةِ (أي الضَّلالة والبِدْعَة)»[٧٦]. ويَشْهَدُ لِهذا:

١ – قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقِينَ﴾[٧٧].

٢ – عَن الإمامِ الصادقِ(عليه السلام): « إنَّما أَقْبَلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ يَتَواضَعُ لِعَظَمَتِي، ويَكُفُّ نَفْسَهُ عَن الشَّهَواتِ مِنْ أَجْلِي، ويَقْطَعُ نَهارَهُ بِذِكْرِي، ولَا يَتَعاظَمُ عَلى خَلْقِي»[٧٨].

---

[٧٥] تحف العقول، ج٧٢، ص٧؛ وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢١٠ (باختلاف يسير).

[٧٦] بحار الأنوار، ج٧٤، ٨٦؛ جامع أحاديث الشيعة، ج١، ص٣٣٣.

(٧٠) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

[٧٨] تحف العقول، ج٧٢، ص٧؛ وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢١٠ (باختلاف يسير).

الفصل الرابع

مِن ثمار الصلاة

تُوجَدُ آثارٌ وثِمارٌ عَديدَةٌ لِلصّلاةِ لِمُخْتَلَفِ صُوَرِها ومُسْتَوياتِها. نُشيرُ إلَى بَعْضِ تلكَ الثِّمارِ بِعَناوينَ مُسْتَقِلَّةٍ لِأَهَمِّيَّتِها ولِإتمامِ الفائِدَةِ وتَعْمِيمِها بِالرَّغْمِ مِنْ إمْكانِ إرْجاعِ بَعْضِها لِلْبَعْضِ الآخَرِ:

الثمرَةُ الأولَى: التذكيرُ بالغَيْبِ

عَالَمُ الغَيْبِ يُقابِلُ عَالَمَ الشَّهادَةِ والطَّبيعَةِ، ويَشْمُلُ الغَيْبُ عَوالِمَ ومَعانِيَ مِثْلَ الجَنَّةِ، والنَّارِ، والمَلائِكَةِ، والجِنِّ، وبِالتأْكِيدِ يَشْمُلُ الذَّاتَ المُقَدَّسَةَ وصِفاتِها، وقَدْ ثَبَتَ وُجودُ هذا العَالَمِ شَرْعًا وعَقْلًا، وثَبَتَ أَيْضًا وُجُودُ العَلاقَةِ بَيْنَ عَالَمِنا وعَالَمِ الغَيْبِ وإنَّ وُجودَنا في عَالَمِ الغَيْبِ ومَا نَحْصُلُ عَلَيْهِ فِيهِ مِنْ نِعْمَةٍ أَوْ نِقْمَةٍ، مُتَوَقِّفٌ عَلَى مَا نُقَدِّمُهُ مِنْ أَعْمالٍ وسُلُوكٍ في عَالَمِ الشَّهادَةِ والطَّبيعةِ، ومِنْ أَجْلِ هذا تَصَدَّى الشارِعُ المُقَدَّسُ لِإصْدارِ الأَحْكامِ والإرْشاداتِ بِالصِّيغَةِ التي تَدْخُلُ في تَوْجِيهِ وتَصْحيحِ أَعْمالِ الإنْسانِ وسُلُوكِهِ بِما يَتناسَبُ مَعَ وُجودِ عَالَمِ الغَيْبِ والعَلاقَةِ بَيْنَنا وعَالَمِنا وبَيْنَهُ.

الحُجُب وعالَم الغَيْب

لَا يَخْفَى عَلَى الجَميعِ أنَّ التَّعامُلَ مَعَ عَالَمِ الغَيْبِ والشُّعُورَ بِهِ وكَأَنَّهُ عَالَمُ المَشْهُودِ والطَّبيعَةِ، غَيْرُ مُتَيَسِّرٍ لِعُمُومِ الناسِ إلّا مَا شَاءَ اللهُ تَعالَى، لِوُجُودِ العَديدِ مِنَ الحُجُبِ مِنْهَا:

الأوّل: حُجُب عالَمَ الغَيْب

إنَّ طَبيعةَ الإنْسانِ وحَاجَتَهُ وتَرْكِيبَةَ شُعُورِهِ وأَحَاسِيسِهِ وفِكْرِهِ غَالِبًا مَا تُلْزِمُهُ التَّفْكيرَ في مُحِيطِهِ الضَّيِّقِ والتَّحَرُّكَ والسُّلُوكَ وسَدَّ الحاجاتِ في ضِمْنِ ذلكَ المُحيطِ، وفي نَفْسِ الوَقْتِ فَإنَّ الإدْراكَ البَشَرِيَّ يَتيَقَّنُ بِأَكْثَرِ مِن دَليلٍ عَلَى وُجُودِ الخَالِقِ المُطْلَقِ الذي أَرْسَلَ رُسُلًا مُتَعاقِبَةً مُخْبِرَةً بِوُجُودِ عَوالِمَ أُخْرَى، وهذهِ العَوالِمُ بِتَرْكِيبِها بِذَاتِها تَكُونُ مَحْجُوبَةً عَن الإحْسَاسِ والشُّعُورِ البَشَرِيِّ الطَّبيعِيِّ، وبَعِيدَةً عَن الرُّؤْيَةِ البَصَرِيَّةِ والإدْراكِ الفِكْرِيِّ الطَّبِيعِيِّ المُبَسَّطِ المَحْدُودِ.

الثاني: حُجُب عالَمِ الطبيعة (المَشْهود)

إنَّ حاجَةَ الإنسانِ إلى إقامَةِ حَياتِهِ عَلَى الأَرْضِ تَقْتَضِي بَذْلَ الفِكْرِ والوَقْتِ والجُهْدِ لِلتَّعامُلِ مَعَ العَديدِ مِن الأشياءِ في هذهِ الدُّنْيا، كَالسَّكَنِ واللِباسِ والغِذاءِ ووَسائِلِ الرَّاحَةِ واسْتِمْرارِ النَّسْلِ والعَلائِقِ الاجْتِماعِيَّةِ وغَيْرِها. ومِن الوَاضِحِ أنَّ مِثْلَ هذهِ الأُمورِ تَؤَدِّي إلى ضَعْفٍ وضُمُورٍ ورُبَّما انْعِدَامِ ارْتِباطِ الإنْسانِ بِعَالَمِ الغَيْبِ لانْشِغالِ فِكْرِهِ وإحْسَاسِهِ وشُعُورِهِ بِتلكَ الأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، فَبَعْضُ الناسِ يَكْتَفِي

بِالسَّعْيِ وَراءَ الحاجاتِ الضَّرُورِيَّةِ الْمُقَوِّمَةِ لَهُ والتي تُمَكِّنُهُ مِن الحَياةِ بِصُورَةٍ مُسْتَقِرَّةٍ ومُتَوازِنَةٍ حَتّى يُمارِسَ عِباداتِهِ ويُؤَسِّسَ الأَواصِرَ الصَّحِيحَةَ والمَتِينَةَ والعَمِيقَةَ مَعَ عَالَمِ الغَيْبِ، والبَعْضُ الآخَرُ يَسْعَى وَراءَ الرَّفاهَةِ فَيَحْتاجَ إلى صَرْفِ الفِكْرِ والجُهْدِ والوَقْتِ أَكْثَرَ مِمّا يَصْرِفُهُ الأَوَّلُ وبالتّالِي يُؤَثِّرُ سَلْبًا عَلَى عِباداتِهِ وارْتِباطِهِ بِعَالَمِ الغَيْبِ، والبَعْضُ الثالِثُ لَا يَكْتَفي بِاسْتِكْمالِ رَفاهِيَّتِهِ بَلْ يَسْعَى وَراءَ الْمُتْعَةِ والرَّاحَةِ ويَسْتَمِرُّ في سَعْيِهِ لِعَدَمِ شِبَعِهِ وعَدَمِ قَناعَتِهِ فَتَحْصُلُ المَأْساةُ الإنسانِيَّةُ عِنْدَما يُصْبِحُ هذا الإنسانُ كَالبَهيمَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، فَيَكونُ هَمُّهُ الكَبيرُ والوَحيدُ تَحْقيقُ الرَّغْبَةِ الدُّنْيَوِيَّةِ التي تَمْلَأُ تَفْكيرَهُ ومَشاعِرَهُ ووَقْتَهُ ولَا يَعْرِفُ مِنْ وُجُودِهِ غَيْرَهَا، فَتَكُونُ الحَياةُ عِنْدَهُ عِبارَةً عَنْ صَفْقَةٍ تِجارِيَّةٍ أَوْ غَريزَةٍ جِنْسِيَّةٍ أَوْ مَنْصِبٍ اجْتِماعِيٍّ أَوْ وَجْبَةِ طَعامٍ مُعَيَّنَةٍ أَوْ غَيْرِهَا، فَيَكُونُ أَحَدَ مَصادِيقِ مَا وَرَدَ عَن الشَّارِعِ الْمُقَدَّسِ:

قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَما تَأْكُلُ الأَنْعامُ﴾[٧٩].

الثالث: حُجُب النَّفْس البشرِيَّة

إنَّ مِنْ طَبيعَةَ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ أَنْ يَخْتَلِفُ إحْسَاسُها وشُعُورُها شِدّةً وضَعْفًا مِنْ حَالَةٍ لِأُخْرَى ومِنْ عَالَمٍ لِآخَر، فَتَكُونُ دَرَجَةُ إحساس النفس ومَعِيشَتُها وتَفاعُلُها مع الناسِ والأَشْياءِ التي تُحيطُ بِالإنسانِ والتي تَقَعُ تَحْتَ حَوَاسِّهِ بِصُورَةٍ مُبَاشِرَةٍ كالإحْساسِ بِأَفْرادِ بَلْدَتِهِ وأَشيَائِها شديدةً، وتَقِلُّ دَرَجَةُ الإحْساسِ بالأَفْرادِ والأَشْياءِ الأَبْعَدِ كَما في بَلَدِكَ الكَبيرِ الخاصِّ، وهكذا تَقِلُّ تِلْكَ الدَّرَجَةُ أَكْثَر بِخُصوصِ الأَشْياءِ والأَفْرادِ في البُلْدانِ الأُخْرَى الإسْلامِيَّةِ، وتَضْعُفُ أَكْثَرُ عِنْدَما يَكُونُ الإحساسُ والتَّفاعُلُ مَعَ مَجموعِ عَالَمَيْ الطبيعَةِ (الشهادَةِ) والغَيْبِ، لكِنْ بِالرَّغْمِ مِن هذهِ الطبيعَةِ لِلنَّفْسِ البَشَرِيَّةِ فَإنَّ الخالِقَ الْمُقَدَّسَ سُبْحانَهُ وتَعَالَى وَضَعَ القُدْرَةَ الكامِنَةَ والقُوَّةَ في النَّفْسِ الإنسانِيَّةِ لِلوُصولِ بِالإحْساسِ بِعَالَمِ الغَيْبِ إلى نَفْسِ الدَّرَجَةِ التي يُحِسُّ بِها الإنسان بِعَالَمِ الشَّهادَةِ، ولكِنْ يَبْقَى الكَلامُ في هِمَّةِ الإنسانِ واسْتِعْدادِهِ وعَزْمِهِ عَلَى إبْرازِ تِلْكَ القُوَّةِ وتَنْمِيَتِها لِلوُصولِ إلى تِلْكَ الدرَجاتِ. وقَدْ وَصَلَ إلى هذهِ المَنازِلِ المَعْصُومونَ والأَنْبِياءُ (عليهم السلام) وبَعْضُ المُخْلِصينَ والمُقَرَّبينَ مِمَّن جَاهَدَ في هذا الطريقِ فَعاشَ تلكَ المَنازِلَ والأحاسِيسَ في عَالَمِ الغَيْبِ كَما يُحِسُّ ويَشْعُرُ بِعالَمِ الطبيعَةِ، وقَدْ وَرَدَ عَن أميرِ الْمُؤمِنينَ (عليه السلام): «لَوْ كُشِفَ لي الغِطاءُ مَا ازدَدْتُ يَقينًا»[٨٠].

---

[٧٩] سورة محمد، الآية: ١٢.

[٨٠] ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج١، ص٣١٧؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج٥، ص٤٠٠.

الرابع: حُجُب النِّسْيان

النِّسيانُ مِن الغَرائزِ والخَصائِصِ الإنسانِيَّةِ وهوَ عَلى نَحْوِ العُمومِ مِن نِعَمِ الله تَعالَى عَلى الإنسانِ؛ لِأَنَّهُ سِرُّ قُدْرَةِ الإنسانِ عَلَى تَحَمُّلِ المُعاناةِ والمَشاقِّ، لِأنّه عِنْدَما يَنْسَى مُعاناتِهِ وآلامَهُ سَيَأْخُذُ بِنَفْسِهِ نَحْوَ التَّكامُلِ والقُرْبِ مِن الله تَعالَى، ولَا يَخْفَى أنَّ النِّسْيانَ لَهُ تَأْثيرٌ سَلْبِيٌّ في عَالَمِ الغَيْبِ والتَّفَكُّرِ بِهِ والتَّعامُلِ مَعَهُ، لِأنَّ الحَواسَّ كَالبَصَرِ والسَّمْعِ و اللمْسِ وغَيْرِها بِصُورَةٍ عَامَّةٍ لَا تُدْرِكُ عَالَمَ الغَيْبِ، فَيَكُونُ الطَّرِيقُ الرَّئيسُ لِإدْراكِهِ هُوَ الذِّهْنُ والفِكْرُ، وبِالنِّسْيانِ يَتَحَقَّقُ الحِجابُ المُسْتَقِلُّ في ضُمُورِ وضَعْفِ التَّفاعُلِ والإحْسَاسِ بِعَالَمِ الغَيْبِ أوْ يَكُونُ عَامِلًا مُساعِدًا لِلْحُجُبِ السابِقَةِ في الضُّمُورِ والضَّعْفِ بِالارتباط.

لَقَدْ أَنْعَمَ الخالِقُ الحَكيمُ سُبْحانَهُ وتَعَالَى عَلَيْنا بِالنَّبِيِّ المُصطَفَى مُحَمَّد(ﷺ) وبِالإسْلامِ المُقَدَّسِ، فَحَدَّدَ لَنا مَفْهُومًا مُتكامِلًا عَن حَياةِ الإنْسانِ وعَلاقَتِهِ بِأَخِيهِ الإنْسانِ، وبَيَّنَ لَنا أَهْدافَ الحَياةِ عَلى الأَرْضِ وكَشَفَ لَنا وُجودَ عَالَمِ الغَيْبِ وعَلاقَتَهِ بِحياةِ الإنسانِ ومُسْتَقْبَلِهِ، ووَضَعَ لَنَا تَشْريعَاتٍ مُناسِبَةٍ، ومِن أَهَمِّها الصَّلاةُ حَيْثُ وَضَعَها بِصياغَةٍ تَرْبَوِيَّةٍ يَوْمِيَّةٍ تَجْعَلُ الإنْسانَ بِمُسْتَوى مَسْؤولِيّاتِهِ لَو اسْتَثْمَرَ هذا التَّشريعَ الإلهِيَّ الذي يُوَفِّرُ لَهُ (عَلى الأَقَلِّ) الحَدَّ الأَدْنَى مِن الإحْساسِ بِالغَيْبِ والتَّفاعُلِ مَعَهُ، و بتكرارِ الاستفادةِ من هذا التشريعِ الإلهيّ في كلِّ يومٍ خمس مراتٍ تُعالَج حُجُب النسيان.

الثمرة الثانية: النهْي عَن الفَحْشاءِ والمُنكَر

إنَّ نَفْسَ الإنْسانِ ومَا فِيها مِن المَفاهِيمِ والغَرائِزِ، كَبُسْتانٍ يَحْوي مَجْمُوعَةً مِن بُذُورٍ أوْ نَباتَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ، ضَارَّةٍ ونَافِعَةٍ، يَعْتَمِدُ نُمُوُّهَا عَلَى نَوْعِ السَّمادِ والمِياهِ التي تُسْقَى بِها وكَمِّيَّتِها، فَإذا سُقِيَتْ بِماءِ إبْليسَ والنَّفْسِ والهَوَى أَخَذَتِ النَّباتَاتُ الضَّارَّةُ والأَفْكارُ والغَرائِزُ الخَبيثَةُ طَرِيقَهَا إلَى النُّمُوِّ والإثْمارِ حَتّى تَصِلَ إلَى مُسْتَوى مُعَيَّنٍ مِن النُّمُوِّ والإنْضاجِ، وبَعْدَ تَوَسُّطِ عَمَلِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ (عَقْلِيَّةٍ أوْ غَيْرِ عَقْلِيَّةٍ) تَتَحَوَّلُ إلَى مَشَاعِرَ وأَحَاسِيسَ خَبِيثَةٍ وشِرِّيرَةٍ. وإذا اسْتَمَرَّ السَّقْيُ بِذلكَ المَاءِ الشَّيْطانِيِّ أَخَذَتْ هذهِ المَشاعِرُ والأَحَاسِيسُ بِالنُّمُوِّ والنُّضُوجِ حَتّى تَصِلَ إلَى مَرْحَلَةِ النُّضُوجِ التّامِّ، وبَعْدَ تَوَسُّطِ عَمَلِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ أُخْرَى سَتَنْدَفِعُ وتَتَحَرَّكُ الأَعْصابُ والعَضَلَاتُ فَتَتَحَوَّلُ تَلْكَ المَشاعِرُ والأَحَاسِيسُ إلَى سُلُوكٍ ونَشاطٍ بَشَرِيٍّ، يَتَمَثَّلُ بِالخُبْثِ والمَكْرِ والخِداعِ والكَذِبِ والكُفْرِ وغَيْرِها مِن الشُّرُورِ مِن رَذَائِلِ الأَخْلاقِ وقَبائِحِ المَعاصِي والذُّنُوبِ.

ونَفْسُ المَراحِلِ تَمُرُّ فِيما لَوْ كَانَ السَّقْيُ لِتِلْكَ المَفاهِيمِ والغَرَائِزِ بِالماءِ الطَّاهِرِ القُدْسِيِّ لِلخَالِقِ الحَكيمِ والنَّبِيِّ الكَريمِ (ﷺ) وأَهْلِ بَيْتِهِ المَعْصُومِينَ (عليهم السلام)، فتَأْخُذُ البُذُورُ والنَّباتَاتُ النَّافِعَةُ والأَفْكارُ والغَرَائِزُ الطَّيِّبَةُ الكَرِيمَةُ طَرِيقَها إلَى النُّمُوِّ والإثْمارِ حَتّى تَصِلَ إلى مُسْتَوى مُعَيَّنٍ مِن النُّمُوِّ والإنْضاجِ، وبَعْدَ تَوَسُّطِ

عَمَلِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ تَتَحَوَّلُ إِلَى مَشَاعِرَ وأَحَاسِيسَ مِثالِيَّةٍ نَقِيَّةٍ زَكِيَّةٍ صَادِقَةٍ. وإِذَا اسْتَمَرَّ السَّقْيُ بِذلكَ المَاءِ الرَّحْمانِيِّ الطَّاهِرِ أَخَذَتْ هذِهِ المَشَاعِرُ بِالنُّمُوِّ والنُّضُوجِ حَتّى تَصِلَ إِلَى مَرْحَلَةِ النُّضُوجِ التَّامِّ، وبَعْدَ تَوَسُّطِ عَمَلِيَّةٍ نَفْسِيَّةٍ أُخْرَى سَتَنْدَفِعُ وتَتَحَرَّكُ الأَعْصَابُ والعَضَلاتُ، فَتَتَحَوَّلُ تِلْكَ المَشاعِرُ والأَحاسِيسُ إِلَى سُلُوكٍ ونَشاطٍ بَشَرِيٍّ يَتَمَثَّلُ بِالرِّضَا والإِحْسَانِ والسِّلْمِ والأَمَانِ والصِّدْقِ والإِيثارِ، والصَّلاةِ والصَّوْمِ والحَجِّ وغَيْرِها مِن مَكارِمِ الأَخْلاقِ ومَحاسِنِ الطَّاعَةِ والامْتِثالِ.

وقَدْ أَشارَ أَمِيرُ المُؤْمِنينَ (عليه السلام) إِلَى هذا المَعْنَى في قَوْلِهِ (عليه السلام): «واعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ عَمَلٍ نَبَاتًا وكُلُّ نَباتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ المَاءِ، والمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وحَلَتْ ثَمَرَتُهُ، وما خَبُثَ سقيه خَبُثَ غَرْسُهُ وأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ»[٨١].

ولَوْ أَجْرَيْنا اخْتِبارًا عَلَى مَجْمُوعَةٍ مِن النَّاسِ فَإِنَّنا نَجِدُ (مَثلًا) الجَمِيعَ أَو الأَغْلَبَ يَمْتَلِكُ عَدَدًا مِن الغَرائِزِ والمَفاهِيمِ، وهذهِ لَا تَتَحَوَّلُ جَمِيعُها إِلَى مَشاعِرَ وأَحاسِيسَ بَلْ يتحوّلُ بَعْضُها كَالثُّلُثِ (مَثلًا)، وهذا الثُّلُثُ الذي يُمَثِّلُ المَشاعِرَ والأَحاسِيسَ لَا يَتَحَوَّلُ جَمِيعُهُ إِلَى سُلُوكٍ ونَشاطٍ بَلْ يتحوّلُ بَعْضُهُ كَالثُّلُثِ (مَثلًا)، فَفِي هَذا المِثالِ يَتَحَوَّلُ فَقَطْ (٩١١) تُسْعُ المَفاهِيمِ والغَرائِزِ إِلَى سُلُوكٍ، والسَّبَبُ في هذا يَرْجِعُ إِلَى عُمْقِ وقُوَّةِ المَفاهِيمِ وضَعْفِهَا، فَالمَفْهُومُ الأَعْمَقُ والأَقْوَى يَأْخُذُ طَرِيقَهُ فَيَتَحَوَّلُ ويَتَجَسَّدُ في النَّفْسِ إِحْسَاسًا بَيْنَما المَفْهُومُ الأَضْعَفُ يَبْقَى مُجَرَّدَ مَفْهُومٍ في الذِّهْنِ، وفِيما يَخُصُّ الأَحاسِيسَ والمَشاعِرَ فَإِنَّ الإِحْساسَ الأَقْوَى يَأْخُذُ طَرِيقَهُ فَيَتَحَوَّلُ ويَتَجَسَّدُ سُلُوكًا بَيْنَما الإِحْساسُ الأَضْعَفُ يَبْقَى مُجَرَّدَ إِحْساسٍ مُخْتَزَنٍ في صَفْحَةِ النَّفْسِ، ومِمّا سَبَقَ تَتَّضِحُ حَاجَةُ الإِنْسانِ الضَّرُورِيَّةُ لِلدِّينِ؛ لِأَنَّهُ يُمَيِّزُ المَفاهِيمَ والغَرائِزَ الخَيِّرَةَ والحَسَنَةَ ويُعْطِي التَّرْبِيَةَ الصَّحِيحَةَ والمَنْهَجَ المُناسِبَ لِتَنْمِيَتِها وتَحْوِيلِها إِلَى أَحاسِيسَ ومَشَاعِرَ، وبِالتَّالِي إِلَى سُلُوكٍ ونَشَاطٍ خَيِّرٍ يَتَمَيَّزُ بِهِ الإِنْسانُ عَن البَهَائِمِ، مِنْ خِلالِ تَرْبِيَةِ نَفْسِهِ وبِناءِ جُسُورِ المَحَبَّةِ والتَّعاوُنِ بَيْنَهُ وبَيْنَ أَخِيهِ الإِنْسانِ، ولَا يَخْفَى أَنَّ الصَّلاةَ تُمَثِّلُ أَبْرَزَ الوَسَائِلِ التي أَصْدَرَهَا الشَّارِعُ المُقَدَّسُ لِتَحْقِيقِ ذلكَ الغَرَضِ في تَأْسِيسِ الاسْتِعْدادِ الذِّهْنِيِّ والنَّفْسِيِّ والمَادِّيِّ لِلنَّهْيِ عَن الفَحْشَاءِ والمُنْكَرِ، وبِالتَّالِي التَّأْثِير عَلَى السُّلُوكِ الطَّيِّبِ المِثالِيِّ الإِسْلامِيِّ الرِّسَالِيِّ وإِبْرازِهِ وتَنْمِيَتِهِ، والصَّلاةُ تَنْهَى عَن الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ بِمَرْحَلَتَيْنِ:

المَرحَلَة الأُولى: مَرحَلَة الإِدْراكِ العَقْلِيِّ

---

[٨١] محمد عبده، شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٤٤.

إنَّ النَّفْسَ الأَمّارَةَ والهَوَى والشَّهَواتِ تُمَثِّلُ العَامِلَ الذَّاتِيَّ الذي يُنَازِعُ النَّفْسَ ويَحْجُبُ العُقُولَ عَن الاعْتِقادِ والجَزْمِ بِالغَيْبِ ويَتَدَخَّلُ سَلْبِيًّا في تَخْفِيضِ دَرَجَةِ اليَقِينِ عِنْدَ الإنْسانِ، وقَدْ تَصَدَّى الشَّارِعُ الأَقْدَسُ لِمُعَالجَةِ هذا العامِلِ الذّاتِيِّ مِنْ أَجْلِ تَوْفِيرِ الإيمانِ اليَقِينِيِّ عِنْدَ الإنْسانِ، وتَرْجِعُ المُعالجَةُ إلَى نُقْطَتَيْنِ أَسَاسِيَّتَيْنِ:

١ – تَعْويدُ النَّفْسِ عَلَى اسْتِعْمالِ العَقْلِ في نَقْدِ وتَحْلِيلِ العَامِلِ الذّاتِيِّ.

٢– مُحَاسَبَةُ النّفْسِ وإرْشَادُهَا وتَأْدِيبُهَا لِتَصْحِيحِ سُلُوكِهَا ونَشَاطِهَا، لِأَنَّ السُّلُوكَ المُنْحَرِفَ يُرَكِّزُ ويُكَثِّفُ العَامِلَ الذّاتِيَّ ويَزِيدُ مِنْ تَأْثِيراتِهِ.

والصَّلاةُ بِاعْتِبارِهَا الرُّكْن الرَّئِيس والأَهَمّ في التَّرْبِيَةِ ومُعَالجَةِ كِلا النُّقْطَتَيْنِ السَّابِقَتَيْنِ، حَيْثُ يَكُونُ لِلصَّلاةِ عِدَّةُ تَأثيراتٍ تَدْخُلُ في التَّرْبِيَةِ والعِلاجِ، مِنْها:

أوّلًا: إنَّ الصَّلاةَ تُزيلُ عَن العَقْلِ أَغْشِيَةِ الجَهْلِ وأَدْرانَ وشَوائِبَ الذُّنُوبِ والخَطايا وآثارَ الأَهْواءِ. ويَحْصُلُ ذلكَ بِالابْتِعادِ الخَارِجِيِّ الفِعْلِيِّ عَن تِلْكَ المُنْكَراتِ وبِالعَيْشِ مَعَ رُوحِ ومَعْنَى الصَّلاةِ فِي أَثْنَائِهَا وفِي غَيْرِ ذَلِكَ.

ثانيًا: إنَّ الصَّلاةَ تُعْطِي مَوْقِفًا وتَجْسيدًا عَمَلِيًّا مِن الانْضِباطِ والامْتِثالِ والاعْتِدالِ بَيْنَ يَدَي الله، فَتَجْعَلُ العَقْلَ يُحِسُّ ويَعِيشُ هذهِ القَضِيَّةَ بِصُورَةٍ مُباشِرَةٍ ووَاقِعِيَّةٍ مِن الإيمَانِ بِالله تَعَالَى ومَلائِكَتِهِ وكُتُبِهِ ورُسُلِهِ واليَوْمِ الآخِرِ.

فَالصَّلاةُ تَعْمَلُ عَلَى صَقْلِ وتَجْديدِ وتَعْميقِ الإيمانِ واليَقينِ، وصَقْلِ وتَجْديدِ قُوَّةِ الإدْراكِ عِنْدَ الإنْسانِ، بَعْدَ أَنْ تَكونَ قَدْ تَعَرَّضَتْ قُوَّةُ الإدْراكِ والإيمانِ لِأَنْواعٍ مِن التَّشْويشِ والتَّضْييعِ.

وقَدْ أَشارَ الشَّارِعُ الأَقْدَسُ في مواردَ عَديدَةٍ إلَى أنَّ الفَحْشاءَ والمُنْكَرَ لَها تَأْثِيرٌ سَلْبِيٌّ عَلَى تَفْكِيرِ الإنْسانِ وإدْراكِهِ وإيمانِهِ ويَقينِهِ، حَيْثُ تُؤَدِّي إلَى سُقْمٍ وانْحِرافٍ في التَّفْكيرِ فَيَخْتارُ طَريقَ الضَّلالِ والظَّلامِ والكُفْرِ والإشْراكِ، ومِنْ تِلْكَ المَوارِدِ:

١ – قَولُه تَعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۞ فَذلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ۞ وَلا يَحُضُّ عَلى طَعامِ الْمِسْكِينِ﴾[٨٢].

فَالمَوْلَى تَعالَى يُشيرُ إلَى أَنَّ البُخْلَ والظُّلْمَ مِن المُنْكَراتِ التي تَحْجُبُ العَقْلَ عَن الاعْتِقادِ والجَزْمِ بِالحَقِّ، فَيَنْتَخِبُ فاعِلُها طَريقَ الضَّلالَةِ والتَّكْذيبِ بالدِّينِ ومِنْهُ الصَّلاة ومَعانِيها.

---

[٨٢] سورة الماعون، الآيات: ١ – ٢ – ٣.

٢ – قَولُه تَعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ۞... أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴾[٨٣].

هذهِ الآيَةُ تُشيرُ إلَى أَنَّ طُولَ الأَمَلِ والتَّكَبُّرَ والظُّلْمَ والطُّغْيانَ لَها دَوْرٌ رَئيسٌ في انْحِرافِ الإدْراكِ الذِّهْنِيِّ وعَدَمِ التَّصْديقِ وعَدَمِ اليَقينِ بِالحَقِّ وعَدَمِ اتِّباعِهِ.

٣ – قَولُه تَعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لا يُؤْمِنُونَ ۞ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كانُوا

في هذهِ الآياتِ إشارَةٌ واضِحَةٌ إلَى الكَذِبِ وكَيْفِيَّةِ تَأْسِيسِهِ لِلْحُجُبِ التي تَمْنَعُ الإنْسانَ مِن اسْتِعْمالِ عَقْلِهِ، وتَمْنَعُ مِن إدْراكِهِ الذِّهْنِيِّ بِصُورَةٍ مُتَوازِنَةٍ وصَحِيحَةٍ فَيَنْتَخِبُ الكاذِبُ طَريقَ الكُفْرِ و الانْحِرافِ.

المَرْحَلَة الثّانِيَة: مَرْحَلَة التَّطْبِيق

لَقَدْ ثَبَتَ دَوْرُ الصَّلاةِ في التأثيرِ الإيجابِيِّ علَى سُلُوكِ ونَشاطِ الإنسانِ بِإبعادِهِ عَن الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ، فَلَوْ أَجْرَيْنا مُقارَنَةً في الخارِجِ بَيْنَ المُصَلّينَ وبَيْنَ غَيْرِهِم مِمَّنْ يُشابِهُهُم في الظُّروفِ الحَياتِيَّةِ، لَوَجَدْنا أَنَّ نِسْبَةَ المُنْكَراتِ والفَواحِشِ بَيْنَ المُصَلّينَ أَقَلُّ بِكَثيرٍ عِنْدَ غَيْرِهِم، ولَوْ أَجْرَيْنا مُقَارَنَةً بَيْنَ مِقْدارِ الفَواحِشِ الصَّادِرَةِ مِن شَخْصٍ عِنْدَما كانَ تارِكًا لِلصَّلاةِ، وبَيْنَ مِقْدارِ الفَواحِشِ الصَّادِرَةِ مِن نَفْسِ الشَّخْصِ بَعْدَما اهْتَدَى وأَصْبَحَ مِن المُصَلِّينَ، لَوَجَدْنا أَنَّ عَدَدَ الفَواحِشِ والمُنْكَراتِ قَدْ قَلَّ كَثيرًا.

المُنكَرات والفواحِش

وأَذْكُرُ لكَ بَعْضَ المُنْكَراتِ والفَواحِشِ التي تَنْهَى عَنْهَا الصَّلاةُ:

الأوّل: الفُحْش الجِنْسِيّ

الفُحْشُ الجِنْسِيُّ يَنْشَأُ مِن الانْدِفاعِ وَراءَ الغَريزَةِ الشَّهَوِيَّةِ الحَيوانِيَّةِ وعَدَمِ الحَياءِ، فَيُسَيْطِرُ الفُحْشُ علَى تَصَوُّراتِ الإنسانِ الذِّهْنِيَّةِ وعلَى سُلوكِهِ اليَوْمِيِّ، وخَيْرُ عِلاجٍ لِهذهِ الآفَةِ وكَسْرٍ لِسَطوَتِها وسَيْطَرَتِها هوَ الالْتِزامُ بالصَّلاةِ؛ حَيْثُ تُبْعِدُهُ قَهْرًا عَن ارْتِكابِ تلكَ المَعْصِيَةِ وعلَى الأَقَلِّ في أَوْقاتِ الصَّلاةِ والتي مِنْها أَوْقاتُ الالْتِزامِ بِالطُّهْرِ الدَّائِمِ لِلصَّلاةِ، وكذلكَ تُعْطِي الصَّلاةُ العِلاجَ في مَرْحَلَةِ الإدْراكِ العَقْلِيِّ والتي أَشَرْنا إلَيْها سَابِقًا.

الثاني: فُحْش اللسان

---

[٨٣] سورة الطور، الآية: ٣٠ و الآية: ٣٢.

[٨٤] سورة الطور، الآيتان: ٣٣ – ٣٤.

إنَّ دَوْرَ الصلاةِ وَاضِحٌ ورَئيسٌ في عِلاجِ آفَةِ فُحْشِ اللِسانِ، وذلكَ مِن خِلالِ مَا يَعيشُهُ المُصَلّي مِن أَذْكارِ التَّطهيرِ وأَذْكارِ الصَّلاةِ ومَا يَمُرُّ بِهِ مِن حَالاتِ الخُشوعِ والانْقيادِ اليَومِيِّ خِلالَ الْتِزامِهِ بِالصَّلاةِ، ومِن خِلالِ مَا يَسْتَحْضِرُهُ مِن المَعاني الظَّاهِرِيَّةِ والباطِنِيَّةِ لِلصَّلاةِ.

الثالث: البُخْل

المَعْروفُ أنَّ مَنْشَأَ البُخْلِ هُوَ الرُّوحُ الفَرْدِيَّةُ عِنْدَ الإنْسانِ فَتَدْفَعُهُ إلَى الحِرْصِ وتَمْنَعُهُ مِن العَطاءِ. وقَدْ عَالَجَ الشَّارِعُ المُقَدَّسُ هذهِ الظَّاهِرَةَ مِن خِلالِ الصَّلاةِ وبِأَشْكالٍ مُتَعَدِّدَةٍ مِنها:

١- لَقَدْ قَرَنَ المَوْلَى بَيْنَ الصَّلاةِ والزَّكاةِ، فَلَا تُقْبَلُ الصَّلاةُ إلّا بِإعطاءِ الزَّكاةِ. فالمُصَلِّي الذي لَا يُريدُ أَنْ يَضيعَ جُهْدُهُ المادِّيُّ والمَعْنَوِيُّ في الصَّلاةِ هَباءً مَنْثُورًا بَلْ يُريدُ الحِفاظَ عَلَيْهِ وعلَى نَمائِهِ عَلَيْهِ أنْ يَتَحَلّى بالكَرَمِ والعَطَاءِ ويَتَخَلّى عَنْ البُخْلِ، ومِمّا يُحَقِّقُ هذا الخُروجَ عَن ذلكَ القَيْدِ الرُّوحِيِّ الفَرْدِيِّ إلَى رُوحِ الكَرَمِ والجَماعَةِ.

٢- أَرْشَدَ المَوْلَى وأَكَّدَ علَى صَلاةِ الجَماعَةِ في الصَّلواتِ اليَومِيَّةِ والجُمُعَةِ والعِيدَيْنِ والآياتِ، ومِن الواضِحِ أَنَّ الانْتِماءَ إلَى جَماعَةِ المُصَلّينَ لَهُ الأَثَرُ في مُعالَجَةِ النَّزْعَةِ الفَردِيَّةِ ومَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْها مِن حُبِّ الذَّاتِ وعَدَمِ الشُّعورِ والاهْتِمامِ بِالآخَرينَ ممّا يُؤَدّي إلَى مُنْكَراتٍ كَثيرةٍ مِنْها البُخْلُ.

الرابع: الهَلَع

الهَلَعُ هُوَ فِقْدانُ الثَّباتِ في الشَّخْصِيَّةِ وسُرْعَةُ التَّغْيِيرِ و كَثْرَةُ التأثُّرِ بِالمُؤَثِّراتِ المُخْتَلِفَةِ التي تَتَوارَدُ علَى النَّفْسِ فَيَكُونُ الإنسانُ مُتَناقِضًا في مَواقِفِهِ ومَشاعِرِهِ معَ نَظْرَتِهِ لِلْحَياةِ ومَا يَحْصُلُ فِيها مِن تَغَيُّراتٍ، فَتَتَغَيَّرُ شَخْصِيَّتُهُ ومَفاهِيمُهُ (مَثَلًا) بِسَبَبِ الفَقْرِ والغِنَى، والمَرَضِ والصِّحَّةِ، والحُبِّ والبُغْضِ، وهذا البَلَدِ وغَيْرِهِ، فَتارَةً يَرَى الحَياةَ رَوْضَةً مِن رِياضِ الجَنَّةِ فيَزدادُ حُبًّا بِها ويَحْصُلُ هذا عِنْدَما يُواجِهُ مَا يَسُرُّهُ ويُسْعِدُهُ مِن مادِّيّاتِ الدُّنْيا الفانِيَةِ، وتَارَةً أُخْرَى يَرَى الحياةَ كَالجَبَلِ الأَسْوَدِ الثَّقيلِ المَوْضُوعِ علَى كاهِلِهِ فَتَمْتَلِئُ نَفْسُهُ نُفُورًا مِن الحَياةِ ويَحْصُلُ هذا عِنْدَما يُواجِهُ ما يَصْعُبُ على النَّفْسِ، وقَدْ أشارَ الشَّارِعُ المُقَدَّسُ إلَى هذا المَعْنَى كَما في:

قَوله تَعالى: ﴿إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ إذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ۞ وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾[٨٥].

وقَدْ عَالَجَ المَوْلَى آفَةَ الهَلَعِ مِن خِلالِ ثَلاثِ نُقاطٍ:

---

[٧٨] سورة المعارج، الآيات: ١٩ – ٢٠ – ٢١.

١ – إعطاءُ المَعْنَى الشَّرْعِيِّ الصَّحيحِ لِلْخَيْرِ والشَّرِّ، بِأَنَّ الخَيْرَ هُوَ مَرْضاةُ الله سُبْحانَهُ وتَعَالَى والشَّرُّ خِلافُ ذلكَ، ويُشيرُ إلى هذا مَا وَرَدَ:

عَن الإمامِ الصادق (عليه السلام): «عَجَبٌ لِلْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لَا يَقْضِي اللهُ عَزَّ وجَلَّ لَهُ قَضَاءً إلّا كانَ خَيرًا لَهُ، وإنْ مَلَكَ مَشارِقَ الأَرْضِ ومَغارِبَها كانَ خَيرًا لَهُ»[٨٦].

٢ – تَعميقُ وتَرسيخُ الإيمانِ واليَقينِ بِالله في النَّفْسِ حَتّى تَكونَ مُطْمَئِنَّةً في كُلِّ حالٍ، ومِن الواضِحِ أنَّ الصَّلاةَ مِن أَهَمِّ الوَسائِلِ العِبادِيَّةِ اليَوْمِيَّةِ التي وَضَعَها الشَّارِعُ لِتَحْقيقِ هذا الإيمانِ واليَقينِ.

٣ – الالْتِفاتُ إلَى المُلازَمَةِ التي جَعَلَها المَوْلَى بَيْنَ الصَّلاةِ وقَبُولِها والمُحافَظَةِ عَلَيها وكَوْنِ مُؤَدِّيها مِن المُصَلِّين وبَيْنَ اتِّصافِهِ وكَوْنِهِ غَيرَ هَلُوعٍ، ومِثْلُ هذا الالْتِفاتِ والتَّمَعُّنِ يَدْفَعُ المُصَلِّي لِلْعَمَلِ والمُجاهَدَةِ لِلْاتِّصافِ بِعَدَمِ الهَلَعِ فَيَكُونُ مِن المُصَلِّينَ مِمَّنْ تُقْبَلُ صَلاتُهُم، وبِهذا تَكونُ الصَّلاةُ أَحَدَ وَسائِلِ عِلاجِ الهَلَعِ، ويُشيرُ لِهذا:

قَولُهُ تُعالَى: ﴿إِنَّ الإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعًا ۞ ... إِلاَّ المُصَلِّينَ ۞ الَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ دائِمُونَ ۞ ... وَالَّذِينَ هُمْ عَلى صَلاتِهِمْ يُحافِظُونَ﴾[٨٧].

الخامس: شُرْبُ الخَمْرِ

لَقَدْ عَالَجَ الشَّارِعُ المُقَدَّسُ هذهِ الحَالَةَ المَرَضِيَّةَ السَّيِّئَةَ مِن جِهَةِ جَعْلِ المُلازَمَةِ بَيْنَ شُرْبِ الخَمْرِ وعَدَمِ قَبُولِ الصَّلاةِ، فَيَكُونُ هذا رَادِعًا لِلْمُصَلِّي عَن شُرْبِ الخَمْرِ كَيْ لَا يَذْهَبَ ويَضِيعَ جُهْدُهُ المادِّيُّ والمَعْنَوِيُّ لِلصَّلاةِ ولَا تَضيعَ ثِمارُ الصَّلاةِ عَلَيْهِ، ونَجِدُ أَكْثَرَ مِن ذلكَ، فَإِنَّ المَوْلَى قَدْ جَعَلَ المُلازَمَةَ بَيْنَ عَاصِرِ الخَمْرِ أَوْ بَائِعِها أَوْ مُشْتَرِيها أَوْ حَامِلِها وبَيْنَ قَبُولِ الصَّلاةِ، ويُشيرُ إلَى هذا مَا وَرَدَ:

١ – عَن النبيِّ (صلى الله عليه وآله): «مَنْ شَرِبَ الخَمْرَ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا»[٨٨].

٢– عَن المُصطفَى (صلى الله عليه وآله): «شَارِبُهَا، وعَاصِرُهَا، ومُعْصِرُهَا، وبَايِعُهَا، ومُبْتَاعُهَا، وحَامِلُهَا، والمَحْمُولَةُ إلَيْهِ، وآكِلُ ثَمَنِهَا، سَواءٌ في إثْمِهَا، ولَا يَقْبَلُ اللهُ تَعَالَى مِنْهُ صَلاةً ولَا صَوْمًا ولَا حَجًّا ولَا عُمْرَةً حَتّى يَتُوبَ»[٨٩].

السادس: الظُّلْم

---

[٨٦] بحار الأنوار، ج٦٨، ص١٦٠.

[٨٠] سورة المعارج، الآيات: ١٩ – ٢٢ – ٢٣ – ٣٤.

[٨٨] الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٥، ص٧٠؛ أبو يعلى الموصلي، مسند أبي يعلى، ج١٢، ص٢٠٧؛ بحار الأنوار، ج٨، ص٢٤٤.

[٨٩] بحار الأنوار، ج٧٦، ص١٥٠.

نَفْسُ الكَلامِ في شُرْبِ الخَمْرِ يَأْتِي هُنا مِن جَعْلِ المُلازَمَةِ بَيْنَ الظُّلْمِ وعَدَمِ قَبُولِ الصَّلاةِ وكَوْنِ هذا رَادِعًا لِلْمُصَلّي عَن الظُّلْم، ومِمّا يَشْهَدُ لِلْمُلازَمَةِ مَا وَرَدَ:

١ – عَن النبيِّ (ﷺ): قال الله تبارك و تعالى: «إِنَّمَا أَتَقَبَّلُ الصَّلاةَ مِمَّنْ تَوَاضَعَ بِهَا لِعَظَمَتِي، وَلَمْ يَسْتَطِلْ عَلَى خَلْقِي»[٩٠].

٢ – عَن الإمامِ الصادقِ (عليه السلام): «أَرْبَعَةٌ لَا تُقْبَلُ لَهُمْ صَلَاةٌ: الإِمَامُ الجَائِرُ...»[٩١].

السابع: التَّكَبُّر

إنَّ جَعْلَ المُلازَمَةِ بَيْنَ التَّكَبُّرِ والتَّجَبُّرِ وبَيْنَ قَبُولِ الصَّلاةِ يَصْلُحُ رَادِعًا لِلْمُصَلِّي عَن التَّكَبُّرِ والتَّجَبُّرِ، ويَشْهَدُ لِلْمُلازَمَةِ مَا وَرَدَ:

عَن الإمامِ الصادقِ (عليه السلام): «ثَلاثَةٌ لَا يَقْبَلُ اللهُ لَهُمْ صَلَاةً: جَبّارٌ كَفّارٌ...»[٩٢].

الثامن: الكَذِب

إنَّ جَعْلَ المُلازَمَةِ بَيْنَ الكَذِبِ والحِرْمانِ مِن صَلاةِ الليلِ يَصلُحُ رَادِعًا عن الكذب لِمَنْ يُصَلِّي صَلاةَ الليلِ، وقَدْ أُشيرَ إلَى المُلازَمَةِ فِيما وَرَدَ:

عَن الإمامِ الصادقِ (عليه السلام): «إنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ الكِذْبَةَ فَيُحْرَمُ بِها صَلاةَ الليلِ، فَإذا حُرِمَ صَلاةَ الليلِ حُرِمَ بِها الرِّزْقَ»[٩٣].

التاسع: الرِّياء

ونَفْسُ الكَلامِ في جَعْلِ المُلازَمَةِ يَجْرِي هُنا، ويَشْهَدُ لِلمُلازَمَةِ مَا وَرَدَ:

١ – عَن الإمامِ الصادِقِ (عليه السلام): «يُجاءُ بِعَبْدٍ يَوْمَ القِيامَةِ قَدْ صَلَّى، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ صَلَّيْتُ ابْتِغاءَ وَجْهِكَ. فَيُقالُ لَهُ: إنَّكَ صَلَّيْتَ لِيُقالَ: مَا أَحْسَنَ صَلاةَ فُلانٍ! اذْهَبُوا بِهِ إلَى النَّارِ»[٩٤].

٢ – عَن النبيِّ الأَكْرَمِ (ﷺ): «مَنْ صَلَّى صَلاةً يُرائِي بِها فَقَدْ أَشْرَكَ»[٩٥].

---

(٩٠) الهيثمي، مجمع الزوائد، ج٢، ص١٤٧.

(٩١) بحار الأنوار، ج٧١، ص١٤٤؛ الصدوق، الخصال، ص٢٤٢؛ وسائل الشيعة، ج٨، ص٣٤٩.

(٩٢) مستدرك الوسائل، ج١، ص٤٢٦؛ تحقيق ضياء الدين المحمودي، الأصول الستّة عشر من الأصول الأوّليّة، ص٢٤١.

(٩٣) العلامة الحلي، منتهى المطلب، ج٤، ص١٩؛ الصدوق علل الشرائع، ج٢، ص٣٦٢.

(٩٤) حسين بن سعيد الكوفي، كتاب الزهد، ص٦٣؛ بحار الأنوار، ج٧، ص١٨١.

(٩٥) شرح أصول الكافي، ج٨، ص٥٢؛ الحويزي، تفسير نور الثقلين، ج٣، ص٣١٦.

الثمرة الثالثة: التوازنُ النفْسيّ

إنَّ الانْفِعَالَاتِ العَاطِفِيَّةَ والشُّعُورِيَّةَ لِلنَّفْسِ لَهَا الدَّوْرُ الكَبيرُ في تَحديدِ شَخْصِيَّةِ الإنْسانِ واتِّزانِها، وقَدْ ثَبَتَ أَنَّ الصَّلاةَ تُعْطِي وتُحْدِثُ انْفِعالاتٍ شُعورِيَّةً عَديدَةً مُناسِبَةً لِلنَّفْسِ ولِتَوازُنِها وتَكامُلِها، مِن خِلالِ مَا تُعْطِي الصَّلاةُ وتُقَدِّمُ مِن يَقينٍ وتَنْمِيَةٍ لِغَرائِزِ الخَيْرِ وضُمُورٍ وإعْدامٍ لِغَرائِزِ الشَّرِّ، وإلَيْكَ بَعْضَ مَا تُعْطِيهِ الصَّلاةُ مِن انْفِعَالَاتٍ شُعورِيَّةٍ وعَاطِفِيَّةٍ:

الأوّل: العُبودِيَّة لله تَعَالَى

كَثيرٌ مِن النَّاسِ يَتَعالَى عَلى صِفَةِ العُبودِيَّةِ لله لِتَأَثُّرِهِ بِشعاراتِ الحُرِّيَّةِ الحَديثَةِ، وفي الحَقيقةِ إنَّ مِثْلَ هذا الإنسانِ يَخْرُجُ مِن العُبودِيَّةِ اللَطِيفَةِ النّافِعَةِ ويَدْخُلُ في عُبُودِيّاتٍ عَديدَةٍ مُذِلَّةٍ ومُهِينَةٍ، والصَّلاةُ تَصْلُحُ لِأَنْ تَفْتَحَ العَقْلَ الإنْسَانِيَّ وتُهَيِّئَ النَّفْسَ وتَبْعَثَ فِيها تَقَبُّلَ مَشَاعِرِ الأصَالَةِ والطَّهارَةِ والحُرِّيَّةِ الحَقِيقِيَّةِ مِن خِلالِ تَرْكيزِ وتَعْمِيقِ الشُّعُورِ بِالعُبودِيَّةِ لله تَعَالَى؛ لِأَنَّهُ الخالِقُ والمُنْعِمُ والقَادِرُ، ولِلصَّلاةِ أَيْضًا دَوْرٌ كَبيرٌ في تَجسيدِ ذلكَ، فَشُعورُ المُصَلّي بِالعُبودِيَّةِ يَبْدَأُ مِن حِينِ نُهوضِهِ إلَى الصَّلاةِ بَلْ مُنْذُ قِيامِهِ بِعَمَلِيَّةِ التَّطهيرِ لِلصَّلاةِ مُسْتَجيبًا لِأَمْرِ الله تَعَالَى، ثُمَّ يَزدادُ هذا الشُّعُورُ بِالوُقُوفِ لِلصَّلاةِ فَالتِّلاوَةِ فَالرُّكُوعِ، ويَبْلُغُ الشُّعورُ بِالعُبُودِيَّةِ قِمَّتَهُ في السُّجُودِ، فَعَلَى المُصَلِّي تَنْمِيَةُ هذا الشُّعُورِ بِأَنْ يَكونَ وَاعِيًا لِعَمَلِهِ الصَّلاتِيّ جَادًّا فِيهِ، ويَسْأَلُ نَفْسَهُ دَائِمًا عِنْدَ الصَّلاةِ: أَمْرَ مَنْ أُلَبِّي؟ وبَيْنَ يَدَيْ مَنْ أَقِفُ؟ ولِمَنْ أَخْضَعُ رَاكِعًا؟ ولِمَنْ أَخِرُّ سَاجِدًا إلَى الجَبينِ؟ ومَن الرَّقيبُ عَلَيَّ؟ وماذا يَتَرَتَّبُ علَى هذا العَمَلِ مِن ثَوابٍ لَوْ أُتْقِنَ؟ ومَا نَوْعُ العَذابِ والشَّقاءِ لِلْمُسْتَخِفِّ بِهذا العَمَلِ؟ وفي كُلِّ ذلكَ يَتَوَكَّلُ عَلَى الله ويَجْعَلُ ثِقَتَهُ بِهِ تَعَالَى ويَدْعُوهُ بِالتَّسْديدِ والتَّوْفيقِ.

الثاني: الارْتِباطُ الواقِعِيُّ بِالرَّسُولِ (ﷺ) وبِالإسْلامِ

الفِكْرُ الغَرْبِيُّ الشَّيْطانِيُّ يَطْرَحُ أَفْكَارًا مُنْحَرِفَةً تُؤَثِّرُ في مَسيرَةِ المُسْلِمِ التَّكامُلِيَّةِ فَتُضْعِفُ وتُوهن يَقِينَهُ وإيمانَهُ بِالله تَعَالَى وبِنَبِيِّهِ الأَكْرَمِ (ﷺ)، ومِن تِلكَ الأَفْكارِ المُنْحَرِفَةِ أُطْرُوحَةُ كَوْنِ الخَالِقِ تَعَالَى والرِّسالَةِ الإسلَامِيَّةِ والرَّسُولِ مُحَمَّدٍ (ﷺ) وغَيْرِهِ مِن الرُّسُلِ (عليهم السلام)، وإنْزالِ الكُتُبِ، كُلُّ ذلكَ عِبارَةٌ عَن قَضايا تاريخِيَّةٍ تَخُصُّ مَرْحَلَةً مُعَيَّنَةً وفِئَةً مُعَيَّنَةً مِن الناسِ ولَيْسَ لَها فِعْلِيَّةٌ وامْتِدادٌ لِكَافَّةِ المَراحِلِ الزَّمَنِيَّةِ ولِجَميعِ البَشَرِ.

ولِعِلاجِ ذلكَ الفِكْرِ المُنْحَرِفِ وَضَعَ المَوْلَى عِدَّةَ وَسائِل، مِنْهَا بَلْ أَهَمُّهَا الصَّلاةُ، حَيْثُ تَقْضِي علَى ذلكَ الانْحِرافِ الفِكْرِيِّ مِن خِلالِ تَثْبِيتِ المَفْهُومِ الإسلَامِيِّ الإلهِيِّ الدَّائِمِ والخَالِدِ، فَتَدْعُوكَ الصَّلاةُ لِلْوُقوفِ أمامَ المَوْلَى الحَقِّ سُبحانَهُ وتَعَالَى وبَيْنَ يَدَيْهِ طَوَالَ فَتْرَةِ الصَّلاةِ مِن النيَّةِ إلَى قِراءَةِ الفاتِحَةِ والسُّورَةِ إلَى الرُّكُوعِ والسُّجُودِ والتَّشَهُّدِ، وتَجْعَلُكَ الصَّلاةُ تَتَكَلَّمُ مَعَ الله وتَشْهَدُ لَهُ بِالوَحْدَةِ ولِلنَّبِيِّ (ﷺ) بِالنُّبُوَّةِ،

وتَجْعَلُكَ تَسْتَعينُ بِهِ في حَرِكاتِكَ وسَكَناتِكَ، وتَطْلُبُ مِنْهُ الهِدايَةَ لِلْمَسيرِ في طَريقِ الصَّالِحينَ، فَتُوَفِّرُ لَكَ الصَّلاةُ الشُّعُورَ والارْتِباطَ الفِعْلِيَّ مَعَ الله ومَعَ نَبِيِّهِ (ﷺ) ومَعَ المَعْصُومِينَ (عليهم السلام)، والمُدَاوَمَةُ على هذا الشُّعُورِ والتَّأكِيدُ عَلَيْهِ وتَعْمِيقُهُ في الصَّلاةِ سَوْفَ يُؤَدّي إلَى امْتِدادِهِ خَارِجَ حَالاتِ وأَوْقاتِ الصَّلاةِ.

الثالث: النَّشاط والانضِباط

تَقُومُ الصَّلاةُ بِدَوْرٍ رَئيسٍ في القَضاءِ علَى الأسْبابِ النَّفْسِيّة لِلْكَسَلِ، ومُجَرَّدُ الكَوْنِ في الصَّلاةِ والالْتِزامِ بِأَدائِهَا يُعْتَبَرُ خَلْعًا لِثَوْبِ الخُمُولِ واللَهْوِ والعَبَثِ، والتَّمَعُّنُ في مَعَانِي الصَّلاةِ وأَهدافِها والتَّعظيمُ لله تَعَالَى ولِرَسُولِهِ الكَرِيمِ وأَهْلِ بَيْتِهِ المَعْصُومِينَ (صَلواتُ الله عَلَيْهِم أَجْمَعينَ) خِلالَ الصَّلاةِ، والالْتِفاتُ إلَى يَوْمِ الدِّينِ وإلَى مَا يُرِيدُ الحُصُولَ عَلَيْهِ مِن ثَوابٍ في ذلكَ اليَوْمِ، كُلُّ هذا وغَيْرُهُ يَفْتَحُ عَيْنَ الإنْسانِ وذِهْنَهُ إلَى أَنَّهُ لَا جَزاءَ بِدُونِ عَمَلٍ ولَا حِسَابٍ إلّا علَى الأَعْمالِ، وبَعْدَ التَّصَدِّي لِلنَّشاطِ والعَمَلِ، مِن المُؤَكَّدِ ابْتِلاءُ النَّفْسِ البَشَرِيَّةِ بِالعَديدِ مِن الانْفِعالاتِ السَّرِيعَةِ غَيْرِ المُتَّزِنَةِ وبِدُونِ وَعْيٍ، ومِثْلُ هذا يُمْكِنُ أَن يُسَبِّبَ انْحِرافَ الإنْسانِ عَن الخَطِّ الإسْلَامِيِّ الصَّحِيحِ، فَيَقَعُ في الشُّبُهاتِ والانْحِرافاتِ، والمَوْلَى المُقَدَّسُ المُنْعِمُ قَدْ تَصَدَّى لِعِلاجِ مِثْلِ هذهِ الحَالَةِ المَرَضِيَّةِ مِن خِلالِ مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ مِن عِبادَاتٍ ومِن أَهَمِّهَا الصَّلاةُ، حَيْثُ بِالالْتِزامِ بِالصَّلاةِ يَكُونُ الانْضِباطُ السُّلُوكِيُّ عِنْدَ الإنْسانِ فَيَعِي مَسْؤُولِيَّتَهُ عَن تَصَرُّفَاتِهِ وأَفْعَالِهِ أَمَامَ الله تَعَالَى، ويَتَكَرَّرُ هذا الشُّعُورُ والانْضِباطُ مَعَ تَكرارِ الصَّلاةِ اليَوْمِيِّ، وبِالعَيْشِ مَعَ هذهِ الحَقِيقَةِ مِن الانْضِباطِ سَوْفَ تُصْبِحُ عَقِيدَةً رَاسِخَةً وشُعُورًا مُلازِمًا وسُلُوكًا مُرافِقًا.

الثمرَة الرابعَة: تربيَة الإنسان وتكامُله

إنَّ تَشْرِيعَ العِباداتِ ومِنْها الصَّلاةُ وصِياغَتَهَا بِطَرِيقَةٍ خَاصَّةٍ قَدْ أُخِذَ فِيهَا تَحْقِيقُ هَدَفَيْنِ:

الأوَّلُ: تَرْبِيَةُ الإنْسانِ

إنَّ اللهَ سُبْحانَهُ وتَعَالَى لَا يَحْتاجُ صَلاةَ الإنسانِ ولَا صِيامَهُ ولَا حَجَّهُ ولَا أَيَّةَ عِبادَةٍ مِن عِباداتِهِ، وكذلكَ لَا يَحْتاجُ إلى اعْتِرافِ الإنْسانِ بِأُلوهِيَّتِهِ وبِرِسَالَاتِهِ وبِرُسُلِهِ ولَا بِالْيَوْمِ الآخِرِ، بَلْ إنَّ المَوْلَى جَعَلَ تِلكَ العِباداتِ مِن أَجْلِ تَرْبِيَةِ الإنْسانِ وضَمانِ اسْتِقامَتِهِ في طَرِيقِ التَّطْهِيرِ والتَّكامُلِ، وعَلَيْهِ فيَكُونُ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٩٦]؛ أَيْ: مَا خَلَقْتُهُم إلّا لِيَتَطَهَّرُوا ويَتَكَامَلُوا بِإطاعَتِي وعِبادَتِي، فَلَا يَحْصُلُ التَّكامُلُ إلّا بِطَاعَةِ الله تَعَالَى وامْتِثالِ أَوَامِرِهِ وأَحْكَامِهِ.

---

[٨٨] سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

الثاني: شُمُولِيَّة التَّرْبِيَة

إنَّ المُرَبِّيَ الحَكيمَ العَادِلَ لَا بُدَّ أَن يَجْعَلَ مَنْهَجَ التَّرْبِيَةِ وتَشْرِيعَهُ بِمَا يُنَاسِبُ جَميعَ الأَحْوالِ وكَافَّةَ المُسْتَوياتِ الذِّهْنِيَّةِ والاجْتِماعِيَّةِ، فَفي الصَّلاةِ نَجِدُ الأُسْلُوبَ التَّرْبَوِيَّ النَّاجِحَ وَاضِحًا في تَحْقِيقِ الهَدَفَيْنِ. (فَمَثلًا) نَجِدُ الطَّابعَ العَامَّ والغَالِبَ لِلصَّلاةِ هُوَ أُسْلُوب التَّقْرِيرِ ولَيْسَ أُسْلُوب التَّكَلُّم المُبَاشِر، والثَّابِتُ أنَّ أُسْلُوبَ التَّقْرِيرِ هُوَ الأَفْضَلُ في تَرْبِيَةِ الإنْسَانِ علَى التَّوْحِيدِ والتَّقْدِيسِ لله والتَّحْمِيدِ والتَّمْجِيدِ؛ لِأَنَّ تَقْريرَ الحَقائِقِ بَيْنَ يَدَي الله تَعَالَى تُشْعِرُ الإنْسانَ وبِصُورَةٍ أَكْثَرَ وُضُوحًا بِحَقِيقَةِ الله وحَقِيقَةِ الخَلْقِ، وتُشْعِرُهُ بِمَوْقِعِ نَفْسِهِ مِن هذا الوُجُودِ الوَاسِعِ، فَالتِّلاواتُ الوَاجِبَةُ في الصَّلاةِ مِن التَّكْبِيرِ والتَّحْمِيدِ والتَّوْحِيدِ والتَّهْليلِ والتَّشَهُّدِ جَميعُها حَقائِق عَن الله وصِلَتِهِ بِالوُجُودِ، وهذهِ التِّلاواتُ يَقومُ المُصَلِّي بِتَقْرِيرِهَا وذِكْرِهَا في نَفْسِهِ بَيْنَ يَدَي الله تَعَالَى، (فَمَثلًا) يُقِرُّ المُصَلِّي بِـ (اللهُ أَكْبَر)، ولَا يُخاطِبُ اللهَ تَعَالَى ويَتَكَلَّمُ مَعَهُ بِقَوْلِهِ (اللّهُمَّ أَنْتَ أَكْبَرُ) ويُقِرُّ بِـ (بِسْمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، ولَا يُخاطِبُ بِـ (بِسْمِكَ اللّهُمَّ) ويُقِرُّ بِـ (الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ)، ولَا يُخَاطِبُ بِـ (الحَمْدُ لَكَ يَا رَبَّ العَالَمِينَ)، ويُقِرُّ بِـ (سُبْحَانَ رَبِّي العَظِيمِ وبِحَمْدِهِ)، ولَا يُخَاطِبُ بِـ (سُبْحَانَكَ رَبِّي العَظِيمِ وبِحَمْدِكَ) ويُقِرُّ بِـ (سُبْحَانَ رَبِّي الأَعْلَى وبِحَمْدِهِ) ولَا يُخاطِبُ بِـ (سُبْحَانَكَ رَبِّي الأَعْلَى وبِحَمْدِكَ).

فَالهَدَفُ الرَّئِيسُ مِن الصَّلاةِ هُوَ تَرْبِيَةُ الإنْسانِ وصَقْلُ شَخْصِيَّتِهِ وتَكَامُلُها بِالأُسْلُوبِ الأَكْثَرِ مِثَالِيَّةً مِن التَّقْدِيسِ والتَّعْظِيمِ بِالتَّقريرِ بِالحَقائِقِ بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى.

الثمرَةُ الخامِسَةُ: الصِّحَّةُ الجَسَدِيَّةُ

أَشَرْنَا في كِتابِ الطَّهارَةِ إِلَى الجَانِبِ الصِّحِّيِّ المُتَرَتِّبِ علَى الالْتِزامِ بِالتَّطْهِيرِ، والمَعْلُومُ أَنَّ الصَّلاةَ مَشْرُوطَةٌ بِالطَّهَارَةِ فَتَكُونُ تِلكَ الثَّمَراتُ والمُعْطياتُ الصِّحِّيَّةُ مِن مُلَازِمَاتِ الصَّلاةِ ومِن ثَمَرَاتِها، وفِي خُصُوصِ أَفْعَالِ الصَّلاةِ وأَوْقَاتِها ومُسْتَحَبَّاتِها، فَقَدْ تَصَدَّى العَديدُ مِن الأَخِصَّائِيِّينَ المُسْلِمِينَ لِلْبَحْثِ في هذا المَوْضُوعِ، وصَدَرَ العَديدُ مِن البُحوثِ والدِّراسَاتِ بِهذا الخُصوصِ، وأَذْكُرُ لَكَ بِإِيجازٍ بَعْضَ تِلكَ النَّتائِجِ الصِّحِّيَّةِ المُتَرَتِّبَةِ عَلى الصَّلاةِ ومُتَعَلَّقَاتِها:

١ - النَّوْمُ المُبَكِّرُ (مِن أَجْلِ الاسْتِيقَاظِ لِصَلاةِ اللَيْلِ وصَلاةِ الفَجْرِ)، لَهُ عَلاقَةٌ بِصِحَّةِ الجِسْمِ العَامَّةِ.

٢ - الاسْتِيقَاظُ المُبَكِّرُ (لِصَلاةِ الفَجْرِ)، لَهُ عَلاقَةٌ بِصِحَّةِ الرِّئَةِ ونَقَاءِ الدَّمِ.

٣ - الوُقُوفُ لِلصَّلاةِ واشْتِراطُ الاطْمِئْنانِ، لَهُ عَلاقَةٌ بِصِحَّةِ الأَعْصابِ.

٤ – الرُّكُوعُ لَهُ عَلاقَةٌ بِصِحَّةِ العَمُودِ الفَقَرِيِّ والجِهَازِ الهَضْمِيِّ.

٥ – السُّجُودُ لَهُ عَلاقَةٌ بِصِحَّةِ الجِهَازِ العَظْمِيِّ والهَضْمِيِّ والدَّوْرَةِ الدَّمَوِيَّةِ خَاصَّةً في الرِّئَةِ والرَّأْسِ، ولَهُ عَلاقَةٌ بِصِحَّةِ الشَّرايِينِ.

٦ – جَلْسَةُ التَّوَرُّكِ ووَضْعُ ظَاهِرِ القَدَمِ اليُمْنَى علَى بَاطِنِ القَدَمِ اليُسْرَى، لَهُ عَلاقَةٌ بِصِحَّةِ الفَقَراتِ.

الثمرة السادسة: التكامل الاجتماعي

تُوجَدُ ثَمَراتٌ اجْتِماعِيَّةٌ عَديدَةٌ تَتَرَتَّبُ علَى الالْتِزامِ الحَقِيقِيِّ بِالصَّلاةِ، فَالنَّهْيُ عَن الفَحْشاءِ والمُنْكَرِ لَهُ آثارٌ اجْتِماعِيَّةٌ كَثيرَةٌ؛ لِأَنَّ المُنْكَراتِ الرُّوحِيَّةَ والأَخْلاقِيَّةَ لَها تَأْثِيراتٌ سَلْبِيَّةٌ علَى المُجْتَمَعِ بِصُورَةٍ مُباشِرَةٍ أَوْ غَيْرِ مُباشِرَةٍ، كَالزِّنَا والكَذِبِ والتَّكَبُّرِ والرِّياءِ وشُرْبِ الخَمْرِ والظُّلْمِ، فَانْتِفاءُ مِثْل هذهِ المُنْكَراتِ يُؤَدِّي إلى صِيانَةِ المُجْتَمَعِ وحِفْظِهِ وتَحَقُّقِ المِثالِيَّةِ والأَمانِ فِيهِ.

و مِن جانبٍ آخرَ يمكن الاسْتِفادَةُ مِن الصَّلاةِ لِامْتِلاكِ المَفَاهِيمِ الصَّحيحَةِ والخَيِّرَةِ والاعْتِقادِ بِها وتَرْجَمَتِهَا إلَى أَخْلاقٍ كَرِيمَةٍ وسُلُوكٍ خَيِّرٍ وحَسَنٍ في الخَارِجِ، يَكُونُ لَهُ تَأْثِيرٌ إيجابِيٌّ ونَافِعٌ لِلْمُجْتَمَعِ، كَالزَّكاةِ والخُمْسِ والصَّدَقَةِ والتَّواضُعِ والتَّعاطُفِ والتَّرَاحُمِ والصِّدْقِ والتَّوَحُّدِ في خَطِّ الحَقِّ والسَّعْيِ لِمَرْضاةِ الله تَعَالَى.

وإلَيْكَ بَعْضَ المَوارِدِ التي تُشيرُ إلَى بَعْضِ الثِّمارِ والمَظاهِرِ الاجْتِماعِيَّةِ المُتَرَتِّبَةِ علَى الصَّلاةِ:

١ – الوَحْدَةُ الفِكْرِيَّةُ

إنَّ الالْتِزامَ بِالصَّلاةِ اليَوْمِيَّةِ يُبْرِزُ الوَحْدَةَ الفِكْرِيَّةَ لِلْمُجْتَمَعِ المُصَلِّي علَى اخْتِلافِ أَجْناسِهِ وبُلْدانِهِ، فَالجَميعُ يَرْفَعُ شِعَارَ (اللهُ أَكْبَرُ) و (لَا إلهَ إلّا الله) في كُلِّ يَوْمٍ لَيلًا ونَهارًا، وكذلكَ النُّهُوضُ المُبَكِّرُ قَبْلَ طُلوعِ الشَّمْسِ مِن أَجْلِ صَلاةِ الصُّبْحِ، والتَّطْهيرُ اللازِمُ لَها ولِكُلِّ صَلاةٍ، وكذا الالْتِزامُ بِصَلاةِ الظُّهْرِ بَعْدَ شَوْطِ العَمَلِ، وهكذا بَقِيَّةُ الصَّلَواتِ، فَكُلُّ ذلكَ يُشيرُ ويَدُلُّ علَى وَحْدَةِ الأُصُولِ الفِكْرِيَّةِ التي يَقُومُ عَلَيْها المُجْتَمَعُ المُسْلِمُ ويَعْتَقِدُ بِها.

٢ – الوَحْدَةُ الظّاهِرِيَّةُ

إنَّ اجْتِماعَ المُصَلِّينَ لِصَلاةِ الجَماعَةِ في الصَّلَواتِ اليَوْمِيَّةِ أَو لِصَلاةِ الجُمُعَةِ أَوْ العِيدَيْنِ والآياتِ في بَلَدِهِمْ، أَو في مَواسِمِ الحَجِّ، وتَوَجُّهَ الجَميعِ إلَى مَرْكَزٍ واحِدٍ وجِهَةٍ وَاحِدَةٍ وهيَ الكَعْبَةُ المُشَرَّفَةُ، ومَا يَحْمِلُهُ

المُصَلُّونَ مِن وَحْدَةٍ نَفْسِيَّةٍ وفِكرِيَّةٍ، كُلّ ذلكَ بِمَجْمُوعِهِ يَعْكِسُ الوَحْدَةَ الحَقِيقِيَّةَ لِلْمُجْتَمَعِ المُسْلِمِ، وقَدْ أُبْرِزَتْ هذهِ الوَحْدَةُ ظَاهِرًا بِالاجْتِماعِ لِصَلاةِ الجَماعَةِ.

٣ - الوَحْدَةُ في المَشاعِرِ والسُّلُوكِ

بَعْدَ الْتِفاتِ المُصَلِّينَ إلَى أَنَّ الصَّلاةَ الإسْلامِيَّةَ لَيْسَتْ عَمَلًا شَكْلِيًّا مُفَرَّغًا يُقْصَدُ بِهِ الوَحْدَةُ الشَّكْلِيَّةُ الظَّاهِرِيَّةُ فَقَطْ أَو الفِكْرِيَّةُ الجَامِدَةُ، بَل المُرادُ مِن الصلاةِ التَّربِيَّةُ اليَوْمِيَّةُ الضَّرُورِيَّةُ لِإعْدادِ الشَّخْصِيَّةِ المُسْلِمَةِ الرِّسَالِيَّةِ، لِتَقُومَ هذهِ الشَّخْصِيَّةُ بِدَوْرِهَا الطَّلِيعِيِّ والقِيَادِيِّ في المُساهَمَةِ في إِصْلاحِ المُجْتَمَعِ وتَكَامُلِهِ لِلْحُصُولِ علَى سَعَادَةِ الدَّارَيْنِ دَارِ الاخْتِبارِ ودَارِ القَرارِ.

اللّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا ثِمَارِ الصَّلاةِ ومُعْطَياتِهَا العَطِرَةِ الزَّكِيَّةِ، اللّهُمَّ تَقَبَّلْ صَلاتَنَا وصَلَاةَ أُمَّهاتِنَا وآبَائِنَا علَى أَحْسَنِ قَبُولٍ، وارْزُقْنَا جَمِيعًا شَفاعَةَ الرَّسُولِ وعَلِيٍّ زَوْجِ البَتُولِ (صَلواتُ الله عَلَيْهِما وعلَى آلِهِما).

كتاب الصلاة

القسم الثاني

الفصل الأول
أفعال الصلاة

۞ النظرة الموضوعية في تـقـيـيم النفس
۞ الانحراف النفسي والأخلاقي
١ – العجب
٢ – التكبر
۞التخلّي عن آفة العجب والتكبر
١ – الضعـف والوهن الذاتي
٢ – الضعـف والعجز أمام بلاء الدُنيا
٣ – الضعـف والعجز التام أمام اللّه تعالى
٤ – محاسـن التواضع والمتواضعـين
٥ – تربية النفس

الفصل الثاني
معراج النبي (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ومعراج المصلّي

الجهة الأولى: تلاوات الصلاة
الجهة الثانية: العروج المقدس
١ – التخلّي عن علائق الدُنيا
٢ – العروج
٣ – خرق الحجب
٤ – التكلم والمناجاة
٥ – تجلي نور الكبرياء
٦ – تجليات إضافية
٧ – التشريف والتكريم
٨ – السلام على المقربين
الجهة الثالثة: معراج النبيّ (صلّى اللّه عليه وآله وسلم) ومعراج المصلي
١ – طهور الصلاة
٢ – التوجه للمسجد والمحراب
٣ – الآذان والإقامة
٤ – التكبير
٥ – القراءة
٦ – الركوع
٧ – السجود
٨ – التشهّد والتسليم

الفصل الأوّل

أفعال الصلاة

إنّ المولى المقدّس أوجب الصلاة وجعلها من أجل التربية الروحيّة والجسديّة وأشار إلى هذا من خلال الموارد التي بَيّن فيها أنّ كمال الصلاة وقبولها لا يتحقّق إلاّ بتوفّر شروط، وهذه الشروط تشترك في أدائها الروح والجسد، ولأفعال الصلاة بصورة عامّة العديد من الأغراض تعالج أكثر من جانب من جوانب الحياة الخاصّة والعامّة في الدنيا والآخرة، نذكر منها:

١ – الجانب الصحّيّ

إنّ الصراع القائم في الروح والنفس بين قوى الخير وقوى الشر؛ أي بين الفجور والتقوى، صراع يخضع له الجسد أيضًا ويتأثّر بنتائجه للارتباط الوثيق بين الروح والجسد، وكذا الكلام فيما إذا كان الجسد يعيش صراعًا من مرض معيّن، فإنّ هذا الصراع ينعكس على الروح، وعليه فالأفعال البدنيّة التي يقوم بها المصلّي أثناء أدائه الصلاة والتي يقوم بها الجسد تنعكس تأثيراتها على الروح، فالجسم الصحيح والسليم أكثر رغبة وإقبالًا على الصلاة من الإنسان السقيم، وهذا الارتباط والتأثير تحدّثنا عنه في القسم الأوّل من كتاب الصلاة عندما كان الكلام عن الكسل، وكذا فيما يخصّ الجانب الصحّيّ البدنيّ بالخصوص فراجع ذلك الكتاب.

٢ – الجانب السلوكيّ: معالجة العجب والكِبر

إنّ أفعال الصلاة تمثّل أحد الأساليب العملية المناسبة لمعالجة العجب والتكبّر عند الإنسان، كما في وقوفه ذليلًا صغيرًا أمام الله تعالى، وعندما يركع ويسجد لله على نحو الذُّلّ والعبودية، وكما في التحاق المصلّي بصلاة الجماعة فيكون في صفوف المصلّين من هو أقلّ منه مالًا وولدًا وحسبًا ونسبًا.

النظرة الموضوعيّة في تقييم النفس

إنّ الإنسان يمتلك مجموعة من الاستعدادات والقوى، منها القوى الجسديّة وهي كبيرة، لكنّها محدودة، ومنها القوى النفسيّة وهي كبيرة وهائلة وليست محدودة بالقياس إلى فكر الإنسان المحدود عمومًا، ومع تلك القوى يمتلك الإنسان الطموح الذي يوازي تلك القوى أو يفوقها، وفي مقابل ذلك يوجد في الإنسان نقاط ضعف يمكن أن تحطّم تلك القوى، وعليه:

١ – إذا تحطّمت القوى الجسديّة، أصبح الإنسان جسدًا خائرًا.

٢ – وإذا تحطّمت القوى النفسيّة والعقليّة أصبح الإنسان موجودًا تافهًا.

والنظرة الموضوعيّة الواقعيّة البديهيّة تفيد بأنّ وجود تلك القوى والحفاظ عليها، وعدم إضعافها وتحطيمها وبالتالي استطاعة الإنسان ممارسة أعماله الحياتيّة المعاشيّة والعباديّة وغيرها، كلّ ذلك بفضل الله ونعمه، فعلينا أن نعي هذه البديهة ونجعلها في أذهاننا ونصْبَ أعيننا كي تكون المؤدّب والموجّه لنا ولتصرّفاتنا وسلوكنا في دار الاختبار لجني ثمار أعمالنا فيها، وفي دار البقاء والقرار.

الانحراف النفسي والأخلاقي

ولكن مع وضوح وبداهة تلك النظرة الموضوعيّة، نجد الكثير من الناس ينحرف عن هذا النظر والفكر بسبب ما يشعر به من نقص فيصاب بأمراض نفسيّة وأخلاقية، كالعجب والكبر، ويشترك المرضان من كونهما متولّدان من النقص والذلّة في النفس، وتفصيل الكلام:

العجب

هو استعظام الإنسان نفسه لاتصافه بمَزيّة كالعلم والمال والجاه والعمل، وليس في العجب طرف ثانٍ يتعالى عليه، وهو من الأمراض الخُلُقية المنفِّرة الدالّة على ضِعـة النفس وضيق الأُفق وسقمه، وقد أشار المولى إلى هذه الآفّة المرضيّة وآثارها:

١ – قوله تعالى: ﴿فَلا تـُزَكُّوا أَنـْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتـَّقى﴾[٩٧].

٢ – عن الإمام الباقر (عليه السلام): ((ثلاث هُـنَّ قاصمات الظهر: رجل استكثر عمله، ونسي ذنوبه، وأعجب برأيه))[٩٨].

٣ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((من دخله العجب هـلك))[٩٩].

التـكـبـر

نفس معنى العجب من استعظام الإنسان نفسه، لكن في التكبّر يوجد طرف آخر حيث يتعاظم ويتكبّر الإنسان على الغـير، وهو من أخطر الأمراض الخُلُقيّة وأفتكها، وقد أشار الشارع المقدّس إلى هذه الآفّة المرضيّة وآثارها السلبيّة وذمّها، ونذكر بعض ما ورد:

١ – قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمتكبرين﴾[١٠٠].

---

[٩٧] سورة النجم، الآية: ٣٢ .

[٩٨] المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٩، ص٣١٤. وفي الجزء الثاني والسبعين من البحار وردت عن الصادق (عليه السلام).

[٩٩] المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٩، ص ٣٠٩؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١، ص٣٨٦.

(٩٢) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

٢ – قوله تعالى: ﴿ولا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ كلّ مُخْتالٍ فَخُورٍ﴾[١٠١].

٣ – عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: ((مرَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على جماعة فقال: على ما اجتمعتم؟

فقالوا: يا رسول الله، هذا مجنون يصرع، فاجتمعنا عليه.

فقال (صلّى الله عليه وآله): ليس هذا بمجنون ولكنّه المبتلى.

ثمّ قال (صلّى الله عليه وآله): ألا أخبركم بالمجنون، حقّ الجنون؟

فقالوا: بلى يا رسول الله.

قال (صلّى الله عليه وآله): المتبختر في مشيه، والناظر في عطفيه، المحرِّك جنبيه بمنكبيه، يتمنّى على الله جنّته، وهو يعصيه، الذي لا يُؤمَن شرَّه، ولا يُرجى خيره، فذلك المجنون وهذا المبتلى))[١٠٢].

٤ – عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((فاعتبروا بما كان من فعل الله بإبليس، إذ أحبط عمله الطويل وجهده الجهيد؟ وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة، لا يُدرى أمن سني الدنيا أمْ من سني الآخرة، عن كبر ساعة واحدة، فمن بعد إبليس يسلم على الله بمثل معصيته، كلا ما كان الله سبحانه وتعالى لِيُدْخِل الجنة بشرًا بأمرٍ أخرج به منها ملكًا... واستعيذوا بالله من لواقح الكبر، كما تستعيذون من طوارق الدهر، فلو رخّص الله في الكبر لأحد من عباده لرخّص فيه لخاصّة أنبيائه ورسله، ولكنّه سبحانه كرَّهَ إليهم التكابر ورضي لهم التواضع))[١٠٣].

٥ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((ما من رجل تكبّر أو تجبّر إلاّ لذلّة وجدها في نفسه))[١٠٤].

ومن الآثار السلبيّة المترتّبة على آثار العجب والكبر، أنّ كلًا منهما يمثّل حجابًا عن الرؤية النقيّة الصحيحة المتوازنة، حتّى يزداد ذلك الحجاب عمقًا وشدّة، فيتحقّق الطبع على القلب، فيكون الإنسان مصداقًا لقوله تعالى: ﴿كَذلِكَ يَطْبَعُ اللهُ عَلى كلّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[١٠٥].

---

(٩٣) سورة لقمان، الآية: ١٨.

[١٠٢] المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٣٣، الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٦٥٥.

[١٠٣] المجلسي، بحار الأنوار، ج١٤، ص٤٦٥ – ٤٦٨؛ خطب الإمام علي، نهج البلاغة، ص١٣٨ – ١٤٤.

[١٠٤] الكليني، الكافي، ج٢، ص٣١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٠، ص٢٢٥؛ النراقي، جامع السعادات، ج١،

(٩٧) سورة غافر، الآية: ٣٥.

التخلّي عن آفّة العجب والتكبّر

وعليه فينبغي على كلّ إنسان أن يجهد نفسه في انتخاب العلاج المناسب والسير فيه حتّى الحصول على الشفاء التامّ والتكامل الروحيّ والأخلاقيّ.

وإليك طريقة شرعيّة لعلاج آفّتي العجب والكبر وتتكوّن من عدّة نقاط:

الأولى: الضعف والوهن الذاتي

ينبغي على الإنسان أن ينظر جيّدًا ويتفكّر بما يتّصف به من ألوان الضعف والوهن في كثير من ظروفه الحياتيّة، حيث لا يقوى على جلب المنافع وردّ المكاره، ولينظر إلى بداية خلقه من نطفة مستقذرة، وعلى طول عمره يحمل العذرة النجسة وسيختم حياته بالموت، فيصير جيفةً نتنةً ينفر منها أقرب الأحباب الأُمّ العطوف والأب الحنون والأخ الشفيق والصديق المحبّ، وقد أشار العديد من الموارد الشرعيّة إلى هذا المعنى منها:

ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((وقع بين سلمان الفارسي وبين رجل كلام وخصومة، فقال له الرجل: من أنت يا سلمان؟ فقال سلمان: أما أوّلي وَأوَّلُكَ فنطفة قذرة، وأمّا آخري وآخرك فجيفة مُنتنة، فإذا كان يوم القيامة ووضعت الموازين فمن ثقل ميزانه فهو الكريم، ومن خفّ ميزانه فهو اللئيم))[١٠٦].

الثانية: الضعف والعجز أمام بلاء الدنيا

ينبغي التفكّر والتدبّر بمقدار ضعفنا وعجزنا أمام اختبارات وبلاءات الدنيا، كالمرض والفقر والموت، بل لا يستطيع الصبر والصمود لفترات محدّدة أمام الجوع والعطش والبرد والحرّ، ومن الموارد الشرعيّة التي تشير إلى هذا المعنى:

ما ورد عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): ((لولا ثلاث ما طأطأ رأس ابن آدم شيء، المرض والفقر والموت، وكلّهم فيه وإنّه معهم لوثاب))[١٠٧].

الثالثة: الضعف والعجز التامّ أمام الله تعالى

بعد التفكّر والتمعّن بالنقطتين السابقتين يكون الإحساس والشعور بالضعف والعجز أمام الخالق تعالى أوضح وأجلى؛ لأنّه تعالى هو الخالق والمالك والمنعم والقويّ والقاهر والمانح للقدرة والعقل والحياة، فعلينا التركيز على المفاهيم التي تعطينا نظرة صحيحة عن أنفسنا وكوننا مملوكين لله تعالى ومحتاجين إليه

---

[١٠٦] الصدوق، الأمالي، ص٧٠٨؛ معاني الأخبار، ص ٢٠٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٢٢، ص٣٥٥.

[١٠٧] المجلسي، بحار الأنوار، ج٥، ص٣١٦.

على نحو الدوام، وأنّ أفعالنا الصالحة العباديّة وغيرها جميعًا لا تساوي نعمة واحدة من نعم الله، ويتجسّد هذا بالتخلّي عن العجب والكبر والاتّصاف بالعبوديّة المطلقة لله تعالى والذلّة والتواضع له جلّت قدرته، ولنستفيد من مواقف بعض الصالحين:

١ – حُكي أنّ أحد الأشخاص خرج في جنح الليل في وقت السحر متّجهًا إلى أحد المراقد المشرّفة للمعصومين (عليهم السلام) لأداء مراسم الزيارة والعبادة من صلاة الليل وصلاة الفجر، فبينما هو في طريقهِ إذ فاجأهُ العُجُب بعملهِ وخروجهِ سحرًا للعبادة وقد ترك لذة الدفء وحلاوة النوم، وبينما هو يفكر ويحدّث نفسه بذلك لاحَ لهُ بائع (شلغم) فاقترب منه وسأله كم تربح في عملك هذا خلال الليل؟ فأجاب البائع: أربح درهمين أو ثلاثة.

فرجع (السائل) إلى نفسه مخاطبًا لها علامَ العجُب؟ وقيمة أسحاري وعبادتي لا تزيد على درهمين أو ثلاثة.

٢ – وحُكي أنّ أحد الصلحاء عمل في ليلة القدر أعمالًا جمّة من الصلوات والدعوات والأوراد استثارت عجبه، فراحَ يعالج آفة العجب بحكمةٍ وسداد، فقال لبعض المؤمنين ممن يؤجَّـر لبعض العبادات: كم تتقاضى على القيام بأعمال هذا الليلة؟ فقال المؤمن: نصف دينار. فرجع الرجل الصالح إلى نفسه مؤنّبًا ومخاطبًا لها: علامَ العجب وقيمة أعمالي كلّها نصف دينار؟

الرابعة: محاسن التواضع والمتواضعين

علينا تذكّر واستحضار مآثر ومحاسن التواضع والمتواضعين، وتحسين ومدح العقلاء والعقل لهم، وكذلك تحسين الشارع المقدّس ومدحه للتواضع والمتواضعين وعلينا تذكّر واستحضار مساوئ وأضرار وآثام العجب والتكبّر والمتكبرين، وإليك بعض ما ورد عن المولى في هذا الخصوص:

١ – عن النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلم): ((إنَّ أحبكم إليَّ وأقربكم منّي يوم القيامة مجلسًا، أحسنكم خُلُقًا، وأشدّكم تواضعًا، وإنّ أبعدكم منّي يوم القيامة، الثرثارون وهم المستكبرون))[١٠٨].

٢ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((جاء رجل موسر إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) نقيّ الثوب، فجلس إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فجاء رجل معسر، دَرِن الثوب، فجلس إلى جنب الموسر، فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذيه، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أخِفتَ أن يمسّكَ من فقره شيء؟

---

[١٠٨] المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨، ص٣٨٥؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص٤٤٨؛ النمازي الشاهرودي، مستدرك سفينة البحار، ج١٠، ص٣٧١.

قال (الموسر): لا.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فَخِفتَ أن يوسخ ثيابك؟

فقال (الموسر): لا.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فما حملك على ما صنعت؟

قال (الموسر): يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إنَّ لي قرينًا يزيّن لي كلّ قبيح، ويقبّح لي كلّ حسن، وقد جعلت له (للمعسر) نصف مالي.

فقال (صلّى الله عليه وآله وسلم) للمعسر: أتقبل؟

قال (المعسر): لا.

فقال له الرجل الموسر: لِمْ؟

قال (المعسر): أخاف أن يدخلني ما دخلك))[١٠٩].

٣ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنّ في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبّر وضعاه))[١١٠].

٤ – عن بعض العلماء قال: ((وجدنا: التواضعُ مع الجهلِ والبخلِ أحمدُ عند العقلاء من الكبر مع الأدب والسخاء، فأنبِلْ بحسنة غطّت على سيئتين، وأقبِح بسيئةٍ غطّت على حسنتين))[١١١].

الخامسة: تربية النفس

يجب على كلّ إنسان أن يربّي نفسه وشخصيّته ويروّضها عمليًّا على التحرّر من العجب والكبر، والتخلّق بأخلاق المتواضعين بمخالطة الفقراء والبسطاء ومبادرتهم بالسلام ومواكلتهم وإجابة دعوتهم وغير هذا من أخلاق أهل بيت العصمة (عليهم السلام).

وممّا لا يخفى أنّ أفعال الصلاة من أوضح مصاديق ووسائل تربية النفس على التواضع؛ لأنّها ممارسة ومنهج يومي متكرّر يفرض على المصلّي التواضع بأجلى صورة، حيث الوقوف بين يدي الله عزَّ وجل بذلّة وسكينة وأدب، ويزداد تواضعًا وذلّة عندما ينحني للركوع تعظيمًا لله تعالى، ويصل التواضع والخضوع أقصى درجاته عندما نفترش الأرض بجباهنا ونحن نعترف بالجميل للمولى ونقرّ له بالعبوديّة والحاجة

---

[١٠٩] الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٦٢؛ البحراني، حلية الأبرار، ج١، ص٣٨١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٩، ص١٣.

[١١٠] المجلسي، بحار الأنوار، ج٥٦، ص١٩١.

[١١١] القول مشهور لبُزَرْجُمِهْر؛ عالم وحكيم ووزير فارسي لأنوشيروان، ذكر قوله هذا الراغب الأصفهاني في محاضرات الأدباء.

الدائمة إليه تعالى، وبتكرار هذه الأفعال والتفكّر والتمعّن في معانيها وأهدافها، يحصل التفكير والتقييم الموضوعي الواقعي النقيّ المتوازن الصحيح للنفس ومنزلتها، ممّا يؤدّي إلى التحرّر من النفس الأمّارة والهوى والشيطان والدنيا، فيحصل العلاج التامّ من العجب والكبر، ويتأكّد ويتعمّق الإيمان والتعلّق بالله تعالى ويصير المصلّي فردًا فعّالًا رساليًّا مفيدًا في المجتمع ومحبًّا لأخيه الإنسان، وبذلك يتحقّق الأمان والسعادة في الدارين.

الفصل الثاني

معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعراج المصلّي

الجهة الأولى: تلاوات الصلاة

كان الكلام في الفصل الأوّل عن أفعال الصلاة وأوضاعها بصورة رئيسة، وفي هذا الفصل نجعل الحديث بصورة رئيسة عن التلاوات إضافة إلى ما سنشير إليه من أمور أُخرى خلال البحث.

المعروف عندنا أنّ بعض تلاوات الصلاة واجب والبعض الآخر مستحبّ، والتلاوات الواجبة بعضها متعيّن؛ أي لا يوجد لها بديل كتكبيرة الإحرام وسورة الفاتحة في الركعتين الأوّليتين، والبعض الآخر له بديل فيكون المصلّي مخيّر بينهما وبين البديل، كما في السورة في الركعتين الأوّليتين، فالمكلّف مخيّر في اختيار السورة التي يريد قراءتها، وكالتلاوة في حال القيام في الركعتين الأخيرتين فالمكلف مخيّر بين سورة الفاتحة وبين التسبيحة (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلّا الله والله أكبر)، وسنتعرّض إلى بعض معاني وأهداف بعض التلاوات الواجبة والمستحبّة الخاصّة في الصلاة وفي مقدّماتِها، وأرجو من الله تعالى أن يوفّقنا جميعًا لأن نستأنس بها وتثبت في أذهاننا ونفوسنا لاستحضارها في أوقات الصلاة وغيرها، فتكون مقدّمة لحضور القلب والخشوع؛ حتّى نصل بصلاتنا إلى درجة القبول.

الجهة الثانية: العروج المقدس

لمّا كانت الصلاة معراج المؤمن، كان الواجب على المصلّي المتعبّد أن يستحضر رحلة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وسيرته في معراجه إلى عرش ربّه الجبّار المتعال، والثابت أنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد عرج أكثر من مرة، وربّما يرجع تعدّد الروايات واختلاف بعض مضامينها إلى اختلاف وتعدّد رحلات العروج، وعلى العموم يقال: قد مرَّ (صلّى الله عليه وآله) في عدة محطّات وحالات منها:

الأولى: التخلّي عن علائق الدنيا

حيث نزع ونفض (صلّى الله عليه وآله وسلّم) عن نفسه وذاته الطاهرة علائق الدنيا الدنيّة، ويقابلها في معراج المصلّي طهور الصلاة.

الثانية: العروج

بعد التخلّي عن علائق الدنيا عرج وتوجّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى عرش ربّه وهو عرش القرب والوصال، ويمكن اعتبار التوجّه للمسجد والمحراب والآذان والإقامة في معراج المصلّي مما يقابل العروج والتوجّه في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم).

الثالثة: خرق الحجب

كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كلّما خرقَ حجابًا من الحجب الجسمانيّة كَبَّرَ الربَّ سبحانه وتعالى، فكشف بسبب التكبير حجابًا من الحجب العقلائيّة حتّى وصل إلى عرض العظمة والجلال، ودخل مجلس الأنس والوصال، ويمكن اعتبار تكبيرة الإحرام والتكبيرات الستّة معها ممّا يقابل محطّة خرق الحجب.

الرابعة: التكلّم والمناجاة

بعد أن وصل النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى عرض العظمة والجلال ودخل مجلس الأنس والوصال، وبعد رفع الحجب المعنويّة بينه وبين مولاه، بدأ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالتكلّم والمناجاة مع ربّه العليّ، ويمكن اعتبار القراءة في معراج المصلّي ممّا يقابل محطّة التكلّم والمناجاة.

الخامسة: تجلي نور الكبرياء

بعد التكلّم والمناجاة يستحقّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) أن يتجلّى له نور من أنوار الكبرياء والجبروت، فصعق وركع لذلك النور؛ ولذلك يمكن اعتبار الركوع في معراج المصلّي يقابل محطّة التجلّي والنور والكبرياء.

السادسة: تجلّيات إضافية

عندما ركع النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وخضع لذلك النور استحقّ أن يتجلّى له نور أعلى وأبهى من السابق فرفع رأسه وشاهده فصعق ووصل إلى أقصى درجات الخضوع فخرّ ساجدًا لعظمة ذلك النور، ويقال: هذه المحطّة، السجود.

السابعة: التشريف والتكريم

وبعد خرق تلك الحجب وطيّ تلك المقامات والوصول إلى درجة الشهود والاتّصال بالربّ اللطيف الودود، رفعت له الأستار وقرب إلى مقام قاب قوسين أو أدنى فشرّفه المولى وأكرمه بأن قرن اسمهُ باسمهِ في الشهادتين وأنعمَ عليه ورحمه بالصلاة عليه وعلى أهل بيته (عليهم السلام).

الثامنة: السلام على المقربين

بعد أن وصل إلى ذلك المقام ونال ذلك التكريم، أمره بالسلام على المقرّبين في الجنان الذين فازوا بمثل هذا المقام حتّى يحصل التشريف والتأليف بين مقرّبي جنانه، ويمكن القول: إنّ هذا السلام للابتداء حينما وصل والتقى بالمقرّبين أو للانتهاء حينما أراد توديعهم، ويقابل هذه المحطّة التسليم في معراج المصلّي.

الجهة الثالثة: معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعراج المصلّي

ينبغي على كلّ مصلٍّ فهم تلك المعاني واستحضارها في أثناء الصلاة وأثناء مقدّماتها، ولا يخفى أنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قد عُرِجَ به إلى السماء أكثر من مرّة، وربّما يكون هذا سببًا في تعدّد الروايات وحصول الاختلاف فيما بينهما، والكلام سيكون في محطّات نذكر منها:

المحطّة الأولى: طهور الصلاة

عندما تتهيّأ للطهور قاصدًا الصلاة استحضرْ إنّكَ تقوم لإسقاط خطاياك وذنوبك؛ لأنّ الطهور مفتاح الصلاة ومطهّر ومزّكي القلب والنفس، واستحضر إنّك تريد أن تقرّ باعتقادك ويقينك بالولاية لمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) وعليّ وأهل بيته (عليهم السلام)، ولا ننسى ما ذُكر في الجزء الأول من كتاب الصلاة في معنى الولاية فيما ورد عن أمير المؤمنين (عليه السلام): {إنّ وليّ محمد من أطاع الله وإنْ بعدت لحمته، وإنَّ عدوّ محمّد من عصى الله وإنْ قربت قرابته}.

وإليك بعض المعاني الروحيّة والأخلاقيّة التي تُستحضر أثناء عملية التطهير فيما ورد عن الشارع المقدس:

١ – عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((إنّ العبد إذا توضأ فغسل وجهه تناثرت عنه ذنوب وجهه، وإذا غسل يديه إلى المرفقين تناثرت ذنوب يديه، وإذا مسح رأسه تناثرت عنه ذنوب رأسه، وإذا مسح رجليه أو غسلها للتقيّة تناثرت عنه ذنوب رجليه، وإذا قال في أوّل وضوئه (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) طهرت أعضاؤه كلّها من الذنوب، وإذا قال في آخر وضوئه أو غسله للجنابة، (سبحانك اللهمّ وبحمدك أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، وأشهد أنّ محمدًا عبدك ورسولك، وأشهد أنّ عليًّا وليّك وخليفتك بعد نبيّك على خلقك، وأنّ أولياءَه خلفاؤك وأوصياءَه أوصياؤك) تحاتت عنه ذنوبه كلّها كما تحاتّ ورق الشجر، وخلق الله بعدد كلّ قطرة من قطرات وضوئه أو غسله ملكًا يسبّح لله ويقدّسه ويهلّله ويكبّره ويصلّي على محمّد وآله الطيّبين، وثواب ذلك لهذا المتوضئ))[١١٢].

٢ – عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) مفتاح الصلاة الطهور...

لا يقبل الله تعالى صلاة بغير طهور...

وإنّ أعظم طهور الصلاة الذي لا تقبل الصلاة إلّا به، ولا شيئًا من الطاعات مع فقده، (هو) موالاة محمّد وأنّه سيّد المرسلين وموالاة عليّ وأنّه سيّد الوصيّين، وموالاة أوليائهما ومعاداة أعدائهما))[١١٣].

---

[١١٢] المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣١٦؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٢، ص٢٣٦ باختلاف بسيط في ذيلها.

[١١٣] المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣١٦.

٣ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إن أردت الطهارة والوضوء:

أ – فتقدّم إلى الماء تقدّمك إلى رحمة الله، فإنّ الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته، ودليلًا على بساطة خدمته، فكما إنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد، كذلك النجاسات الظاهرة يطهّرها الماء لا غير، قال الله عزّ وجل: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّياحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُورًا﴾[١١٤].

وقال (عزّ وجل): ﴿ وَجَعَلْنا مِنَ الْماءِ كلّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾[١١٥]، وكما أحيا كلّ شيء به من الدنيا كذلك برحمته وفضله جعلها حياة القلوب والطاعات))[١١٦].

ب – ثمّ قال (عليه السلام): ((وتفكّر بصفاء الماء ورقّته وطهوره وبركته، ولطيف امتزاجه بكلّ شيء... واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها، وآتِ بآدابه وفرائضه وسننه، فإنّ تحت كلّ واحد منها فوائد كثيرة، وإذا استعملتها بالرحمة انفجرت لك عيون فوائده عن قريب))[١١٧].

جـ –ثمّ قال (عليه السلام): ((ثمّ عاشر خلق الله كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي إلى كلّ شيء حقّه، ولا يتغيّر عن معناه، معتبرًا بقول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (مثل المؤمن الخالص كمثل الماء)، وليكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء وسمّاه طهورًا، وطهّر قلبك للتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء))[١١٨].

وعليه فينبغي على كلّ إنسان إذا أراد أن يتوجّه إلى جناب الحقّ تعالى بعد تشبّثه بالعلائق الدنيئة وتوغّله في العلائق الدنيويّة، أن يرفع ويدفع عن نفسه الأنجاس الظاهرة والباطنة، ويتحلّى بما يستر عورته الجسمانيّة والروحانيّة، ويتعطّر بروائح الأخلاق الحسنة، ويتطهّر من دنس الذنوب والأخلاق الذميمة، وعليه أن يُخرج من بيته الأصنام والكلاب والخنازير والخمور والصور، كذلك عليه أن يُخرج من قلبه أصنام حبّ الذهب والفضّة والأموال والأولاد والنساء، ويُخرج كلاب وخنازير النفس الأمّارة

---

[١١٤] سورة الفرقان، الآية: ٤٨.

[١١٥] سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

[١١٦] المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣٣٩، وفي مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص١٢٨؛ النراقي، جامع السعادات، ج٣، ص٢٥٢.

[١١٧] المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣٣٩، وفي مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق عليه السلام، ص١٢٨؛ النراقي، جامع السعادات، ج٣، ص٢٥٢.

[١١٨] المصدر نفسه.

الغضبيّة والشهويّة الحيوانيّة السيئة، ويـُخرج من قلبه أيضًا خمور وسكر الملك والمال والجاه والمناصب الزائفة، ويـُخرج صور أصحاب الأموال والطغاة والواجهات.

المحطّة الثانية: التوجّه للمسجد والمحراب

بعد التطهير واستحضار معانيه وأسراره، إذا ذهب المصلّي إلى المسجد فليحضر في باله ويتفكّر في عظمة وقدرة وجلال صاحب هذه البيوت والمساجد وهو الله الواحد القهّار، فإذا وصل إلى أبواب المساجد، فليكن مندهشًا متحيّرًا مرتعدًا خاضعًا مستكينًا ذليلًا ولا يكون باب المسجد والمسجد أقلّ عظمة ورهبة من أبواب وبيوت الملوك والسلاطين.

وعند حضور الجماعة استحضر في ذهنك وتفكّر وتدبّر في أنّك تريد إظهار الإسلام والدين وجعل حجّة الله تعالى تامّة وظاهرة على الجميع، وكذلك استحضر أنّ صلاة الجماعة تمثّل التكافل والتعاون والبرّ والتقوى والزجر عن كثير من المعاصي، فعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم): ((جُعلت الجماعة، لأن لا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلّا ظاهرًا مكشوفًا مشهودًا، لأنّ في إظهاره حجّة على أهل الشرق والغرب لله عزّ وجلّ، وليكون المنافق المستخفّ مؤدّيًا لما أقـرّ به، يُظهر الإسلام، والمراقبة، ولتكون شهادات الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزة ممكنة، مع ما فيه من المساعدة على البرّ والتقوى والزجر عن كثير من معاصي الله عزّ وجلّ))[١١٩].

وإذا توجّهت إلى محرابك ومُصلّاك فعليك أن تجتهد أو تنقطع عن جميع الخلائق إلى الله تعالى ورحمته وكرمه، فإنّك في محلّ مجاذبة ووسوسة النفس الأمّارة والشيطان، فاستعذ بالله العليّ القدير من شرور النفس والشيطان وغرورهما وتوجّه بصورتك إلى بيت الله الحرام، وتوجّه بقلبك إلى الله تعالى وأعرضْ عن كلّ شيء سواه، فعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: ((إذا توجّه (العبد) إلى مصلّاه ليصلّي، قال الله عز وجل لملائكته: يا ملائكتي ألا ترون إلى عبدي هذا، قد انقطع عن جميع الخلائق إليَّ، وأمّلَ رحمتي وَجُودي ورأفتي، أشهدكم أنّي أخصّه برحمتي وكراماتي))[١٢٠].

المحطة الثالثة: الأذان والإقامة

الكلام في أمرين:

الأمر الأوّل: الآذان والإقامة في معراج النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

---

[١١٩] المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص٧١.

[١٢٠] المصدر نفسه، ج٧٧، ص٣١٧.

إنّ الآذان والإقامة في رحلة المعراج للنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، عبارة عن خلع الأنداد والتوحيد وإعلان بعثة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، والشهادة للنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، بالنبوّة والرسالة ولأخيه عليّ (عليه السلام) بالإمامة وإمرة المؤمنين وكذا في الآذان والإقامة الحثّ على العبادة لله واتّباع وإطاعة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وفيهما التقديس والتسبيح ونور العظمة والكبرياء وما أفاض من نور وكرامة للنبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وفيهما سجود الملائكة وفتح أبواب السماء والسلام على أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومما يشير إلى تلك المعاني:

١ – ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): عن آبائه (عليهم السلام) عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في معراجه (صلّى الله عليه وآله وسلم): ((حتّى انتهيت إلى الحجاب الذي يلي الرحمن عزّ وجلّ، فخرج ملك من وراء الحجاب فقال: (الله أكبر، الله أكبر)... ثمّ قال الملك: (الله أكبر، الله أكبر)...

فنـُودي من وراء الحجاب، صدق عبدي، أنا أكبر أنا أكبر...

فقال الملك: (أشهد أن لا إله إلّا الله، أشهد أن لا إله إلّا الله)...

فنودي من وراء الحجاب، صدق عبدي (لا إله إلّا أنا)...

فقال الملك: (أشهد أنّ محمدًا رسول الله، أشهد أنّ محمّدًا رسول الله)...

فنودي من وراء الحجاب، (صدق عبدي أنا أرسلت محمّدًا رسول الله)...

فقال الملك: (حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة)...

فنودي من وراء الحجاب (صدق عبدي، ودعا إلى عبادتي)...

فقال الملك: (حيَّ على الفلاح، حيَّ على الفلاح)

فنودي من وراء الحجاب (صدق عبدي ودعا إلى عبادتي)

فقال الملك (قد أفلح من واضب عليها)))[١٢١].

٢ – عن الإمام الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((لمّا أُسري بي... وحضرت الصلاة، فأذّن جبرئيل (عليه السلام) فلمّا قال: (الله أكبر، الله أكبر)

قالت الملائكة: (الله أكبر، الله أكبر)

---

[١٢١] البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٤، ص٦٧٥؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص١٥١؛ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٤، ص٧٢ باختلاف في قوله (أنا الله، لا إله إلا أنا، لا إله إلا أنا) فعبارة (أنا الله) غير موجودة في نسخة أحاديث الشيعة ولا في نسخة البحار، ج٨١، نعم في البحار، ج، ١٨، ص٣٧٨، وردت (أن الله لا إله إلا أنا) وهي غير تامّة، ويحتمل سقوط الألف من (أن) فهي (أنا).

فلمّا قال جبرئيل: (أشهد أن لا إله إلّا الله، أشهد أن لا إله إلّا الله)

قالت الملائكة: خلع الأنداد.

فلمّا قال جبريل: (أشهد أنّ محمّدًا رسول الله، أشهد أنّ محمّدًا رسول الله)...

قالت الملائكة: (نبي بعث).

فلمّا قال جبريل: (حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة)

قالت الملائكة: حث على عبادة ربّه.

فلمّا قال جبريل: (حيَّ على الفلاح، حيَّ على الفلاح)

قالت الملائكة: أفلح من اتّبعه))[١٢٢].

٣ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنّ الله العزيز الجبّار عرج بنبيّه إلى سمائه سبعًا... أنزل الله العزيز الجبّار عليه مَحْمَلًا من نور، فيه أربعون نوعًا من أنواع النور كانت محدقة حول العرش، تغشي أبصار الناظرين... فجلس (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فيه ثمّ عُرِجَ به إلى السماء الدنيا، فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء ثمّ خرّت سُجّدًا فقالت: سُبّوح قدّوس ربّنا وربّ الملائكة والروح، ما أشبه هذا النور بنور ربّنا، فقال جبرئيل: الله أكبر، الله أكبر. فسكت الملائكة، وفتحت أبواب السماء واجتمعت الملائكة، ثمّ جاءت فسلّمت على النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) أفواجًا ثمّ قالت: يا محمّد كيف أخوك؟

قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): بخير.

قالت الملائكة: فأقرِئهُ منّا السلام... قد أخذ الله عزّ وجلّ ميثاقك وميثاقه منّا...

ثمّ زاده أربعين نوعًا من أنوار النور لا يشبه شيء من ذلك النور الأول...

ثمّ عرج به إلى السماء الثانية، فلمّا تنافرت الملائكة إلى أطراف السماء وخرّت سُجّدًا، وقالت: سُبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، ما أشبه هذا النور بنور ربّنا

فقال جبرئيل: أشهد أن لا إله إلا الله، أشهد أن لا إله إلّا الله

فاجتمعت الملائكة، وفُتِحت أبواب السماء...

قال جبرئيل: ... هذا محمّد... وقد بُعِث.

قال (صلّى الله عليه وآله وسلم): فخرجوا إليّ... فسلّموا... وقالوا:

---

[١٢٢] الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٥، ص٤١٧؛ الصدوق، معاني الأخبار، ص٣٧٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٤٤.

أُقرِئ أخاك السلام...

ثمّ قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ثم زادني ربّي عزّ وجلّ أربعين نوعًا من أنواع النور لا تشبه الأنوار الأولى وزادني حلقًا وسلاسل، ثم عُرِجَ بي إلى السماء الثالثة، فنفرت الملائكة إلى أطراف السماء، وخرّت سُجّدًا وقالت: سُبّوح قُدّوس ربّ الملائكة والروح، ما هذا النور الذي يشبه نور ربّنا.

فقال جبرئيل: أشهد أنّ محمّدًا رسول الله، أشهد أنّ محمّدًا رسول الله، فاجتمعت الملائكة، وفتحت أبواب السماء...

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): سلّموا عليَّ وسألوني عن عليّ أخي...

ثم قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ثم زادني ربّي عزّ وجلّ أربعين نوعًا من أنواع النور لا تشبه شيئًا من تلك الأنوار... ثم عرج بي إلى السماء الرابعة فلم تقل الملائكة شيئًا وسمعت دويًا كأنّه في الصدور، واجتمعت الملائكة...

فقال جبرئيل (عليه السلام): حيَّ على الصلاة، حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، حيَّ على الفلاح... ثم قال جبرئيل: قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة...))[١٢٣].

الأمر الثاني: الآذان والإقامة في معراج المصلّي

بعد الاشتغال والانشغال بالشبهات والأعمال المادّيّة الدنيويّة وحصول النسيان، يأتي بعد دور الطهارة دور الآذان والإقامة بالتذكير في عظمة الله وقدسه وجلاله ولطفه وقهره ليضمحلّ في نظره من عداه، وفيهما الشهادة لله بالوحدانيّة وخلع الأنداد والشهادة لمحمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) بالنبوّة ولعليّ (عليه السلام) بالإمامة وفيهما (أي الآذان والإقامة) دعوة جهريّة بالإيمان وإعلان للإسلام وأمر بالطاعة وحمل للأمانة، وأذكر لك بعض الموارد الشرعيّة التي تشير إلى تلك المعاني التي نستحضرها عند الآذان والإقامة:

١ – عن الإمام الصادق عن آبائه (عليهم الصلاة والسلام): ((إنّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) كان يقول لبلال إذا أذّن: اعلُ فوق الجدار وارفع صوتك بالآذان، فإنّ الله عز وجل قد وكّلَ بالآذان ريحًا

---

[١٢٣] الكليني، الكافي، ج٣، ص٤٨٣؛ الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٣١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٥٤؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٨.

ترفعه إلى السماء، فإذا سمعته الملائكة قالوا: هذه أصوات أُمّة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بتوحيد الله، فيستغفرون الله لأُمّة محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلّم) حتّى يفرغوا من تلك الصلاة))[١٢٤].

٢ – عن النبيّ المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((إذا قال المؤذّن (حيَّ على الصلاة)... فإنّ (الله) يقول: يا أُمّة أحمد، دين قد أظهر الله لكم ورسوله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) فلا تضيّعوه، ولكن تعاهدوا يغفر الله لكم، ففرّغوا لصلاتكم فإنّها عماد دينكم.

وإذا قال المؤذّن (حيَّ على الفلاح)

فإنّ (الله) يقول: يا أُمّة أحمد، فتح الله عليكم أبواب الرحمة، فقوموا وخذوا نصيبكم من الرحمة، تربحوا للدنيا والآخرة.

وإذا قال المؤذّن (حيَّ على خير العمل)...

فإنّ الله يقول: ترحّموا على أنفسكم، فإنّه لا أعلم لكم عملًا أفضل من هذه، فتفرّغوا لصلاتكم قبل الندامة.

وإذا قال المؤذن (لا إله إلّا الله)...

فإنّ الله تعالى يقول: يا أُمّة محمّد اعلموا أنّي جعلت سبع سماوات وسبع أرضين في أعناقكم، فإن شئتم فأقبلوا وإن شئتم فأدبروا))[١٢٥].

٣ – عن الإمام الرضا (عليه السلام): ((أُمِرَ بالصلاة لعلل كثيرة منها: أن يكون تذكيرًا للساهي، وتنبيهًا للغافل، وتعريفًا لمن جهل الوقت واشتغل عن الصلاة، وليكون ذلك داعيًا إلى عبادة الخالق، مرغّبًا فيها، مقرًّا له بالتوحيد، مجاهرًا بالإيمان، معلنًا بالإسلام، مؤذنًا لمن ينساها، وإنّما يُقال مؤذن لأنّه يؤذن بالصلاة...

وبدأ بالتكبير... لأنّه أراد أن يبدأ بذكر اسمه... وجعل بعد التكبير شهادتين؛ لأنّ أوّل الإيمان إنّما هو التوحيد والإقرار لله عزّ وجلّ بالوحدانيّة، والثاني الإقرار للرسول بالرسالة، وإنّ طاعتهما ومعرفتهما مقرونتان؛ ولأنّ أصل الإيمان هو الشهادة... فإذا أقرّ لله بالوحدانيّة وأقرّ للرسول بالرسالة، فقد أقرّ بجملة الإيمان، لأنّ أصل الإيمان إنّما هو الإقرار بالله وبرسوله...

---

[١٢٤] الكليني، الكافي، ج٣، ص٣٠٧؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٥، ص٤١١؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٢، ص٥٨.

[١٢٥] المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص١٥٤.

وجعل بعد الشهادتين الدعاء إلى الصلاة؛ لأنّ الأذان إنّما وُضِعَ لموضع الصلاة، وإنّما هو نداء إلى الصلاة... التهليل اسم الله في آخره، فأحبّ الله أن يختم الكلام باسمه كما فتحه باسمه))[١٢٦].

٤ – عن ابن عباس (رضي الله تعالى عنه): ((إذا قال المؤذّن (الله أكبر، الله أكبر) يقول (الله تعالى): يا مشاغيل الأرض قد وجبت الصلاة فتفرّغوا لها، وإذا قال المؤذّن: (أشهد أن لا إله إلّا الله)، يقول (الله تعالى): يقوم يوم القيامة ويشهد لي ما في السماوات وما في الأرض على أنّي أخبرتكم بذلك في اليوم خمس مرات، وإذا قال المؤذّن: (أشهد أنّ محمّدًا رسول الله) يقول (الله تعالى): تقوم القيامة ومحمّد يشهد لي عليكم أنّي قد أخبرتكم بذلك في اليوم خمس مرات، وحجّتي على الله قائمة، وإذا قال المؤذّن: (حيَّ على الصلاة) يقول الله تعالى: دينًا قـيّمًا فأقيموه، وإذا قال المؤذّن: (حيَّ على الفلاح) يقول الله تعالى: هلمّوا إلى طاعة الله، وخذوا سهمكم من رحمة الله... وإذا قال المؤذّن: (حيَّ على خير العمل) يقول الله تعالى: ترحّموا على أنفسكم، فإنّه لا أعلم لكم عملًا أفضل من هذه فتفرّغوا لصلاتكم قبل الندامة...، وإذا قال المؤذّن (الله أكبر، الله أكبر) يقول الله تعالى: حرمت الأعمال، وإذا قال المؤذّن: (لا إله إلّا الله) يقول الله تعالى: أمانة سبع سموات، وسبع أرضين، والجبال، والبحار، وضعت على أعناقكم، إنْ شئتم أقبلوا، وإن شئتم فأدبروا))[١٢٧].

المحطة الرابعة: التكبير

الكلام في أمرين:

الأمر الأول: التكبير في معراج النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم)

التكبير في رحلة معراج سيّد الكائنات (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يمثّل التعظيم والتقديس وفتح أبواب السماء ورفع الحجب والترقّي في منازل التكامل، وقد أشار المولى إلى معاني التكبير في موارد عديدة منها:

١ –عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنّ الله العزيز الجبار عرج بنبيه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) إلى سمائه... قال جبرئيل (عليه السلام): (قد قامت الصلاة، قد قامت الصلاة)... ثمّ قال جبرئيل: يا محمد

---

[١٢٦] المحقّق البحراني، الحدائق الناضرة، ج٧، ص٤٣٧؛ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٥٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص٦٦.

[١٢٧] الصدوق، معاني الأخبار، ص٤١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص١٤٢؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٤، ص٦٧٨؛ ابن طاووس، فلاح السائل، ص١٤٩.

استقبل الحجر الأسود، وهو بحيالي، وكبّر بعدد حجبي، فمن أجل ذلك صار التكبير سبعًا؛ لأنّ الحجب سبعة))[١٢٨].

٢ – عن الإمام الكاظم (عليه السلام): ((إنّ الله تعالى خلق السموات سبعًا والأرضين سبعًا، والحجب سبعًا، فلما أُسري بالنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) وكان من ربّه كقاب قوسين أو أدنى، رفع له حجاب من حجبه، ... فكبّر رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) سبعًا حتّى رفع سبع حجب))[١٢٩].

الأمر الثاني: التكبير في معراج المصلّي

إذا توجّه العبد إلى مصلّاه ليصلّي بعد أن تطهّر وقرأ الآذان والإقامة، فعليه أن يستعدّ للدخول بالصلاة والإقبال عليها بقلبه مستحضرًا وملتفتًا إلى ذلّة مقامه، وإلى عظمة مولاه الذي يناجيه، وليكن كأنّه يراه وليستحِ من أن يكلّمه بلسانه وهو يتّجه بقلبه إلى غيره، وفي حال وقوفه بوقار وخشوع يبتهل ويتضرّع بتكبيرة الإحرام مستحضرًا الله جلّ جلاله وعظمته ليضمحلّ في نظره من عداه، وليخرق بكلّ تكبير حجابًا من الحجب الظلمانية الراجعة إلى نقصه، والحجب النورانية الراجعة إلى كمال معبوده، والأفضل إضافة ستّ تكبيرات أُخر، تقول بعد التكبيرة الثالثة (اللّهمَّ أنت الملك الحقّ المبين لا إله إلّا أنت سبحانك إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي، إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت)، وتقول بعد التكبيرة الخامسة (لبّيك وسعديك والخير في يديك، والشرّ ليس إليك، والمهدي من هديت، عبدك وابن عبديك، ذليل بين يديك، منك وبك وإليك، لا ملجأ ولا منجى ولا مفرّ منك إلّا إليك، سبحانك وحنانيك، تباركت وتعاليت، سبحانك ربّ البيت الحرام)، وتقول بعد التكبيرة السابعة (وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّماواتِ وَالأَرْضَ عالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهادَةِ حنيفًا مسلمًا وَما أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيايَ وَمَماتِي للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ)، فبتكبيرة الإحرام (الله أكبر) نفتتح الصلاة وندخل في حرمها بعد أن رفعت الحجب بها، فالتكبيرة ينبغي أن تشعرك وتحسسك بمن تقف بين يديه جلّ جلاله، فتنزعك من حطام الدنيا وتلبسك الجدّ والشعور بالمسؤوليّة والحاجة إلى الحنان والرحمة الإلهية بعد التعقّل والحكمة والشعور بالجلال والعظمة للمنعم والقادر والقاهر، ولأنَّ الإنسان في صراع

---

[١٢٨] الكليني، الكافي، ج٣، ص٤٨٣؛ الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٣١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٥٤؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٨.

[١٢٩] الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ٣٣٢؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٦٩.

دائم مع النفس الأمّارة وإبليس والهوى والدنيا، فتحصل عنده الغفلة والشرود عن الله تعالى وعن معاني الصلاة حتّى في الصلاة، وقد عالج الشارع المقدّس هذه الحالة المرضيّة بأساليب عديدة منها جعل التكبير وعبارة (الله أكبر) مكرّرة في كلّ جزء من أجزاء الصلاة، فيقوم التكبير بإرجاعك إلى الله الأكبر وإلى معاني الصلاة كلّما سرحت وغفلت عنها، وقد أشار المولى إلى أهمّية التكبير في عدّة موارد منها:

١ – عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((لكلّ شيء وجه ووجه دينكم الصلاة، فلا يشينَنَّ أحدكم وجه دينه، ولكلّ شيء أنف، وأنف الصلاة التكبير))[١٣٠].

٢ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((فإذا كبّرتَ فاستصغر ما بين السموات العلى والثرى دون كبريائه، فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره، قال: يا كذّاب، أتخدعني؟ وعزّتي وجلالي لأحرمنَّكَ حلاوة ذكري ولأحجبنَّكَ عن قربي والمسرّة بمناجاتي))[١٣١].

٣ – عن الإمام الرضا (عليه السلام): ((إنّما ترفع اليدان بالتكبير، لأنّ رفع اليدين ضرب من الابتهال والتبتل والتضرّع... ولأنّ في رفع اليدين إحضار النيّة وإقبال القلب))[١٣٢].

المحطّة الخامسة: القراءة

من الواضح أنّ القراءة في الصلاة تهدف بصورة رئيسة إلى الحثّ على قراءة القرآن وعدم هجرانه والحثّ على الاستفادة من أحكامه وسننه ويشير لهذا ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام): ((أُمروا بالقراءة لئلّا يكون القرآن مهجورًا مضيّعًا، وليكون محفوظًا مدروسًا فلا يضمحلّ ولا يُجهل))[١٣٣].

والكلام في هذا المقام عن سورة الفاتحة وهنا أمران:

---

[١٣٠] الكليني، الكافي، ج٣، ص٢٧؛ الطوسي، تهذيب الأحكام، ج٢، ص٢٣٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٣٧٣؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٤، ص٧٢.

[١٣١] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٤، ص٩٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٣٠.

[١٣٢] الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٢٩.

[١٣٣] المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص٥٤؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٣٨؛ البحراني، الحدائق الناضرة، ج٨، ص٩٣ باختلاف في كلمة مضيعًا، ففي روايته (منسيًا).

الأمر الأوّل: القراءة في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم)

بعد خرق الحجب الظلمانيّة والنورانيّة والوصول إلى عرض العظمة والجلال والدخول في مجلس الأنس والوصال، وبعد رفع الحجب المعنوية بين النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومولاه المتعال، كَلَّمَ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) مولاه وناجاه، حتّى استحقّ أن يتجلّى له نور من الأنوار الإلهيّة، فالقراءة تعني الكلام والمناجاة، ويشير إلى هذا المعنى ما ورد:

عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنّ الله العزيز الجبّار عرج بنبيّه إلى سمائه... فلمّا فرغ من التكبير والافتتاح، قال الله عزّ وجل: الآن وصلت إليّ، فسمّ باسمي، فقال(صلّى الله عليه وآله وسلّم): (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)... ثمّ قال تعالى له: احمدني، فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ، وقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) في نفسه: شكرًا، فقال الله تعالى: ... سمِّ باسمي، فمن أجل ذلك جعل في (سورة) الحمد (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) مرّتين...، فلما بلغ وَلاَ الضَّالِّينَ، قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم): الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ،... ، قال (الله تعالى) له: اقرأ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ...) كما أنزلت فإنّها نسبتي ونعتي...، (وفي الركعة الثانية)... قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ثمّ قمت...، فقال الله تعالى: يا محمّد اقرأ الحمد فقرأتها مثل ما قرأتها أوّلًا...

ثمّ قال (تعالى) لي: اقرأ إنّا أنزلناه فإنها نسبتك ونسبة أهل بيتك إلى يوم القيامة))[١٣٤].

الأمر الثاني: القراءة في معراج المصلّي

بعد أن خرق المصلّي بكلّ تكبير حجابًا من الحجب الظلمانيّة الراجعة إلى نقصه، والحجب النورانيّة الراجعة إلى كمال المعبود العظيم، وبعد المعرفة والانقياد والتسليم، يقبل العبد بكلّ جوارحه وجوانحه إلى العليم الحكيم فيستحضر المصلّي أثناء القراءة عدّة محاور منها:

١ – الشكر والثناء: على المصلّي استحضار نعم الله عليه فيحمده على نعمائه، ويقرّ بأنّه ربّ العالمين وقد أخرجه من كتم العدم إلى أن أوصله إلى مقام العابدين الصالحين، ويقرّ بأنّه الرحمن الرحيم وأنّه مالك يوم الدين ويجزي المطيعين والعاصين بما يستحقّ كلّ منهم.

٢ – التوحيد: يصرّح ويقرّ العبد بأنّ العبوديّة والطاعة لا تكون إلّا لله الواحد القهّار.

---

[١٣٤] الكليني، الكافي، ج٣، ص٤٨٣؛ الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٣١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٥٤؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٨.

٣ – الاستعانة: يعلن العبد عمّا يعتقد به وعن واقع الأمر بأنّ الاستعانة وطلب العوز والطاقة والقدرة تنحصر بالمعين والمجيب والمنعم والقادر جلّ جلاله في كلّ ما يحتاج إليه في أموره العباديّة وغيرها، وإنّ من استعان بغير الله القادر ذلّ.

٤ – المعرفة: يطلب المصلّي عند قراءة الفاتحة من الله تعالى أن ينعم ويفيض عليه من أنواره ونعمه للرشاد والوصول إلى طريق المعرفة الحقيقيّة العلميّة والشرعيّة والأخلاقية المتمثّلة في طريق النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين، بعد الإقرار لهم بالحقّ واليقين والتعهد بالسير معهم وفي طريقهم بعون الكريم العظيم، وفي نفس الوقت نطلب منه تعالى أن يبيّن لنا ويعرّفنا طريق المعاندين الذين غضب الله عليهم، وطريق التائهين الضالّين عن جادّة الحقّ، للحذر من هذين الطريقين ومن أصحابها ورفضهم والابتعاد عنهم والتبرّي منهم.

وإليك بعض ما يشير إلى تلك المعاني:

١ – عن الإمام الرضا (عليه السلام) وقد سُئِلَ: لماذا وجبت سورة الحمد في كلّ صلاة؟

فقال (عليه السلام): ((لأنّه ليس شيء من القرآن والكلام جُمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد، وذلك:

من قوله (الْحَمْدُ للهِ) إنّما هو أداء لما أوجب الله تعالى على خلقه من الشكر، وشكر لما وفق عبده للخير، (رَبِّ الْعالَمِينَ) تمجيد له وتحميد وإقرار بأنّه هو الخالق المالك لا غيره، (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) استعطاف وذكر لآلائه ونعمائه على جميع خلقه، (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) إقرار الآخرة بالبعث والحساب والمجازاة وإيجاب له ملك الآخرة كما أوجب له ملك الدنيا، (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) رغبة وتقرب إلى الله عز وجل وإخلاص بالعمل له دون غيره، (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) استزادة من توفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم عليه ونصره، (اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ) استرشاد به واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة بربه وبعظمته وكبريائه، (صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ) توكيد في السؤال والرغبة، وذكر لما تقدم من نعمة على أوليائه ورغبة في مثل تلك النعم، (غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ) استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين به وبأمره ونهيه، (وَلاَ الضَّالِّينَ) اعتصام من أن يكون من الضالين الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنّهم

يحسنون صنعًا، فقد اجتمع فيه (الحمد) من جوامع الخير والحكمة في أمر الآخرة والدنيا مالا يجمعه شيء من الأشياء))[١٣٥].

٢ – عن النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: ((قال الله عزّ وجل: قسمت فاتحة الكتاب بيني وبين عبدي، فنصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سئل، إذا قال العبد: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ، قال الله تعالى: بدأ عبدي باسمي وحقّ عليّ أن أتمّم له أموره، وأُبارك له في أحواله،

العبد: الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعالَمِينَ.

الله تعالى: حمدني عبدي، وعلم أنّ النعم التي له من عندي وأنّ البلايا التي دفعت عنه بتطولي، أشهدكم أنّي أُضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة، وأدفع عنه بلايا الآخرة كما دفعت عنه بلايا الدنيا.

العبد: الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ.

الله تعالى: شهد لي عبدي أنّي الرحمن الرحيم، أشهدكم لأوفرنَّ من رحمتي حظّه ولأجزلنَّ من عطائي نصيبه.

العبد: مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ.

الله تعالى: أشهدكم كما اعترف بأنّي أنا المالك يوم الدين لأسهلنَّ يوم الحساب حسابه، ولأتقبلنَّ حسناته ولأتجاوزنَّ عن سيئاته.

العبد: إِيَّاكَ نَـعْـبُدُ.

الله تعالى: صدق عبدي، إيّاي يعبد، أشهدكم لأُثيبنَّه على عبادته ثوابًا يغبطه كلّ من خالفه في عبادته لي.

العبد: وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ.

الله تعالى: بي استعان عبدي وإليَّ التجأ، أشهدكم لأعينَنَّه على أمره، ولأغيثنَّه في شدائده، ولآخذنَّ بيده يوم نوائبه.

العبد: اهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ.

الله تعالى: هذا لعبدي، ولعبدي ما سأل، وقد استجبت لعبدي وأعطيته ما أمّل وآمنته ممّا منه وجل))[١٣٦].

---

[١٣٥] الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٦٠؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٣٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص٦٧.

[١٣٦] الصدوق، الأمالي، ص٢٣٩؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١٥، ص٨٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٢٦.

المحطة السادسة: الركوع

الكلام في أمرين:

الأمر الأوّل: الركوع في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم)

في عروج النبيّ المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلم) كان الركوع يشير إلى معانٍ عديدة منها الخضوع لله والتعظيم له والتأدّب في حضرته المقدّسة وفيه إشارة إلى التجلّي لنور العظمة والجبروت والنظر إلى العرش القدسيّ والملكوت، ويشير إلى ذلك:

١ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنّ الله العزيز الجبار عرج بنبيه إلى سمائه سبعًا... فلما فرغ النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) من التكبير والافتتاح، قال الله عزّ وجلّ: الآن وصلت إلي فسمِّ باسمي... ثم قال تعالى للنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم): احمدني... فقال (الله) له: اقرأ (قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ) كما أنزلت فإنّها نسبتي ونعتي...

وقال تعالى له (للنبيّ صلّى الله عليه وآله): ثم طأطي يديك واجعلهما إلى ركبتيك فانظر إلى عرشي.

قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فنظرت إلى عظمةٍ ذهبت لها نفسي وغشيَ عَلَيَّ، فألهمت أن قلت (سبحان ربي العظيم) لعظم ما رأيت، فلما قلت ذلك تجلّى الغشي عنّي... فرجعت إليَّ نفسي كما كانت))[١٣٧].

٢ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((لا يركع عبد الله ركوعًا على الحقيقة، إلا زينه الله بنور بهائه وأظله في ظِلال كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه... وفي الركوع أدب... فإنَّ الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم))[١٣٨].

٣ – عن الإمام الكاظم (عليه السلام): ((لما أُسري بالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وكان من ربّهِ كقاب قوسين أو أدنى رفع له حجاب من حجبه، فكبّر رسول الله سبعًا حتّى رفع له سبع حجب، فلما ذكر ما رأى من عظمة الله ارتعدت فرائصه، فانبرك على ركبتيه وأخذ يقول (سبحان ربي العظيم وبحمده)))[١٣٩].

الأمر الثاني: الركوع في معراج المصلّي

---

[١٣٧] الكليني، الكافي، ج٣، ص٤٨٣؛ الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٣١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٥٤؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٨.

[١٣٨] المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٨.

[١٣٩] البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٦١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٦٩.

ذكرنا في أفعال الصلاة أنّ فعل الركوع يمثّل الخضوع والخشوع والأدب والانقياد والعبادة، والإصرار على ذلك وعلى الصلاة حتّى لو قطعت العنق، وهنا يشمل الكلام تلاوة الركوع (ويسمى بالذكر في الركوع) وفيها تجسيد الخضوع والخشوع وتعميق الإيمان والانقياد؛ لأنَّ في الذكر التسبيح والتنزيه والتقديس والشكر والثناء والحمد، فتقدير (سبحان ربّي العظيم وبحمده)، التقديس والتنـزيه ثابت لربّي العظيم، وأنّي أعترف بنعمهِ عليَّ من الوجود والحياة والقدرة والعقل وغيرها، وأُقرّ له بالشكر والثناء والتحميد، وبهذا يكون المصلّي قد شغل قلبه وذهنه بذكر الله تعالى، فلا يذهب به الفكر والأماني إلى غير الله تعالى من الأمور الدنيويّة الزائفة الزائلة، وقد أشار المولى إلى تلك المعاني كما ورد في الموارد:

١ – قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾[١٤٠].

٢ – قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾[١٤١].

٣ – عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، عندما سُئل عن معنى مدّ العنق في الركوع، فقال (عليه السلام): ((تأويله: آمنت بوحدانيّتك ولو ضربت عنقي))[١٤٢].

٤ – سُئِلَ الإمام الباقر (عليه السلام)، أيهما أفضل في الصلاة، كثرة القراءة أو طول اللبث في الركوع والسجود؟

قال (عليه السلام): ((كثرة اللبث في الركوع والسجود في الصلاة أفضل، أما تسمع لقول الله تعالى: ﴿فَاقْرَؤُا ما تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ﴾ إنّما عنى بإقامة الصلاة طول اللبث في الركوع والسجود))[١٤٣].

٥ – عن الإمام الباقر (عليه السلام): ((من أتمّ ركوعه لم تدخله وحشة في قبره))[١٤٤].

٦ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((فرائض الصلاة سبع: الوقت، والطهور، والتوجّه، والقبلة، والركوع، والسجود، والدعاء))[١٤٥].

---

(١٣٢) سورة الحج، الآية: ٧٧ .

(١٣٣) سورة الواقعة، الآية: ٩٦ .

[١٤٢] الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٣٢٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٣؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٦٢.

[١٤٣] الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٣٣٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٢٣؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٢٠٠.

[١٤٤] الصدوق، ثواب الأعمال، ص٣٣ بدل كلمة ركوعه وردت (ركعة)؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٧.

٧ – عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): ((لا يركع عبد الله ركوعًا على الحقيقة إلا زيّنهُ الله بنور بهائه، وأظلّه في ظلّ كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه))[١٤٦].

٨ – ثمّ قال (عليه السلام): ((والركوع أوّل، والسجود ثانٍ، فمن أتى بمعنى الأوّل صلح للثاني، ... وفي الركوع أدب وفي السجود قرب، ومن لا يُحسن الأدب لا يصلح للقرب، فاركع ركوع خاشع لله بقلبه، متذلّل وَجِل تحت سلطانه، خافض له بجوارحه، خفض خائف، حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين))[١٤٧].

٩ – ثمّ قال (عليه السلام): ((واستوفِ ركوعك باستواء ظهرك، وانحط عن همّتك في القيام بخدمته إلّا بعونه، وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده، فإنّ الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له، ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطّلاع عظمته على سرائرهم))[١٤٨].

١٠ – عن الإمام الرضا (عليه السلام): ((جعل التسبيح في الركوع والسجود... لعلل منها: أن يكون العبد مع خضوعه وخشوعه وتعبّده وتورعه واستكانته وتذلّله وتواضعه وتقرّبه إلى ربّه، مُقَدِّسًا له، مُمَجِّدًا مسبّحًا مُعَظِّمًا شاكِرًا... وليستعمل التسبيح والتحميد كما استعمل التكبير والتهليل... وليشغل قلبه وذهنه بذكر الله فلا يذهب به الفكر والأماني إلى غير الله))[١٤٩].

المحطة السابعة: السجود

الكلام في أمرين:

الأمر الأوّل: السجود في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

---

[١٤٥] الحرّ العاملي، الفصول المهمة في أصول الأئمّة، ج٢، ص٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٠، ص١٦٠؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٨٦.

[١٤٦] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٤، ص٤٤١؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٨.

[١٤٧] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٤، ص٤٤٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٨.

[١٤٨] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٤، ص٤٤٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٨.

[١٤٩] المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص٦٨؛ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٦٠؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٣٠٠.

وللسجود في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) نفس معاني الركوع من الخضوع والخشوع والتعظيم والتأدّب، لكنّها بصورة أوضح وأجلى وأكثر عمقًا، إضافة لذلك فإنّ للسجود استحقاقات أكثر وتجلّيات أرفع وأسمى، وفيه فيوضات أعلى لنور العظمة والكبرياء، ويشير إلى تلك المعاني ما ورد:

١ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((إنَّ الله العزيز الجبّار عرج بنبيّه ... فقال (الله تعالى) له (للنبيّ صلّى الله عليه وآله وسلم): ... ثم طأطئ يديك، واجعلها إلى ركبتيك فانظر إلى عرشي، قال (صلّى الله عليه وآله وسلم): فنظرت إلى عظمةٍ ذهبت لها نفسي وغشي عليّ، فألهمت أن قلت: (سبحان ربّي العظيم وبحمده)...، فقال الله تعالى: ارفع رأسك، قال (صلّى الله عليه وآله وسلم): فرفعت رأسي فنظرت إلى شيء ذهب منه عقلي، فاستقبلت الأرض بوجهي ويدي، فألهمت أن قلت: (سبحان ربّي الأعلى وبحمده) لعلوّ ما رأيت فقلتها سبعًا، فرجعت إليّ نفسي، كلّما قلت واحدة فيها تجلّى عني الغشي فقعدت...

وصارت القعدة بين السجدتين استراحة من الغشي وعلو ما رأيت... فألهمني ربي عز وجل وطالبتني نفسي أن ارفعْ رأسك، فرفعت فنظرت إلى ذلك العلوّ فغشي عليّ، فخررت لوجهي واستقبلت الأرض بوجهي ويدي، وقلت (سبحان ربّي الأعلى وبحمده) فقلتها سبعًا ثم رفعت رأسي... فمن أجل ذلك صارت سجدتين))[١٥٠].

٢ – عن الإمام الكاظم (عليه السلام): ((لما أُسري بالنبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم)... حتّى رفع له سبع حجب، فلما ذكر ما رأى من عظمة الله، ارتعدت فرائصه، فانبرك على ركبتيه وأخذ يقول (سبحان ربي العظيم وبحمده)... فلمّا اعتدل من ركوعه قائمًا نظر إليه في موضع أعلى من ذلك الموضع خرّ على وجهه وجعل يقول (سبحان ربي الأعلى وبحمده)، فلما قال سبع مرات سكن ذلك الرعب))[١٥١].

الأمر الثاني: السجود في معراج المصلّي

ما قيل في أفعال الصلاة وفي الركوع يُقال هنا، إضافة إلى القول بأنَّ المصلّي في حال السجود ينبغي أن يستحضر في ذهنه وقلبه أنّه بعد أن خضع وخشع أثناء الركوع، فإنّه استحقّ معرفة أقوى وفيضًا ونورًا أجلى ويناسب هذه المعرفة الجديدة إيمان أعمق ودرجة قصوى من الخضوع والخشوع والعبوديّة، فيضع وجهه ويفرشه على الأرض، والوجه من أعزّ الأشياء عنده، فيقرّ بأنَّ الله خلقه من التراب، والمخلوق من التراب خليق بالتذلّل عند ربّ الأرباب، ويقرّ أيضًا بأنَّ اللهّ تعالى يعيده إلى التراب مرّة ثانية، وهذه الحالة

---

[١٥٠] الكليني، الكافي، ج٣، ص٤٨٣؛ الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٣١٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٥٤؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٨.

[١٥١] المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٣٥٦؛ النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، ج١، ص٣١٠.

تحتاج إلى خضوع أكبر؛ لأنّه سيكون بعد الدفن في موضع تسير وتدوس عليه الأقدام، ويشير لهذه المعاني بعض ما ذكرناه في الركوع، ونذكر هنا:

١ – قوله تعالى: ﴿وَخَـرَّ راكِـعًا وَأَنابَ﴾[١٥٢].

٢ – عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم): ((بنيت الصلاة على أربعة أسهم: سهم منها إسباغ الوضوء، وسهم منها الركوع، وسهم منها السجود، وسهم منها الخشوع، فقيل: يا رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وما الخشوع؟ قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): التواضع في الصلاة، وأنْ يقبل العبد بقلبه كلّه على ربّه، فإذا هو أتمّ ركوعها وسجودها وأتمّ سهامها، صعدتْ إلى السماء لها نور يتلألأ، وفتحت أبواب السماء لها، وتقول: حافظتَ عليَّ حفظك الله، فتقول الملائكة: صلّى الله على صاحب هذه الصلاة، وإذا لم يتمّ سهامها صعدت ولها ظلمة، وغلقت أبواب السماء دونها وتقول: ضيّعتني ضيّعك الله، ويضرب الله بها وجهه))[١٥٣].

٣ – عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((لا قراءة في ركوع ولا سجود، إنّما فيها المدحة لله عزّ وجلّ، ثمّ المسألة فابتدئوا قبل المسألة بالمدحة لله عزّ وجلّ، ثمّ اسألوا بعد))[١٥٤].

٤ – روي أنّ الإمام السجّاد (عليه السلام): ((خرج يومًا في حرٍّ شديدٍ إلى الجَبّان ليصلّي فيه، فتبعه مولى له وهو ساجد على الحجارة؛ وهي خشنة حارّة وهو يبكي، فجلس مولاه حتّى فرغ، فرفع (عليه السلام) رأسه وكأنّه قد غمس رأسه ووجهه في الماء من كثرة الركوع))[١٥٥].

٥ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((اتّقوا الله وأحسنوا الركوع والسجود، وكونوا أطوع عباد الله، فإنّكم لن تنالوا ولايتنا إلّا بالورع))[١٥٦].

٦ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): ((ما خسر والله (تعالى) قط من أتى بحقيقة السجود ولو كان في العمر مرّة واحدة، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال شبيهًا بمخادع نفسه، غافل لاه عمّا أعدّ الله

---

[١٥٢] سورة ص، الآية: ٢٤.

[١٥٣] القاضي المغربي، دعائم الإسلام، ج١، ص١٥٨؛ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦٤؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٤، ص٥٣.

[١٥٤] المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٤.

[١٥٥] المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٦١.

[١٥٦] الطوسي، الأمالي، ص٦٧٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٨، ١٨٧؛ النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، ج٧، ص٣٣٤.

تعالى للساجدين من أنس العاجل وراحة الآجل، ولا بعد عن الله تعالى أبدًا من أحسن تقرّبه في السجود، ولا قرّب إليه أبدًا من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعليق قلبه بسواه في حال سجوده، ثم قال (عليه السلام): فاسجد سجود متواضع لله ذليل، علم أنّه خُلِقَ من تراب يطأه الخلق، وأنه رُكِّبَ من نطفة يستقذرها كلّ أحد، وكّونَ ولم يكن، ثم قال (عليه السلام): وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرّب إليه بالقلب والسرّ والروح، فمن قرب منه بَعُدَ من غيره، ألا ترى في الظاهر أنّه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء، والاحتجاب عن كلّ ما تراه العيون؟ كذلك أراد الله تعالى أمر الباطن، فمن كان قلبه متعلّقًا في صلاته بشيء دون الله تعالى، فهو قريب من ذلك الشيء، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته، قال الله تعالى: ﴿ما جَعَلَ اللهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾[١٥٧].

وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): (قال الله عزّ وجلّ: ما أطّلِعُ على قلب عبدٍ فأعلم فيه حبّ الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي إلا تولّيت تقويمه وسياسته، ومن اشتغل في صلاته بغيري فهو من المستهزئين بنفسه، واسمُه مكتوبٌ في ديوان الخاسرين)}[١٥٨].

المحطة الثامنة: التشهّد والتسليم

الكلام في أمرين:

الأمر الأول: التشهّد والتسليم في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)

بعد رفع العديد من الأستار وطي المقامات وخرق الحجب نصل إلى مقام التشهّد والتسليم، والذي يمثّل مقام الشهود والاتّصال بالربّ الودود اللطيف، ومقام الترقّي إلى مقام قاب قوسين أو أدنى، حيث التفضّل والإكرام من المولى تعالى بقرن اسم النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) باسم الله تعالى في الشهادتين (أشهد أن لا إله إلّا الله وأشهد أنّ محمّدًا رسول الله)، وحيث النعمة والحبوة والرحمة بالصلاة عليه وعلى أهل بيته المصطفين، وبعد الوصول يُسلّم العبد على مولاه، أو بعد الإكرام والإنعام يُسلّم على مقرّبي الجنان للتأليف بينهم، وأيضًا يُقال: إنّ المولى تعالى لما أذِنَ لنبيّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بالرجوع عن ذلك المقام أمره بالسلام عليه (جلّ جلاله) أو على المقرّبين، ويشهد لتلك المعاني، ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) في قصّة معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)... ثمّ قمت (للركعة الثانية)، فقال (تعالى): يا محمّد اقرأ الحمد...، ثم قال (تعالى) لي: اقرأ إنا أنزلناه...، قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ثم ركعت فقلت في الركوع والسجود مثل ما قلت أوّلًا،

---

[١٥٧] سورة الأحزاب، الآية: ٤ .

[١٥٨] النراقي، جامع السعادات، ج٣، ص٢٨٤.

وذهبت أن أقوم...، فقال (تعالى): يا محمد اذكر ما أنعمت عليك، وسمّ باسمي، قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): فألهمني الله أنْ قلت (بسم الله وبالله، ولا إله إلّا الله، والأسماء الحسنى كلّها لله)، فقال (تعالى) لي: يا محمد صلِّ عليكَ وعلى أهل بيتكَ، قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): صلّى الله عَلَيَّ وعلى أهل بيتي، وقد فعل...، ثمّ التفتُّ فإذا أنا بصفوف من الملائكة والنبيين والمرسلين...، فقال (تعالى) لي: يا محمد سلّم، قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، قال (تعالى): يا محمد إنّي أنا السلام والتحية، والرحمة والبركات أنتَ وذُريتكَ))[١٥٩].

الأمر الثاني: التشهّد والتسليم في معراج المصلّي

والكلام في نقطتين:

الأولى: التشهّد

بعد أن سلك العبد المصلّي تلك الآداب وعاشها بحقيقة وصدق إلى آخر الصلاة، وبعد أن خاض في خلال ذلك بحار جبروته واكتسب أنوار فيضه ومعرفته، وبعد كلّ ذلك يكون قد وصل إلى مقام القرب والشهود، وفي هذا المقام ثلاثة محاور:

١ – الإقرار بالوحدانيّة: (أشهد أن لا إله إلّا الله)

ينبغي عليك معرفة أنَّ الله (جلّت قدرته) لا يحتاج من أحدٍ إلى الشهادة والإقرار بالتوحيد، فالله غنيٌّ عن العالمين، فالعبد هو المحتاج للشعور بوحدانيّة الله تعالى والانقطاع عن غيره من المخلوقات، فيتلقّى عن الله وحده ويأتمر بأمره، فيكون حرًا حقيقة عن جميع العبوديّات المادّيّة المنحرفة كعبودية المال والأشخاص والجاه والجنس وغيرها.

٢ – الإقرار بالرسالة: (أشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله)

وتدل هذه الشهادة على الإقرار بالرسالة للنبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، وفي نفس الوقت فإنّها تستبطن الإقرار بالتوحيد؛ لأنّها تعطي صفة العبوديّة للنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم)، فإذا كان الأعظم والأشرف والأقدس والأكمل عبدًا لله، فبالأولى أن يكون الإقرار بأنَّ الآخرين من العالمين عباد لله، وفي هذا نفي للشريك سواء أكان النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) أم غيره.

---

[١٥٩] الصدوق، علل الشرائع، ج٢، ص٣١٦؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٦٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٨، ص٣٥٨.

ولا يخفى أنّ الشهادة برسالة النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) والإقرار بها، لا يتحقّق إلّا بمعرفة حقيقة النبوّة، وهي معرفة النبيّ والائتمار بما أتى به من أوامر، والانتهاء عمّا نهى عنه، وهي التَحَلّي بأخلاق النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام)، والتَخَلّي عن أخلاق أعدائهم السيّئة والرذيلة، كما أشار إلى هذه المعاني الإمام الصادق(عليه السلام) في قوله (عليه السلام): ((إذا عرف وصلّى وصام واعتمر وعظّم حرمات الله كلّها، ولم يَدَعْ منها شيئًا، وعمل بالبر كلّه، ومكارم الأخلاق كلّها وتجنب سيّئها، وكلّ ذلك هو النبيّ، والنبيّ أصله، وهو أصل هذا كلّه؛ لأنّه جاء به ودلَّ عليه وأمر به، ولا يُقبل من أحد شيئًا منه إلا به، ومن عرف اجتنب الكبائر وحرّم الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وحرّم المحارم كلّها؛ لأنّ بمعرفة النبيّ وبطاعته دخل فيما دخل فيه النبي، وخرج ممّا خرج منه النبي))[١٦٠].

٣- الولاية: (اللهم صلِّ على محمّد وآل محمّد)

إنّ طلب التبريك والرحمة للنبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ولأهل بيته (عليهم السلام) تشير إلى وجوب إعلان الولاء لهم والاعتقاد بامتداد ذلك إلى يوم الدين وما دامت الصلاة، وهذا يعني أنّ إكمال الرسالة وامتدادها يتوقّف على وجود أهل البيت (عليهم السلام) والاعتقاد والتصديق بما جاءوا به وتصدّوا له، فالواجب موالاتهم وإطاعتهم والتبرّي من أعدائهم.

الثانية: التسليم: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته)

إنّ التحيّة بصيغتها الأدبيّة الإسلاميّة المباركة الطيّبة والتي نتمنّى فيها وندعو الله سبحانه وتعالى أن يجعل أخيه الإنسان في خير وسعادة في جميع الأوقات، وعندما تصدر هذه التحيّة عقيب الصلاة فإنّها تكون أكثر بركة وطيبًا لإمكان نسبتها إلى الله تعالى، لصدور الوجوب في ذكرها من الله تعالى والمصلّي يمتثل ذلك الأمر الوجوبي الإلهيّ.

---

[١٦٠] الصفّار، بصائر الدرجات، ص٥٥١.

كتاب الصلاة

القسم الثالث

روح الصلاة

الفصل الأوّل: المعاني الباطنة للصلاة
الأوّل: الإخلاص
الثاني: حضور القلب
الثالث: خشوع الصلاة
الرابع: التفهّم
الخامس: التعظيم
السادس: الهيبة والخوف
السابع: الرجاء
الثامن: الحياء

الفصل الثاني: الصبر والاصطبار
أقسام الصبر
الصبر على الصلاة
مجاهدة النفس وقبول الصلاة
الوصول إلى درجة المتقين والصدّيقين

المعاني الباطنة للصلاة

عرفنا ممّا سبق أنّ للصلاة حيثيّتين، الإجزاء والقبول، وقلنا: إنّ الإتيان بالصلاة فارغة الروح والمعنى، خالية الآثار والمعطيات، يمكن أن تكون مجزية ومسقطة للعقاب، ولكنّها لا تكون مقبولة ليترتّب عليها التشريف والتكريم الإلهيّ بالفيض والنور القدسي، الذي يأخذ بالمصلّي نحو العرش الملكوتيّ في خطّ سير الترقّي والتكامل.

فالغرض الرئيسي من تشريع الصلاة والعبادة، ليس للإجزاء وإسقاط العقاب، وإنّما لجعل العبد على استعداد للترقّي والتكامل، فينعم الله تعالى عليه بالتسديد والتوفيق للسير في ذلك الصراط المتصاعد نحو الحضرة الإلهيّة المقدّسة.

وقد عرفنا أنّ القبول لا يتحقّق إلّا إذا توفّرت شروط، وترتّبت آثار على الصلاة، ويرجع الجميع بعد المعرفة إلى محورين من العبادة والأخلاق، ويصبّ الجميع في صيانة وتكامل الجانب الشخصيّ والجانب الاجتماعي ويشير لهذا:

١ – عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «الصَّلاةُ مِنْ شَرَائِعِ الدِّينِ وَفِيهَا مَرْضَاةُ الرَّبِّ (عَزَّ وَجَلَّ)، وَهِيَ مِنْهَاجُ الأَنْبِيَاءِ، وَلِلْمُصَلِّي، حُبُّ الْمَلائِكَةِ، وَهُدًى وَإِيمَانٌ، وَنُورُ الْمَعْرِفَةِ، وَبَرَكَةٌ فِي الرِّزْقِ، وَرَاحَةٌ لِلْبَدَنِ، وَكَرَاهَةُ الشَّيْطَانِ، وَسِلاحٌ عَلَى الْكَافِرِ، وَإِجَابَةٌ لِلدُّعَاءِ، وَقَبُولٌ لِلأَعْمَالِ، وَزَادُ الْمُؤْمِنِ مِنَ الدُّنْيَا لِلآخِرَةِ، وَشَفِيعٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَلَكِ الْمَوْتِ، وَأُنْسٌ فِي قَبْرِهِ، وَفِرَاشٌ تَحْتَ جَنْبِهِ، وَجَوَابٌ لِمُنْكَرٍ وَنَكِيرٍ، وَتَكُونُ صَلاةُ الْعَبْدِ عِنْدَ الْمَحْشَرِ تَاجًا عَلَى رَأْسِهِ، وَنُورًا عَلَى وَجْهِهِ، وَلِبَاسًا عَلَى بَدَنِهِ، وَسِتْرًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ، وَحُجَّةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّبِّ (جَلَّ جَلالُهُ)، وَنَجَاةً لِبَدَنِهِ مِنَ النَّارِ، وَجَوَازًا عَلَى الصِّرَاطِ، وَمِفْتَاحًا لِلْجَنَّةِ، وَمُهُورًا لِلْحُورِ الْعِينِ، وَثَمَنًا لِلْجَنَّةِ، بِالصَّلاةِ يَبْلُغُ الْعَبْدُ إِلَى الدَّرَجَةِ الْعُلْيَا، لأَنَّ الصَّلاةَ تَسْبِيحٌ، وَتَهْلِيلٌ، وَتَحْمِيدٌ، وَتَكْبِيرٌ، وَتَمْجِيدٌ، وَتَقْدِيسٌ، وَدَعْوَةٌ»[١٦١].

٢- عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «من ضيّع الصلاة، فإنّه لغير الصلاة من شرائع الإسلام أضيع»[١٦٢].

---

[١٦١] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٣، ص٧٧.

[١٦٢] المجلسي، بحار الأنوار، ج٣٣، ص٥٨٧.

٣- عن الإمام الصادق (عليه السلام): «اعلمْ أنّ الصلاة حجزة (عصمة وملجأ) الله في الأرض، فمن أحبّ أن يعلم ما أدرك من نفع صلاته، فلينظر، فإن كانت صلاته حجزته عن الفواحش والمنكر، فإنّما أدرك من نفعها بقدر ما احتجز»[١٦٣].

وقد عرفنا أيضًا أنّ أفعال الصلاة وتلاواتها يراد بها الإقرار بالتوحيد والنبوّة والإمامة والإقرار والاعتراف بالعبوديّة لله تعالى، وفيها التعظيم والتبجيل والخضوع والخشوع لله تعالى، وفيها الدعاء والمناجاة والتكلّم في ظلّ الحضرة الإلهيّة المقدّسة وغيرها من المعاني.

ولا يخفى أنّ تلك المعاني لا تصدق ولا تتحقّق إلّا بتوفير المعاني الباطنيّة للصلاة والتي تمثّل روح الصلاة، إضافة إلى ذلك فإنّ الشارع المقدّس قد أرشد إلى روح الصلاة ومعانيها والتي بدونها لا تتمّ الصلاة ولا تقبل، ومن تلك المعاني الباطنة، الإخلاص وحضور القلب والخشوع وعدم الغفلة والتفهّم والتعظيم والهيبة والخوف والرجاء والحياء، وقبل الدخول في تلك المعاني الباطنية أَذكرُ لك بعض الموارد الشرعيّة التي تشير إلى تلك المعاني:

١ -قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ﴾[١٦٤].

٢ -عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): «من صلّى صلاة يرائي بها فقد أشرك»[١٦٥].

٣ -عن الإمام الرضا (عليه السلام): «لا صلاة إلّا بإسباغ الوضوء وإحضار النيّة، وخلوص اليقين، وإفراغ القلب، وترك الاشتغال، وهو قوله تعالى ((فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ))»[١٦٦].

٤-سُئِلَ الإمام الرضا (عليه السلام) عن صلاة الجماعة فقال (عليه السلام): «لأن لا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلّا ظاهرًا مكشوفًا مشهودًا»[١٦٧].

٥ – عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم): «لا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه»[١٦٨].

---

[١٦٣] الصدوق، معاني الأخبار، ص٢٣٧؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٥، ص١٩٩؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٣٢.

[١٦٤] سورة المؤمنون، الآية: ٢.

[١٦٥] المازندراني، شرح أصول الكافي، ج٨، ص٥٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٩، ص٢٨٢؛ القرطبي، تفسير القرطبي، ج١١، ص٧١.

[١٦٦] البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٤٤.

[١٦٧] الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص١١٦؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٨، ص٢٨٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٥، ص١٢.

٦-عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلّم): «صلاة ركعتين بتدبّر خير من قيام ليلة والقلب ساهٍ»[١٦٩].

٧-عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم): «إِنَّ مِنَ الصَّلاةِ لَا يُقْبَلُ نِصْفُهَا وَثُلُثُهَا وَرُبُعُهَا وَخُمُسُهَا إِلَى الْعُشْرِ، وَإِنَّ مِنْهَا لَا يُلَفُّ كَمَا يُلَفُّ الثَّوْبُ الْخَلَقُ فَيُضْرَبُ بِهَا وَجْهُ صَاحِبِهَا، وَإِنَّمَا لَكَ مِنْ صَلاتِكَ مَا أَقْبَلْتَ عَلَيْهِ بِقَلْبِكَ»[١٧٠].

٨-عن المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): «بنيت الصلاة على أربعة أسهم:

١-سهم منها الوضوء. ٢- سهم منها الركوع.

٣-سهم منها السجود. ٤- سهم منها الخشوع.

فقيل: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وما الخشوع؟

قال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((التَّوَاضُعُ فِي الصَّلاةِ، وَأَنْ يُقْبِلَ الْعَبْدُ بِقَلْبِهِ كُلِّهِ عَلَى رَبِّهِ، فَإِذَا هُوَ أَتَمَّ رُكُوعَهَا وَسُجُودَهَا، وَأَتَمَّ سِهَامَهَا صَعِدَتْ إِلَى السَّمَاءِ، لَهَا نُورٌ يَتَلأْلأُ، وَفُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهَا، وَتَقُولُ (الصلاة): حَافَظْتَ عَلَيَّ حَفِظَكَ اللهُ... وَإِذَا لَمْ يُتِمَّ سِهَامَهَا، صَعِدَتْ وَلَهَا ظُلْمَةٌ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، وَتَقُولُ (الصلاة): ضَيَّعْتَنِي ضَيَّعَكَ اللهُ، وَيَضْرِبُ الله بِهَا وَجْهَهُ»[١٧١].

٩-رأى النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) مصلّيًا يعبث بلحيته فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[١٧٢].

١٠-عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «أوصيكم بالصلاة التي هي عمود الدين، وقوام الإسلام، فلا تغفلوا عنها»[١٧٣].

---

[١٦٨] البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٥٣؛ الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص١٦٣٧.

[١٦٩] الحلي، عدة الداعي، ص١٦٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٥٩.

[١٧٠] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٣، ص٥٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦٠؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٣٧.

[١٧١] المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦٤.

[١٧٢] الكاشاني، بدائع الصنائع، ج١، ص٢١٥؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٨، ص١٩٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦١.

[١٧٣] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٣، ص٢٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٩، ص٢٣٢؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة؛ ج٤، ص٦.

١١-عن المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «إذا قام العبد إلى الصلاة وكان هواه وقلبه إلى الله تعالى، انصرف كيوم ولدته أُمّه»[١٧٤].

١٢-عن الصادق الأمين (صلّى الله عليه وآله): «من لم يتمّ وضوءه وركوعه وسجوده وخشوعه فصلاته خداج (يعني ناقصة غير تامة)»[١٧٥].

١٣-عن الإمام الباقر (عليه السلام): «أيـّما مؤمن حافظ على صلاة الفريضة فصلّاها لوقتها، فليس هو من الغافلين».

١٤-سُئِلَ الإمام الرضا (عليه السلام): (عن الصلوات الخمس وأوقاتها)،

قال (عليه السلام): «فإذا فعلوا (صلوا) ذلك لم ينسوه ولم يغفلوا عنه ولم تقسَ قلوبهم ولم تقلّ رغبتهم»[١٧٦].

١٥-عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): «لا صلاة لمن لا يتمّ ركوعها وسجودها»[١٧٧].

١٦-عن الإمام الصادق (عليه السلام): «اعطوا كلّ سورة حظّها من الركوع والسجود إذا كنتم في الصلاة»[١٧٨].

١٧-عن الإمام الباقر (عليه السلام): «(كان الإمام السجّاد عليه السلام) إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عزّ وجلّ»[١٧٩].

---

[١٧٤] الشهيد الثاني، رسائل الشهيد الثاني، ص١٢٢.

[١٧٥] القاضي المغربي، دعائم الإسلام، ج١، ص١٠٠؛ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١، ص٢٥٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣١١.

[١٧٦] الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٦٤؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، ص١٦٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦، ص٧٢.

[١٧٧] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٩، ص١٩٨.

[١٧٨] الصدوق، الخصال، ص٦٢٧؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٥٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠، ص١٠٥. هكذا هي في الخصال وفي البحار، لكنها في الوسائل (حقها) بدل (حظها).

[١٧٩] الصدوق، الخصال، ص٥١٧؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، ص٩٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص٦١.

١٨-عن الإمام الباقر (عليه السلام): «كان (الإمام السجّاد عليه السلام) يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبدًا»[١٨٠].

١٩-عن الإمام الصادق (عليه السلام): «لا تجمع الرغبة والرهبة في قلب إلّا وجبتْ له الجنة، فإذا صليتَ فاقبل بقلبك على الله عزّ وجلّ، فإنّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عزّ وجلّ في صلاته ودعائه إلّا أقبلَ الله عليه بقلوب المؤمنين وأيّده من مودّتهم إيّاه بالجنة»[١٨١].

٢٠-عن الإمام الصادق (عليه السلام): (أوحى الله إلى موسى) «يا موسى كن إذا دعوتني خائفًا مشفقًا وجلًا، وعفّر وجهك في التراب، واسجد لي بمكارم بدنك، واقنت بين يديّ في القيام، وناجني حيث تناجيني بخشية من قلب وجل»[١٨٢].

٢١-عن الإمام الصادق (عليه السلام): أوحى الله إلى عيسى «يا عيسى، ادعني دعاء الغريق الحزين الذي ليس له مغيث، يا عيسى، أذل لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات... واسمعني منك صوتًا حزينًا»[١٨٣].

٢٢ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): «لا يركع عبد لله ركوعًا على الحقيقة، إلّا زيّنه الله بنور بهائه، وأظله في ظِلال كبريائه، وكساه كسوة أصفيائه، والركوع أول، والسجود ثانٍ، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني، وفي الركوع أدب وفي السجود قرب، ومن لا يُحسن الأدب لا يصلح للقرب،... فاركع ركوع خاشع لله بقلبه، متذلّل وجل دخلَ تحت سلطانه، خافض له جوارحه، خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين... وَاسْتَوْفِ رُكُوعَكَ بِاسْتِوَاءِ ظَهْرِكَ، وَانْحَطَّ عَنْ هِمَّتِكَ فِي الْقِيَامِ بِخِدْمَتِهِ إِلا بِعَوْنِهِ، وَفِرَّ بِالْقَلْبِ مِنْ وَسَاوِسِ الشَّيْطَانِ وَخَدَائِعِهِ وَمَكَايِدِهِ، فَإِنَّ اللهَ تعالى يَرْفَعُ عِبَادَهُ بِقَدْرِ تَوَاضُعِهِمْ لَهُ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى أُصُولِ التَّوَاضُعِ وَالْخُضُوعِ وَالْخُشُوعِ بِقَدْرِ اطِّلاعِ عَظَمَتِهِ عَلَى سَرَائِرِهِمْ»[١٨٤].

---

[١٨٠] المصدر نفسه.

[١٨١] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٠٩؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦٠.

[١٨٢] الكليني، الكافي، ج٨، ص٤٥؛ الديلمي، أعلام الدين في صفات المؤمنين، ص٢١٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣٠٥.

[١٨٣] الكليني، الكافي، ج٨، ص١٣٨؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٩٠، ص٣٤١. وليس في الكافي عبارة (واسمعني منك صوتًا حزينًا).

[١٨٤] المجلسي، بحار الأنوار، ج٨٢، ص١٠٨.

وتفصيل الكلام في أمور:

الأوّل: الإخلاص

حقيقة الإخلاص سرّ من أسرار الله (سبحانه وتعالى) لا يعرفه إلّا من أحبّ الله فأنعم عليه وقذف النور في قلبه واستودعه الإخلاص، كما ورد في الحديث القدسي: (الإخلاص سرّ من أسراري أستودعه قلب من أحببت من عبادي).

وإذا تحدّثنا عن معاني الإخلاص فإنّنا نتحدّث عن بعض المعاني الظاهريّة التي يدركها عقلنا القاصر ويتذوّقها قلبنا المظلم، وبالتوكّل على الله والاستعانة به سبحانه وتعالى أقول:

مقوّمات الشخصيّة الإسلاميّة المؤمنة

إنّ الشارع المقدّس أصدر العديد من الأوامر والإرشادات للوصول بالإنسان إلى الرُقي والتكامل، فيجب على الإنسان امتثال ذلك، والالتزام به وتجسيده في شخصيّته، ويحصل هذا التجسّد بعد تقييم النفس ومراقبتها ومحاسبتها وفق المقياس الشرعي والأخلاقي، والوصول بها إلى التكامل بعد تمتّعها بالعلم، والتفكّر، والتوكّل، والصبر، والإيمان بالغيب، وغيرها.

والإيمان يترتّب عليه عدّة آثار، منها، ذكر الله، ووجل القلب، وخشيته، والإخلاص في العبوديّة، وتفصيل الكلام في مقامٍ آخر إن شاء الله تعالى.

الإخلاص في مقوّمات الشخصيّة الإسلاميّة:

بعد أن عرفنا الإيمان بالغيب هو أحد مقوّمات الشخصيّة المسلمة، وأنّه ممّا يترتّب على ذلك ومن آثاره هو الإخلاص، وهذا معناه أنّ الإخلاص في العبادة من مقوّمات الشخصيّة الإسلاميّة.

الإخلاص في العبادة

والكلام في العبادة أوّلًا ثمّ في الإخلاص

الأوّل: العبادة

العبادة في اللغة، هي، غاية التذلّل والخضوع والانقياد، ولذلك لا يستحقّها إلّا المنعم الأعظم الحقيقي جلّت قدرته، ولكن لوجود إبليس والهوى والنفس والدنيا يقال: إنّ العبادة تشمل كلّ سلوك، فبعضهم يعبد شخصًا، وبعضهم يعبد هواه، والثالث يعبد الله الحقّ الواحد الأحد، وقد صدر عن الشارع المقدّس ما يشير إلى هذا:

١ – قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَواهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلى عِلْمٍ﴾[١٨٥].

٢ – قوله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْبابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾[١٨٦].

٣ – قوله تعالى: ﴿وَما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا إِلٰهًا واحِدًا لا إِلٰهَ إِلّا هُوَ سُبْحانَهُ عَمّا يُشْرِكُونَ﴾[١٨٧].

روي عن الإمام الصادق (عليه السلام): «من أطاع رجلًا في معصية الله فقد عبده»[١٨٨].

الثاني: الإخلاص

بما أنّ العبودية تمثّل علاقة بين العبد والمعبود، فالعبوديّة بين الإنسان والحقّ تعالى يجب أن تكون بالإخلاص لله وحده لا شريك له، فيكون مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[١٨٩].

فالإخلاص هو الحجر الأساس في كيان العقائد والشرائع، وهو الشرط الواقعي في صحّة وتزكية العمل، وتطهيره، وتنقيته، وقبوله عند الله تعالى فيكون جزاء العامل رحمة الله ونعمته، والخلود في جناته، فيكون مصداقًا لقول أمير المؤمنين (عليه السلام): {طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشغل قلبه بما تراه عينه، ولم ينسَ ذكر الله بما تسمع أُذناه، ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره}[١٩٠].

معنى الإخلاص

قلنا سابقًا: إنّ حقيقة الإخلاص من أسرار الله تعالى، أمّا الإخلاص في اللغة فهو التمحيص والتصفية والتجديد والتخليص، والإخلاص في الطاعة.

والإخلاص هو ترك الرياء وتجريد النفس عن طلب المنزلة في قلوب الناس، وقد استعمل الشارع المقدّس بعض المعاني للدلالة على الإخلاص بالمعنى الظاهريّ بالمطابقة أو الالتزام، منها:

١ – الإخلاص ضدّ الرياء: فهو ترك الرياء

---

[١٨٥] سورة الجاثية، الآية: ٢٣.

[١٨٦] سورة التوبة، الآية: ٣١.

[١٨٧] سورة التوبة، الآية: ٣١.

[١٨٨] المازندراني، شرح أصول الكافي، ج١، ص١٥٥.

[١٨٩] سورة البينة، الآية: ٥.

[١٩٠] الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٥٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٢٩.

ويشهد لهذا ما ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه عن جدّه أمير المؤمنين (عليه السلام): «الدنيا كلّها جهل إلّا مواضع العلم، والعلم كلّه حجة إلّا ما عُمِلَ به، والعمل كلّه رياء إلّا ما كان مخلصًا، والإخلاص على خطر حتى ينظر العبد بما يُختم له»[١٩١].

٢ – الإخلاص هو التوحيد

لأنّ الرياء شرك، ولأنّ الإخلاص ضدّ الرياء، ولأنّ الشرك ضد التوحيد، فينتج أنّ الإخلاص توحيد ويشير إلى المقدمة الأولى (أنّ الرياء شرك):

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[١٩٢].

وما ورد عن النبي الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((إنّي تخوّفت على أُمّتي الشرك، أما إنّهم لا يعبدون صنمًا ولا شمسًا ولا قمرًا ولا حجرًا، ولكنّهم يراؤون بأعمالهم))[١٩٣].

٣ – الإخلاص هو موافقة ومطابقة السرّ مع العلن

وهنا يبتني على الإخلاص ضد الرياء وهو عدم مطابقة السرّ للعلن، ويشير لهذا ما ورد عن النبيّ المصطفى (صلّى الله عليه وآله): ((سيأتي زمان تخبث فيه سرائرهم وتحسن فيه علانيتهم طمعًا في الدنيا، لا يريدون به ما عند ربّهم يكون دينهم رياء، لا يخالطهم خوف، يعمّهم الله بعقاب فيدعونه دعاء الغريق فلا يُستجاب لهم))[١٩٤].

عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((ثلاث علامات للمرائي

١ – ينشط إذا رأى الناس

٢ – ويكسل إذا كان وحده

٣ – ويحبّ أن يُحمد في كلّ أموره))[١٩٥].

---

[١٩١] الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج٢، ص٢٥٣؛ النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، ج٣، ص٣١٩؛ المجلسي، بحار الانوار، ج٢، ص٢٩.

[١٩٢] سورة الكهف، الآية: ١١٠.

[١٩٣] النراقي، جامع السعادات، ج٢، ٢٩٠.

[١٩٤] الكليني، الكافي، ج٢، ص٢٩٦؛ الصدوق، ثواب الأعمال، ص٢٥٣؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١، ص٣٧٠.

[١٩٥] الكليني، الكافي، ج٢، ٢٩٥؛ الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٣٦١؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٧٣.

٤ – الإخلاص هو النيّة والإصابة وخشية الله

ويشير إلى هذا ما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) «في قول الله (عزّ وجلّ) ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[١٩٦]

قال (عليه السلام): ليس يعني أكثركم عملًا، لكن أصوبكم عملًا، وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة.

ثمّ قال (عليه السلام): الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشدّ من العمل، والعمل الخالص: الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله (عزّ وجلّ)، والنيّة أفضل من العمل، ألا وإنّ النيّة هي العمل، ثم تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كلّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾[١٩٧] يعني على نيّته»[١٩٨].

ما ورد عن الإمام الباقر (عليه السلام): «ما أخلص عبد الإيمان بالله أربعين يومًا، إلّا زهّده الله تعالى في الدنيا، وبصّره داءها ودواءها وأثبت الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه»[١٩٩].

وما ورد عن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم): «من أخلص أربعين يومًا فجّر الله ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»[٢٠٠].

٥ – الإخلاص هو قبول الأعمال:

وذلك لأنّ الإخلاص ضد الرياء، والأخير فساد العمل وعدم قبوله، يشير إلى هذا ما ورد عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ الملك ليصعد بعمل العبد مبتهجًا به، فإذا صعد بحسناته، يقول الله (عزّ وجلّ): اجعلوها في سجين إنّه ليس إيّاي أراد به»[٢٠١].

وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): «إنّ الله تعالى لا يقبل عملًا فيه مثقال ذرّة من رياء»[٢٠٢].

٦ – الإخلاص هو التحرّر من أغواء الشيطان وأضاليله:

ويشير إلى هذا المعنى قوله تعالى: ﴿قالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إلّا عِبادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[٢٠٣].

---

[١٩٦] سورة هود، الآية: ٧ .

[١٩٧] سورة الإسراء، الآية: ٨٤ .

[١٩٨] الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٣٠.

[١٩٩] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٥، ص٢٩٥.

[٢٠٠] الصدوق، عيون أخبار الرضا، ج١، ص٧٤.

[٢٠١] المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٩، ص٢٨٧.

[٢٠٢] ابن فهد الحلي، عدة الداعي، ص٢١٤؛ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج١، ص١١١.

٧ – الإخلاص حبّ الله

فالحبّ هو التجرّد والإخلاء عن كلّ شاغل سوى الله تعالى، ويشير لهذا ما ورد في الحديث القدسي:

«يا داود، إنّك تزعم أنّك تحبّني، فإن كنت تحبّني فأخرج حبّ الدنيا عن قلبك، فإنّ حبّي وحبّها لا يجتمعان في قلب»[٢٠٤].

وعن الإمام الحسين (عليه السلام) في دعاء عرفات: ((أنت الذي أزلت الأغيار عن قلوب أحبابك حتّى لم يحبّوا سواك ولم يلجئوا إلى غيرك))[٢٠٥].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «حبّ الله إذا أضاء على سرّ عبد، أخلاه عن كلّ شاغل، وكل ذكر سوى الله، ... والمحب أخلصْ الناس سرًا لله، وأصدقهم قولًا وأوفاهم عهدًا وأزكاهم عملًا، وأصفاهم ذكرًا، وأعبدهم نفسًا، تتباهى الملائكة عند مناجاته، وتفتخر برويته، وبه يعمر الله بلاده، وبكرامته يكرم الله عباده ويعطيهم إذا سألوا بحقه ويدفع عنهم البلايا برحمته، ولو علم الخلق ما محله عند الله ومنـزله لديه ما تقربوا إلى الله إلّا بتراب قدميه»[٢٠٦].

الإخلاص أفضل العبادات:

ويشهد لهذا:

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدِ اللهَّ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * أَلا للهَّ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾[٢٠٧].

وقوله تعالى: ﴿وَما أُمِرُوا إِلّا لِيَعْـبُدُوا اللهَّ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾[٢٠٨].

وما ورد عن الإمام الجواد (عليه السلام): ((أفضل العبادة الإخلاص))[٢٠٩].

٩ – الإخلاص هو تحقير النفس

---

[٢٠٣] سورة ص، الآيتان: ٨٢ – ٨٣ .

[٢٠٤] هكذا هي في جامع السعادات للنراقي، لكنها في مستدرك الوسائل للميرزا النوري، ج١٢، ص٣٩، وفي جامع أحاديث الشيعة للبروجردي، ج١٤، ص٤، ليس فيها: إنّك تزعم أنّك تحبّني.

[٢٠٥] موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم.

[٢٠٦] المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٣.

[٢٠٧] سورة الزمر، الآيتان: ٢ –٣ .

[٢٠٨] سورة البيّنة، الآية: ٥ .

[٢٠٩] ابن فهد الحلي، عدّة الداعي، ص٢١٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٤٥.

ويشير إلى هذا ما ورد عن النبيّ الأكرم(صلى الله عليه وآله وسلم): ((يا أبا ذرّ، لا يفقه الرجل كلّ الفقه حتّى يرى الناس في جنب الله أمثال الأباعر، ثم يرجع إلى نفسه فيكون هو أحقر حاقر لها))[٢١٠].

درجات الإخلاص

بما أنّ الإخلاص عند الإنسان من الصفات النفسيّة، فهو قابل للزيادة والنقصان، وهذا يعتمد على محورين:

المحور الأول: عمق الإيمان

من الواضح أنّ مستوى الإيمان وعمقه يختلف من شخص إلى آخر، ويؤثّر هذا في مقدار تفاعل الإنسان مع الحقائق الربّانيّة، ويؤثّر على مدى إدراكه أنّ الله ربّه وخالقه وهو الذي يستحقّ العبادة، وكلّما غار هذا الإدراك في أعماق النفس، فإنّه يحرّك المشاعر والأحاسيس ويدفع إلى الطاعة الحقيقيّة والإخلاص الخالي من الشوائب.

المحور الثاني: تربية النفس على الإخلاص

بعد أن يُدرك الإنسان المؤمن معنى الإخلاص وأثره في بناء الشخصيّة الإسلاميّة المؤمنة، عليه أن يُربّي نفسه على الإخلاص، وذلك بأن يلتفت إلى الإخلاص دائمًا فيجعل كلّ أقواله وأفعاله صغيرها وكبيرها وكلّ حركاته وسكناته متّصلة بالإخلاص، ونقيّة من شوائب النيّة، وتربية النفس على الإخلاص تشمل عدّة مستويات منها:

المستوى الأوّل: النيّة عند أداء الطاعة والعبادة:

الثابت شرعًا أنّ النيّة الصحيحة والمقبولة على درجات مختلفة تنحصر بين درجتين:

الدرجة الدُنيا: الإخلاص المخلوط:

ففي هذه الدرجة تختلط النيّة ببعض الشوائب التي فيها غاية أُخرى غير الله تعالى، وفي هذه الحالة يكون العمل صحيحًا بشرط خلو النيّة من الرياء.

الدرجة العليا: الإخلاص التامّ:

ففي هذه الحالة تتجرّد النيّة عن الشوائب كلّها، ووجود الشوائب وعدمها واختلاف مقدارها يعتمد على عدّة عوامل منها:

١ – مستوى إيمان الشخص.

---

[٢١٠] الطوسي، الأمالي، ص٥٣٣؛ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ٤٦٥.

٢ – الحالة النفسيّة التي يعيشها أثناء العمل، فإنّ للنفس الإقبال والإدبار.

٣ – نوع العمل الذي يقوم به الشخص، فالعمل الذي يكون موافقًا للهوى تتعرّض نفس المؤمن لاحتمال وجود الشائبة في إخلاصهِ بقيمة احتمالية أكبر.

أمّا في العمل المخالف للهوى والذي يلقى مقاومة من نفس الإنسان فمثل هذا العمل يكون أكثر احتمالًا لتسجيل وتحقيق الإخلاص التامّ.

٤ – الالتفات قبل العمل إلى معنى الإخلاص، والاهتمام بجعل العمل خالصًا لوجهه الكريم سبحانه وتعالى.

٥ – مواجهة النفس بعد العمل، وتقييمها ومحاسبتها بالنظر في مقدار الشوائب، وخلوها من ذلك.

المستوى الثاني: تعميم الإخلاص:

عندما يكون همّ الإنسان الأكبر هو إرضاء الله سبحانه وتعالى، فإنّه سيجعل الصفة النفسيّة للإخلاص عامّة، وتشمل حتّى تفكير الإنسان وعواطفه.

ومن الواضح أنّ درجة إرضاء الله تعالى تختلف من شخص إلى آخر، ومن حالة إلى أُخرى، وتنحصر بين درجتين:

١ – الدرجة الدنيا:

وفيها لا يبغي المؤمن غير أن يتخلّص من العقاب وأن يسقط عنه الواجب، وفي هذه الحالة تكون نيّة الطاعة والإخلاص على الواجبات وبعض المستحبّات (مثلًا)، أما باقي أوقاته فتصبح فارغة من نيّة الطاعة لله.

٢ – الدرجة العليا:

وفيها يصبح همّ العبد هو الله سبحانه وتعالى، ويصبح تفكيره خالصًا لله، وتتصاعد هذه الحالة أكثر وأكثر حتى تبدأ أحاسيسه وحبّه وكرهه وغضبه ورضاه في التحوّل من جانب الأهواء إلى جانب رضا الله سبحانه وتعالى، وفي هذه الحالة تكون جميع أعماله لله، من الواجبات والمستحبّات وحتى المباحات، بل والحركات والسكنات، ويتصاعد الإخلاص عند المؤمن فلا يعيش إلّا لله وهذا هو الإخلاص التامّ، وهو لا يحصل إلّا ممّن عانى وجاهد وسعى في تربية نفسه وفي تنقية إخلاصه من الشوائب، وقد ورد في الحديث القدسي:

«الإخلاص سرٌّ من أسراري استودعته قلب من أحببتُ من عبادي»[٢١١].

الإخلاص في الصلاة

ومن المعاني المتحصّلة ممّا سبق أنّ الإخلاص يرجع معناه إلى تجريد النيّة والقصد عن كلّ شيء سوى الله تعالى، وعليه فاشتراط الإخلاص للصلاة يستلزم بطلانـها أو عدم قبولها مع عدم الإخلاص.

ويمكن القول: إنّ الإخلاص يمثّل روح الصلاة ومعناها؛ لأنّ الصلاة كعمل لا قيمة لها دون النيّة، والقصد والنيّة لا قيمة لها دون الإخلاص، بل ورد: «والنيّة أفضل من العمل، ألا وإنّ النيّة هي العمل» [٢١٢]، والمقصود بالنيّة هنا الصادقة الخالصة لله تعالى، فالإخلاص بالنيّة هو العمل، بل أفضل من الصلاة؛ لأنّ الإخلاص أفضل عبادة كما ورد عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام):

١ – أنّ رجلًا أتى النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم): فقال: إنّي صمتُ الدهر فقال(صلّى الله عليه وآله وسلّم): «لا صِمْتَ ولا أفطرْتَ»[٢١٣].

٢ – عن النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم): «من راءى بعملهِ ساعة حَبِطَ عمله الذي كان قبله»[٢١٤].

٣ – عن النبي الصادق الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم): «من صلّى صلاة يُرائي بها فقد أشرك»[٢١٥].

٤ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): «يُجاء بعبد يوم القيامة قد صلى فيقول: يا رب صليتُ ابتغاء وجهك، فيُقال له: إنّكَ صليت ليُقال ما أحسن صلاة فلان، اذهبوا به إلى النار»[٢١٦].

---

[٢١١] المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٤٩؛ ابن العربي، الفتوحات المكّيّة، ج٤، ص٥٣٥.

[٢١٢] الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦.

[٢١٣] النراقي، جامع السعادات، ج٢، ص٣٠١.

[٢١٤] المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٩، ص٢٧٤؛ الفتني، تذكرة الموضوعات، ص١٧١.

[٢١٥] ابن فهد الحلي، عدة الداعي، ص٢٠٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٢٢.

[٢١٦] الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٧٣؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨، ص١٨١، في رواية الوسائل (يجاء بالعبد) وعنه نقلها البروجردي في جامع أحاديث الشيعة.

٥ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): في تفسير قوله تعالى ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾[٢١٧] قال (عليه السلام): «ليس يعني أكثركم عملًا ولكن أصوبكم عملًا، وإنّما الإصابة خشية الله والنية الصادقة»[٢١٨].

٦ – عن الإمام أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «النيّة أفضل من العمل، ألا وأنّ النيّة هي العمل، ثمّ تلا (عليه السلام): قوله تعالى: ﴿ قُلْ كلّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾[٢١٩]»[٢٢٠].

٧ – عن الإمام الرضا (عليه السلام): «لا صلاة إلّا بإسباغ الوضوء، وإحضار النيّة، وخلوص اليقين»[٢٢١].

فالواجب على كلّ إنسان قطع الأسباب الباعثة، لعدم الإخلاص والرياء ومن تلك الأسباب، حبّ المدح، والفرار من ألم الذمّ، والطمع بما في أيدي الناس، وعلينا تعويد أنفسنا على إخفاء العبادات ومنها الصلاة، وإغلاق الأبواب دون المعاصي والفواحش ورذائل الأخلاق، وينبغي أن يقنع الإنسان نفسه وقلبه ويطبعه بعلم الله، وينوّره بنور الإيمان والطاعات ومكارم الأخلاق ويشرح صدره باليقين؛ حتّى لا يتغيّر قلبه بمشاهدة الخلق، ولا يلتفت إليهم ولا لما في أيديهم، فيتحقّق الإخلاص في الصلاة، وكما عرفنا أنّ الإخلاص هو الصلاة؛ لأنّ النيّة الصادقة الخالصة هي العمل والعبادة، بل إنّ الإخلاص هو الأفضل؛ لأنّه أفضل عبادة كما قال الإمام الجواد (عليه السلام): «أفضل العبادة الإخلاص»[٢٢٢].

١ – عن النبيّ الأمين (صلى الله عليه وآله وسلم): «إذا قام العبد للصلاة وكان هواه وقلبه إلى الله تعالى، انصرف كيوم ولدته أُمه»[٢٢٣].

٢ – عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((طوبى لمن أخلص لله العبادة، والدعاء، ولم يشتغل قلبه بما تراه عيناه ولمْ ينسَ ذكر الله بما تسمع أُذناه، ولمْ يحزن صدره بما أُعطي غيره))[٢٢٤].

---

[٢١٧] سورة هود، الآية: ٧ .

[٢١٨] الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٣٠.

[٢١٩] سورة الإسراء، الآية: ٨٤ .

[٢٢٠] الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٣٠.

[٢٢١] ابن بابويه، فقه الرضا، ص٧٠.

[٢٢٢] ابن فهد الحلي، عدّة الداعي، ص٢١٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٤٥.

[٢٢٣] النراقي، جامع السعادات، ج٣، ص٢٧٥.

٣ – عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها وتقرّبوا بها، فإنّها كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا...، وقد عرف حقّها رجال من المؤمنين الذين لا تشغلهم عنها زينة متاع ولا قرّة عين من ولد ولا مال، يقول تعالى: (رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ)»[٢٢٥].

٤ – عن الإمام الباقر (عليه السلام): «ما أخلص عبدٌ الإيمانَ بالله أربعين يومًا إلّا زهّده الله تعالى في الدنيا وبصّره داءها ودوائها وأثبت الحكمة في قلبه وأنطق بها لسانه»[٢٢٦].

٥ – عن الإمام الصادق (عليه السلام): في تفسير قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[٢٢٧] قال (عليه السلام): «ليس يعني أكثركم عملًا، ولكن أصوبكم عملًا وإنّما الإصابة خشية الله والنيّة الصادقة»، ثمّ قال(عليه السلام): «الإبقاء على العمل حتّى يخلص أشد من العمل، والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله (عزّ وجلّ) والنيّة أفضل من العمل، ألا وإنّ النيّة هي العمل، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿قُلْ كلّ يَعْمَلُ عَلى شاكِلَتِهِ﴾ (يعني على نيّته)»[٢٢٨].

٦ – عن الإمام الرضا (عليه السلام): «لا صلاة إلّا بإسباغ الوضوء وإحضار النيّة وخلوص اليقين وفراغ القلب وترك الاشتغال وهو قوله تعالى ﴿فَإِذا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلى رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [٢٢٩]»[٢٣٠].

الثاني: حضور القلب:

حضور القلب معنى يقابل الغفلة، ويسمّى بالإقبال؛ وهو أن يفرغ القلب عن كلّ شيء سوى الله تعالى. ويُطلَق على الخشوع أيضًا؛ لأنّ الخشوع في الصلاة خشوعان:

أوّلًا: خشوع القلب:

هو أن يتفرّغ للصلاة والإعراض عن كلّ ما سواها، بحيث لا يكون في قلبه غير الله تعالى.

---

[٢٢٤] الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٥٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٢٩.

[٢٢٥] خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج٢، ص١٧٨.

[٢٢٦] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٥، ص٢٩٥.

[٢٢٧] سورة هود، الآية: ٧ .

[٢٢٨] الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٣٠.

[٢٢٩] سورة الانشراح، الآيتان: ٧ –٨.

[٢٣٠] ابن بابويه، فقه الرضا، ص٧٠.

ثانيًا: خشوع الجوارح:

وهو أن يغضّ بصره ولا يلتفت ولا يتثائب ولا يتمطّى ولا يفرقع أصابعه ولا يفعل أيّ شيء من المكروهات، ولا يتحرّك إلّا من أجل الصلاة وأجزائها.

إنّ المعلومات التي تتقبّلها النفس (وفق مصطلحات المنطق) تنقسم إلى قسمين:

١ – المعلوم الحصولي:

وهو ما ليس حاضرًا بذاته لدى النفس، وإنّما يحضر بصورة ذلك الشيء فعلمنا بالأرض والجبال والبحار والسماء يعني انطباع صور تلك الأشياء في أذهاننا.

٢ – المعلوم الحضوري:

وهو ما يحضر بذاته لدى النفس وليس له وجود مستقلّ منفصل عن فهمنا وإدراكنا، فعلمنا بحبّ الصالحين وعلمنا ببغض المنافقين حاضر لدى النفس مباشرة بلا واسطة، فنحن ندرك مباشرة الحبّ والبغض، وليس الحبّ والبغض أمرين منفصلين مستقلّين، بل وجودهما بوجود الذهن والإدراك والشعور، وكذلك الدوافع النفسانيّة التي تدفعنا نحو أعمالنا سواء أكانت دوافع فاضلة وخيّرة أم كانت دوافع خبيثة وشرّيرة، فالدوافع النفسانيّة ليست معلومة لدى النفس بأخذ صورة عنها كوجودات مستقلّة، بل هي حاضرة مباشرة وبلا واسطة؛ لعدم الوجود المستقلّ لها خارج الذهن والنفس.

والغريب أنّ الدوافع النفسيّة التي تدفع الإنسان نحو العمل رغم حضورها لدى النفس مباشرة وبلا واسطة، فإنّنا نرى النفس تغفل عن ذلك، وكأنّها تحاول أن تلهي نفسها بغير الواقع رغم أنّ الواقع حاضر لديها، كما يحصل عند كثير من الناس حيث يعمل ويتصوّر ويرى أنّ عمله لله وبدافع القربة، لكن في الواقع أنّ رؤيته هذه ناتجة من الغفلة الحاصلة من تسوّلات النفس الأمّارة والهوى والشيطان؛ لأنّه حيثما يـَمتحن ويَختبر نفسه ويرى أنّ الحقيقة خلاف تلك الرؤية، وأنّ عمله لم يكن لله، وليس بدافع القربة، ولتقريب المراد أذكر لك بعض الأمثلة:

١ – حُكي عن بعض المصلين العابدين أنّه قال: قضيت صلاة ثلاثين سنة كنت صلّيتها في المسجد جماعة في الصفّ الأوّل؛ لأنّي تأخّرت يومًا لعذر وصلّيت في الصفّ الثاني، فاعترتني خجلة من الناس حيث رأوني في الصفّ الثاني، فعرفت أنّ نظر الناس إلـيَّ في الصفّ الأوّل كان يسرّني وكان هو السبب في راحة قلبي من حيث لا أشعر.

٢ – بعض المصلّين كان يصلّي في المسجد دائمًا، وكانت صلاته بخشوع، وكان يظنّ أنّ صلاته مقبولة؛ لأنّها صلاة الخاشعين، ولكن عندما تخلّف عن الحضور للمسجد وصلّى في البيت رأى أنّ ذلك الخشوع

غير موجود أثناء هذه الصلاة فاكتشف، أنَّ الدافع الحقيقي للخشوع الظاهري هو الرياء ولم يكن الخشوع لله تعالى، وأنّه كان غافلًا عن هذا.

٣ – وفي غير الصلاة، نجد بعض الناس ممّن يبادر إلى فعل الخيرات من مساعدة الناس المحتاجين ويرى أنّ عمله لله تعالى، ولكن حينما يمرّ هذا الإنسان بالاختبار كعدم الحصول على المدح والثناء من المقابل على عمله، نجد أنّه سيقلّل أو يقطع تلك المساعدات، وهذا يكشف غفلته عن الواقع، وأنّ عمله لم يكن لله تعالى، بل كان بدافع حبّ المدح من الآخرين.

٤ – وفي غير الصلاة، نجد الغفلة عن التقييم الصحيح، فكم منّا من يقيّم نفسه ويرى أنّه وصل إلى درجات من التكامل النفسي والأخلاقي، بحيث أصبح ينتقد تصرّفاته السابقة من قبل سنين عندما كان طفلًا ويشعر بالحقد على طفل آخر يأخذ منه شيئًا بسيطًا يلعب به، أو عندما يجلس ذلك الطفل في حضن أُمّي أو أُمّك، فإنّنا نحقد عليه، وربّما نضربه ويظنّ كلّ منا أنّنا ارتفعنا عن ذلك المستوى وسرنا نحو التكامل، ولكن حقيقة الأمر أنّ أكثرنا قد غفل عن الواقع؛ لأنّه ما زال يشعر بالحقد والغيرة على شخص قُدّم عليه في المجلس أو حصل على علم أكثر، وأفضل منه، فهو يعيش في نفس المستوى النفسي الطفولي السيّء الذي كان يعيشه سابقًا، أمّا عدم غيرته من الطفل في هذا الوقت؛ لأنّه لـمْ يعد طفلًا يحتاج إلى تلك اللعب البسيطة الخاصّة بالأطفال.

فالدوافع النفسية الحقيقيّة هي التي تحدّد شخصيّة الإنسان؛ لأنّها أمّا تمنع من الرقي والتكامل أو أن تدفع وتحفّز الإنسان للسير في طريق التكامل الروحي والأخلاقي، فالواجب على كلّ إنسان امتحان نفسه دائمًا ومحاسبتها ومراقبتها ومعرفة مدى التحسّن والارتقاء في المستوى العبادي والأخلاقي والفكري عمّا كان عليه سابقًا.

فإذا وجد أنّه قد حصل على الرُقي والتصاعد في طريق التكامل الحقيقي فليشكر ربّه دائمًا؛ لأنّه تعالى الخالق والموفّق والمنعم والمسدّد في هذا الطريق القويم، وليعاهد الله بأنّه سيبقى يثبت في هذا الخطّ التصاعدي نحو الكمال وسيصعد مستواه الإيماني ويُعمّقه، فيكون ممن يذكر الله سبحانه وتعالى في جميع الأحوال والأوقات.

وممّا يوصلنا إلى هذا المستوى الإيماني ترسيخ الحقيقة الربّانيّة الكبرى في النفس وهي حقيقة (لا إله إلّا الله)، وأنّه تعالى قد بدأ الخلق وخلق الإنسان وكوّنه في رحم أُمه وغذّاه ونمّاه، حتى خرج إلى الدنيا طفلًا لا يقدر على شيء، فرزقه وغذّاه وربّاه وقدّره حتى صار رجلًا، فالحياة والنطق والفكر والقدرة والعيش وغيرها كلّها من نِعَم الله تعالى وفضله.

لقد طالبنا الإسلام بأن نستحضر الله تعالى استحضارًا حيًّا في ذاكرتنا، منطبعًا في سلوكنا، وقد أشار إلى هذه المنهجيّة والتربية الإسلاميّة في موارد عديدة منها:

١ – قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيامًا وَقُعُودًا وَعَلى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّماواتِ وَالأَْرْضِ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلًا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ﴾[٢٣١].

٢ – عن الإمام السجّاد (عليه السلام): «أَشَدّ مَا فَرَضَ اللهُ عَلَى خَلْقِهِ ثَلاثٌ: .. إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ، وَمُوَاسَاتُكَ أَخَاكَ، وَذِكْرُ اللهَّ فِي كلّ مَوْطِنٍ، أَمَا إِنِّي لا أَقُولُ (سُبْحَانَ اللهَّ وَالْحَمْدُ للهَّ وَلا إِلَهَ إِلا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ)، وَإِنْ كَانَ هَذَا مِنْ ذَاكَ، وَلَكِنْ ذِكْرُ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فِي كلّ مَوْطِنٍ إِذَا هَجَمْتَ عَلَى طَاعَةٍ أَوْ عَلَى مَعْصِيَةٍ»[٢٣٢].

الثالث: خشوع الصلاة

الخشوع في الصلاة هو التواضع والتذلّل، وهو روح الصلاة وممّا يتوقّف عليه كمالها لأنّ:

١ – الصلاة مناجاة لله تعالى، ولا تكون هناك مناجاة والقلب لاهٍ منشغل، فإذا كان قلب العبد محجوبًا عن الذّات المقدّسة بحجاب الغفلة، فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التي شُرِّعَتْ لصقل القلب وتجديد ذكر الله تعالى ودوامه.

فعن الإمام الصادق(عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) بعد أن صلّى صلاة وجهر فيها بالقراءة...

قال(صلّى الله عليه وآله وسلّم): «ما بال أقوام يُتلى عليهم كتاب الله فلا يدرون ما يُتلى عليهم منه ولا ما يترك (أي ولا يدرون ما يُترك)، هكذا هلكت بنو إسرائيل؛ حضرت أبدانهم وغابت قلوبهم، ولا يقبل الله صلاة عبد لا يحضر قلبه مع بدنه»[٢٣٣].

٢ – الصلاة ثناء وحمد وشكر لله تعالى؛ لأنّ من أجزاء الصلاة القراءة والذكر والدعاء، فإذا كان القلب محجوبًا عن الله بحجاب الغفلة، فلا يرى الله ولا يشاهده، فلا دعاء ولا ثناء ولا حمد، فلا صلاة، بل مجرّد

---

[٢٣١] سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

[٢٣٢] النجفي، موسوعة أحاديث أهل البيت عليهم السلام، ج١، ص٤٧٤.

[٢٣٣] البرقي، المحاسن، ج١، ص٢٦٠؛ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٦، ص٤١٦.

تحريك لسان بحكم العادة، فعن النبيّ المصطفى (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «بالصلاة يبلغ العبد إلى الدرجة العليا، لأَنَّ الصَّلاةَ تَسْبِيحٌ وَتَهْلِيلٌ وَتَحْمِيدٌ وَتَكْبِيرٌ وَتَمْجِيدٌ وَتَقْدِيسٌ وقولٌ وَدَعْوَةٌ»[٢٣٤].

٣-الوقوف في الصلاة بأدب والركوع والسجود وغيرها من أفعال الصلاة وأجزائها يقصد بها التعظيم والتمجيد للمولى جلّت عظمته، فمع عدم الخشوع للجوارح، أو مع غفلة القلب عن الله تعالى، فلا وجود للتعظيم ولمْ يبقَ إلّا مجرّد حركات وسكنات مجرّدة، وقد أشار المولى لتلك المعاني، كما ورد عن النبيّ الأكرم(صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((من حبس نفسه في صلاة الفريضة فأتمّ ركوعها وسجودها وخشوعها، ثمّ مجّد الله عزّ وجلّ وعظّمه وحمده حتّى يدخل وقت صلاة أخرى لم يلغ بينهما، كتب الله له كأجر الحاج المعتمر، وكان من أهل علّيّين))[٢٣٥].

عن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم): ((ولا صلاة لمن لا يتمّ ركوعها وسجودها))[٢٣٦].

وعن الإمام الصادق (عليه السلام): «اعطوا كلّ سورة حظّها من الركوع والسجود إذا كنتم في الصلاة»[٢٣٧].

٤ – الصلاة وسيلة تربويّة شرعيّة لتربية الشخصيّة من خلال استحضار الحقائق الربّانيّة، بعد الإقرار بالعبوديّة واستحضار أنّ الله هو الخالق والمربّي والمحيي والمميت والرازق والمنعم في الدنيا والآخرة، وكذلك التربية من خلال إقرار المصلّي على نفسه بالعبوديّة الصالحة للمولى المطلق (جلّ جلاله) والإقرار بعدم الخضوع والانقياد لإبليس والنفس والهوى، ولا لأيّ شيء من مغريات الدنيا، ومن الواضح أنّ الغفلة عن تلك المعاني وعدم استحضارها لا يحقّق التربية الإسلاميّة الصالحة المرجوّة من تشريع الصلاة وإقامتها، فالواجب علينا الحفاظ على الصلاة وقبولها وذلك بالحفاظ على روحها وشروط كمالها من خلال تحقيق الخشوع في الصلاة، وقد أشار الإسلام إلى الترغيب في صلاة الخاشعين والحثّ والتأكيد عليها ومدح حضور القلب والإقبال في الصلاة، وكذلك أشار إلى ذمّ الغفلة والتفكّر في أمور الدنيا والوساوس الشيطانيّة، وبعبارة أُخرى يُقال: إنّه لا يحظر في القلب إلّا ما يهتمّ به الإنسان، فإذا كان همّك

---

[٢٣٤] الصدوق، الخصال، ص٥٢٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٩، ص٢٣٢.

[٢٣٥] المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦٠.

[٢٣٦] الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٩، ص١٩٨.

[٢٣٧] الصدوق، الخصال، ص٦٢٧؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج٦، ص٥٢؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠، ص١٠٥.
هكذا هي في الخصال وفي البحار، لكنّها في الوسائل (حقّها) بدل (حظّها).

الدنيا وزينتها وما يرتبط بها، كان قلبك مشغولًا بها دائمًا سواء في الصلاة أم في غيرها، وبالتأكيد فإنّ إبليس وأتباعه يزدادون همةً وسعيًا في غواية الإنسان أثناء عباداته، وفي الصلاة المسألة واضحة جدًّا، ولعلاج ذلك نذكر بعض الأمور:

الأول: الاطلاع مع التفكّر وأخذ العضة والعبرة ممّا ورد عن أهل البيت (عليهم السلام) في وصف الدنيا وأنّها دار اختبار وفناء، وأنّ الآخرة هي دار القرار والدوام، والصلاة هي المنهاج والهدى والإيمان ونور المعرفة، وقبول الأعمال، وزاد للمؤمن من الدنيا إلى الآخرة، فينبغي الإتيان بالصلاة التامّة المقبولة، فتكون نجاة للبدن من النار وجوازًا على الصراط ومفتاحًا للجنّة.

١ -عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشتغلْ قلبه بما تراه عيناه، ولمْ ينسَ ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أُعطي غيره»[٢٣٨].

٢ -عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «تعاهدوا أمر الصلاة وحافظوا عليها، واستكثروا منها، وتقرّبوا بها فإنّها كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا... وإنها لتحتّ الذنوب حتّ الورق... وقد عرف حقّها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زينة متاع، ولا قرة عين من ولد، ولا مال، يقول الله سبحانه: ﴿رِجالٌ لا تُلْهِيهِمْ تِجارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقامِ الصَّلاةِ وَإِيتاءِ الزَّكاةِ﴾[٢٣٩]»[٢٤٠].

الثاني: الاطّلاع على ما ورد عن المولى والذي يشير إلى الترهيب، وذم الغفلة في الصلاة والتفكير في أمور الدنيا:

١ -قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُونَ﴾[٢٤١].

٢ -عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه»[٢٤٢].

٣ -روي عن النبيّ الأكرم (صلّى الله عليه وآله وسلّم) رأى رجلًا يعبث بلحيته في صلاته، فقال (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[٢٤٣].

---

[٢٣٨] الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٥٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٢٩.

[٢٣٩] سورة النور، الآية: ٣٧.

[٢٤٠] خطب الإمام علي عليه السلام، نهج البلاغة، ج٢، ص١٧٨.

[٢٤١] سورة الماعون، الآيتان: ٤-٥.

[٢٤٢] النراقي، جامع السعادات، ج٣، ص٢٦٢.

الثالث: الاطّلاع على ما ورد من المولى في الترغيب والحثّ على صلاة الخاشعين ومدح أصحابها ومن ذلك:

١-عن بعض أزواج الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «كان النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يحدّثنا ونحدّثه، فإذا حضرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه»[٢٤٤].

٢-روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): إذا حضر وقت الصلاة يتزلزل ويتلوّن، فيقال له: ما لكَ يا أمير المؤمنين؟

فيقول (عليه السلام): «جاء وقت أمانة الله التي عرضها على السماوات والأرض والجبال فأبينَ أن يحملنها وأشفقنَ منها وحملها الإنسان»[٢٤٥].

٣-روي: «أنّه وقع نصل في رِجل أمير المؤمنين (عليه السلام) فلم يُمكّن أحد من إخراجه، وقالت فاطمة(عليها السلام): أخرجوه في حالة صلاته، فإنّه لا يحسّ حينئذ ما يجري عليه، فأُخرِجَ وهو في صلاته فلم يحسّ به أصلًا»[٢٤٦].

٤-عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «من توضّأ مثل وضوئي هذا، ثمّ قام فركع ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه، غفر له ما تقدّم من ذنبه»[٢٤٧].

٥-عن أمير المؤمنين (عليه السلام): «طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء، ولم يشتغل قلبه بما ترى عيناه، ولم ينسَ ذكر الله وما تسمع أذناه، ولم يحزن صدره بما أعطي غيره»[٢٤٨].

٦ -عن الإمام الصادق(عليه السلام): «لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلّا وجبت له الجنّة، وإذا صلّيت فأقبل بقلبك على الله (عزّ وجلّ) فإنّه ليس من عبدٍ مؤمن يقبل بقلبه على الله(عزّ وجلّ) في صلاته ودعائه إلّا أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنّة»[٢٤٩].

---

[٢٤٣] الكاشاني، بدائع الصنائع، ج١، ص٢١٥؛ المتقي الهندي، كنز العمال، ج٨، ص١٩٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦١.

[٢٤٤] ابن فهد الحلي، عدّة الداعي، ص١٣٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٤٠٠.

[٢٤٥] المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٤٨؛ الميرزا النوري، مستدرك الوسائل، ج٤، ص٩٤.

[٢٤٦] النراقي، جامع السعادات، ج٣، ص٢٦٣.

[٢٤٧] الصنعاني، المصنف، ج١، ص٤٥؛ البيهقي، السنن الكبرى، ج١، ص٤٨.

[٢٤٨] الكليني، الكافي، ج٢، ص١٦؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١، ص٥٩؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٢٩.

الرابع: العلم والتيقّن بأنّ الحركات الظاهرة في الصلاة ليس لها دخل كثير في تصفية النفس وتطهير القلب، بل أنّ حقيقة الصلاة وروحها واستحضار معانيها هو المزكّي للنفس المطهّر للقلب، فالواجب الاطّلاع على ما صدر في خصوص تلك المعاني وترسيخ ذلك في الذهن واستحضاره أثناء الصلاة:

١ -عن النبيّ المصطفى(صلّى الله عليه وآله وسلّم): «صلِّ صلاة مودّع، فإذا دخلت في الصلاة فقل: هذا آخر صلاتي من دنياي، وكن كأنّ الجنّة بين يديك، والنار تحتك، وملك الموت وراءك، والأنبياء عن يمينك، والملائكة عن يسارك، والرب مطّلع عليك من فوقك، فانظر بين يدي من تقف ومن تناجي ومن ينظر إليك»[٢٥٠].

٢ -عن الإمام الباقر(عليه السلام): «(كان الإمام السجّاد عليه السلام) إذا قام في صلاته غشي لونه لون آخر، وكان قيامه في صلاته قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل، وكانت أعضاؤه ترتعد من خشية الله عزّ وجلّ، وكان يصلّي صلاة مودّع يرى أنّه لا يصلّي بعدها أبدًا »[٢٥١].

٣ -عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «إذا توجّه (العبد) إلى مصلّاه ليصلّي، قال الله (عزّ وجلّ) لملائكته: يا ملائكتي ألا ترون إلى عبدي هذا قد انقطع عن جميع الخلائق إليّ وأمّل رحمتي ووجودي ورأفتي؟ أشهدكم أنيّ أخصّه برحمتي وكراماتي»[٢٥٢].

الرابع: التفهّم

التفهّم هو اشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ من السور والتسبيحات والأذكار، وهذا أمر وراء حضور القلب، فربّما يكون القلب حاضرًا مع اللفظ ولا يكون حاضرًا مع معناه، ويختلف التفهّم من شخص إلى آخر في المستوى والمقدار، ولا يخفى أنّ التفهّم ومعرفة المعنى باستقلاله لا ثمرة فيه ما لم يستحضر المعنى أثناء الصلاة، فكثير منّا يعرف معاني عديدة للألفاظ من السور أو التسبيحات أو الأذكار، لكنّه يغفل عنها في الصلاة، وعلاج غفلة القلب عن المعنى هو نفس علاج غفلته عن اللفظ مع

---

[٢٤٩] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص٢٠٩؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٥، ص٤٧٧؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٨١، ص٢٦٠.

[٢٥٠] البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج٥، ص٣٩.

[٢٥١] الصدوق، الخصال، ص٥١٧؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج٤، ص٩٩؛ ابن شهر آشوب، مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٩٠؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٤٦، ص٦١.

[٢٥٢] المجلسي، بحار الأنوار، ج٧٧، ص٣١٧.

الحاجة هنا إلى الإقبال على الفكر ورفع الخواطر الشاغلة برفع أسبابها، فإنّ من أحبّ شيئًا أكثرَ من ذكره وشغلَ قلبه به، وكذلك من خافَ شيئًا فإنّه يذكره، ويشغله كثيرًا، فمن أحبَّ غير الله تعالى وخاف غيره (جلّت قدرته) كان قلبه مشغولًا بهذا الشيء، فلا تصفو له صلاة لانشغاله بالخواطر والهواجس.

فالأحاسيس والمشاعر كالحبّ والكره والخوف والحزن، مجموعة من الانفعالات النفسية التي تجيش في صدر المصلّي؛ نتيجة لما يدور في ذهنه من أفكار، أو نتيجة التفاعل مع ما ينتقل إلى النفس من الخارج عن طريق الحواسّ، كالشيء الذي يراه أو يسمعه أو يشمّه أو يتذوّقه وغير ذلك، والعلاج في هذه الحالات يتوقف على عاملين:

١ -تنوير الذهن بالعلم والمعرفة الحقّة المتمثّلة بطاعة الله تعالى ودوام التفكير الصحيح به (جلّت قدرته) وبِخَلْقِه، وتعلُّم معاني السور والتسبيحات والأذكار واستحضارها والتفكّر بها والإكثار من ذلك والدوام عليه.

٢ -انتخاب المكان المناسب للصلاة الذي ينفي أو يقلّل من انتقال الخواطر والأمور إلى نفسه وذهنه، كأن يكون بعيدًا عن الأصوات والمناظر والأشياء الملفتة للسمع والنظر والشاغلة للذهن والقلب.

الخامس: التعظيم

بعد حضور القلب والتفهّم، على المصلّي أن يكون معظّمًا للخالق(جلّ جلاله)، وأن يكون قلبه خاشعًا منكسرًا له تعالى، فحضور القلب والتفهّم يمكن أن يحصل مع عدم حصول التعظيم كما يحصل مع العديد من الناس، فإننا نستمع إلى كلامهم ويحضر القلب بحيث يسمع ويستحضر جميع الألفاظ بالرغم من عدم تعظيمنا لهم، بل يمكن أن ننظر إلى بعضهم نظرة استصغار واحتقار أو بُـغض وكراهة، وتتولّد حالة القلب بالتعظيم لله تعالى من معرفتين:

١ – معرفة عظمة الله وجلاله وكبريائه ونحوها من صفاته (جلّت قدرته)، وهذه المعرفة من أصول الدين.

٢ -معرفة حقارة النفس وذلّتها، ومعرفة كونه عبدًا ذليلًا فقيرًا ضعيفًا محتاجًا، لا يقدر على شيء من النفع والضرّ، وأوّله نطفة ندرة وآخره جيفة قذرة وهو ما بينهما يحمل العذرة.

السادس: الهيبة والخوف

الهيبة: هي خوف ينشأ من التعظيم والإجلال فمن لا يخاف لا يسمّى هائبًا، فهي حالة في القلب تكون بعد حضور القلب والتفهّم والتعظيم، ويمكن تولّد الهيبة لله تعالى في القلب من مجموع معرفتين:

١-معرفة قدرة الله تعالى وقوّته وسطوته وكبريائه وجبروته وهذه المعرفة من أصول الدين.

٢-معرفة أنّ الله غنيّ عن العالمين، وأنّه تعالى لا يُبالي في هلاك الأوّلين والآخرين؛ لأنّ هلاكهم لا ينقص من ملكه شيئًا، ومعرفة أنّ الله تعالى أجرى المصائب وأنواع البلاء على الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، فبالأولى إجراء ذلك وإنزاله بل أضعافه على باقي عباده.

واعلمْ أنّ نور الإيمان يشرف على القلب تدريجيًا، ثم يشتدّ ويتضاعف حتّى يتمّ ويكمل، وأوّل ما يشرق النور يتأثّر القلب بالخشية والهيبة من الله وعظمته وكبريائه وسائر صفاته الجلاليّة والجماليّة، ولا يخفى أنّ الصفات الإلهيّة غير متناهية، وما ينعكس منها على النفس يتناسب مع مقدار ما تطيقه النفس وما حصل لها من استعداد لتقبّله، وكلّما كان العبد أعرف بربهِ كان منه أخوف، ويشهد لهذا:

١ -قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ﴾[٢٥٣].

٢ -ما ورد عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «أنا أخوفكم من الله»[٢٥٤].

السابع: الرجاء

حالة الرجاء تحصل بعد حصول ما سبق من حالات الحضور والتفهّم والتعظيم والهيبة، والمعروف أنّ كثيرًا من الناس يعظّم ملكًا ويهابه، ولكنّه لا يرجو بِـرَّه وإحسانه؛ لأنّ الملك ليس أهلاً للبرّ والإحسان، أمّا العبد فينبغي أن يكون في صلاته راجيًا من الله تعالى أن يحصل له الثواب على ما يؤدّي من صلاة، وفي نفس الوقت عليه أن يخاف الله تعالى لتقصير العبد أو لعدم مبالات المولى (جلّت قدرته) بك أو بغيرك أو بالناس جميعًا.

ويمكن أن تتولّد حالة الرجاء في القلب من مجموع معرفتين:

١ -معرفة لطف الله تعالى وكرمه ورحمته.

٢ -معرفة صدق الله تعالى فيما وعد من إعطاء الثواب والجنان للمصلّي صلاة الخاشعين المقبولة.

الثامن: الحياء

---

١ سورة فاطر، الآية: ٢٨.

[٢٥٤] النراقي، جامع السعادات، ج١، ص٢٠٣.

يحصل بعد التعظيم والخوف والرجاء، وسبب ذلك:

١ -معرفة الإنسان وشعوره بالتقصير وكثرة الذنوب أمام تلك العظمة الإلهيّة والجبروت القدسي.

٢-معرفة أنّ الله تعالى مطّلع على السرائر فضلًا عن غيرها، فهو(تعالى) يعلم بعيوب النفس وآفاتها، وقلّة إخلاصها، وخبث باطنها، وميلها للمنفعة العاجلة في جميع أفعالها.

٣ -التيقّن بالعجز عن القيام بتعظيم الله (سبحانه وتعالى)، والتيقّن بالعجز عن الشكر لما أنعم الله تعالى على العبد.

الفصل الثاني

الصبر والاصطبار

أقسام الصبر
أولًا: الصبر على المصائب
ثانيًا: الصبر على النِعَم
ثالثًا: الصبر عن المعاصي
رابعًا: الصبر على الطاعات
الصبر على الصلاة
الصبر على أداء الصلاة
الصبر على الاستفادة من الصلاة

مجاهدة النفس وقبول الصلاة
الوصول إلى درجة المتقين والصدّيقين
القسم الأول: الإقبال على الله تعالى
القسم الثاني: الإقبال على الصلاة
١ ـ الإيمان
٢ ـ فراغ القلب وخلوّه من مشاغل الدنيا
٣ ـ تربية النفس على التركيز والجدّيّة
٤ ـ فهم الصلاة ومعانيها
٥ – الإصرار والمثابرة
٦ ـ صور الإقبال والحضور

الفصل الثاني

الصبر والاصطبار

الصبر: هو تحمّل المكاره من غير جزع، أو هو قسر النفس وحجزها على مقتضيات الشرع والعقل أوامرًا ونواهيًا، والصبر المطلوب في الإسلام على أربعة أقسام:

الأوّل: الصبر على المصائب

وهو أن يصبر الإنسان ويمسك نفسه ويحتفظ عليها من اليأس والألم الذي يحتمل تولّده من التعرّض للخسارات في الأموال والأحباب وغيرها، ويشير لهذا المعنى:

١-قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذا أَصابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ * أُولئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَواتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٢٥٥].

٢-عن الإمام الباقر(عليه السلام): «الجنّة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنّم محفوفة باللذّات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذّتها وشهوتها دخل النار»[٢٥٦].

٣ -عن الإمام الباقر (عليه السلام) عن أبيه (عليه السلام): «اِصبر على الحقّ، وإن كان مرًّا تُوفَّ أجرك بغير حساب»[٢٥٧].

الثاني: الصبر على النعم

الصبر على النعم هو ضبط النفس والمحافظة على توازنها من مسولات البطر والطغيان، فمسرّات الحياة ومفاتنها كالجاه العريض، والثراء الضخم، والسلطة النافذة ونحو ذلك يؤدّي إلى انحراف النفس وطغيانها ما لم نسيطر عليها ونحافظ على توازنها، وذلك بالمجاهدة والصبر والمداومة على رعاية الحقوق المفروضة على تلك النعم، واستغلالها في المجالات الشرعيّة والأخلاقيّة، فمن المعنويّة العطف والإحسان، ومن المادّيّة رعاية البؤساء وإغاثة المضطهدين والمستضعفين والاهتمام بحوائج المؤمنين.

---

[٢٥٥] سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ - ١٥٧.

[٢٥٦] المازندراني، شرح أصول الكافي، ج٨، ص٢٨٣؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص٣٠٩؛ البروجردي، جامع أحاديث الشيعة، ج١٣، ص٣٠٩.

[٢٥٧] الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٣٨.

الثالث: الصبر عن المعاصي

على الإنسان إمساك نفسه ورغباتها وشهواتها عن المعاصي والمحرّمات وإغراءاتها وزيفها، فالنفوس مجبولة على الجموح والشرود من النظم والضوابط (حتّى لو كانت هذه النظم باعثة على إصلاحها وإسعادها) ومجبولة على الانطلاق في مسارح الأهواء والشهوات، ولهذا كانت مجافاة المعصية والانتهاء عنها شاقّة على النفس، فتحتاج إلى الصبر والمجاهدة، وكذلك فإنّ ممارسة الطاعة والمداومة عليها فيه مشقّة على النفوس المجبولة على الجموح والشرود من النظم والقوانين، ولهذا تحتاج النفس إلى المجاهدة والصبر حتّى تمارس الطاعة وتداوم عليها.

ويستفاد هذا المعنى كما ورد:

١ -عن الإمام الصادق (عليه السلام): «اصبروا على طاعة الله، وتصبّروا عن معصيته، فإنّما الدنيا ساعة، فما مضى فلست تجد له سرورًا ولا حزنًا، وما لم يأتِ فلست تعرفه، فاصبرْ على تلك الساعة، فكأنّك قد اعتبطت»[٢٥٨].

٢ -عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام): «إذا كان يوم القيامة، يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه، فيُقال لهم: من أنتم؟

فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كُنّا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله تعالى: صَدَقوا ادخلوهم الجنّة، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسابٍ﴾[٢٥٩]»[٢٦٠].

عن الإمام الصادق (عليه السلام): «الصبر صبران: فالصبر عند المصيبة، حسن جميل، وأفضل من ذلك الصبر عمّا حرّم الله (عز وجل) فيكون لك حاجزًا»[٢٦١].

الرابع: الصبر على الطاعات

---

[٢٥٨] مهدي الصدر، أخلاق أهل البيت (عليهم السلام)، ص١٥٦، نقلًا عن الوافي.

[٢٥٩] سورة الزمر، الآية: ١٠.

[٢٦٠] الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٥، ص٢٣٦؛ المجلسي، بحار الأنوار، ج٦٦، ٣٦٣.

[٢٦١] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج١، ص١٨٧؛ المفيد، الاختصاص، ص٢١٨.

عرفنا أنّ النفوس مجبولة على الشرود والخروج من النظم والقوانين إلى مسارح الأهواء والشهوات، ولهذا كانت ممارسة الطاعة والمداومة عليها فيه مشقّة على النفوس فتحتاج إلى المجاهدة والصبر.

الصبر على الصلاة

الصبر على الصلاة من الصبر على الطاعات، وفيه قسمان، صبر على أدائها، وصبر على الاستفادة منها.

١ - الصبر على أداء الصلاة:

إنّ استحضار المعاني والأوصاف الواردة عن المولى بحقّ تارك الصلاة ووصفه بالكفر والنفاق والخروج عن زِيِّ الإسلام، والخروج عن زِيِّ العبوديّة الكريمة الإلهيّة المقدّسة، والدخول في عبوديّات الذلّ والهوان للأموال والمناصب والاشخاص وغيرها، واستحضار ما يترتّب على ذلك من عقوبات وآثار دُنيويّة وأُخرويّة، وغير ذلك مما يتفكّر به ويستحضره، من البديهي أن يكون رادعًا كافيًا لكلّ إنسان بعدم التهاون بالصلاة، وإلزامه بإقامتها والدوام عليها في كلّ الأحوال والأزمان.

٢ - الصبر على الاستفادة من الصلاة:

عرفنا سابقًا أنّ أداء الصلاة للدرجة التي تحقّق الإجزاء فيسقط العقاب، ليس هو الهدف المقدّس الأسمى، بل الوصول إلى درجة القبول هو الهدف والغاية القصوى الذي يتوقّف عليه قبول الاعمال واعتبار المصلّي من المسلمين.

من الواضح أنّ قبول الصلاة لا يتمّ بالصلاة الجوفاء، بل يتحقّق بالصلاة المعنويّة الروحيّة، وبل الحفاظ على روحها ومعطياتها، وقد عرفنا أنّ روح الصلاة وحقيقتها ومعناها والمحافظة على ذلك يعتمد على توفّر الشروط المعنويّة الروحيّة للصلاة، ومثل هذا يحتاج إلى مجاهدات متكرّرة ودائمة وإلى صبر واصطبار.

فنور الإيمان إنّما يشرق على القلب تدريجيًا ثم يشتدّ ويتضاعف، حتّى يتمّ ويكمل، وأوّل ما يشرق النور يتأثّر القلب فيشعر بالوجل والخشية والخوف إذا ذكر الله تعالى، ثم ما زال الإيمان ينبسط ويتفرّع ويتعرّق ويتعمّق وينمو بالنظر إلى آيات الله الدالّة عليه، والكلمات والأذكار والتسبيحات الصادرة من النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته المعصومين(عليهم السلام)، فكلّما تأمّل (المؤمن) المصلّي في شيء منها زادته إيمانًا، فيقوى الإيمان ويشتدّ أكثر وأكثر، حتّى يستقرّ في مرحلة اليقين، قال تعالى: ﴿وَإِذا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آياتُهُ زادَتْهُمْ إِيمانًا﴾[٢٦٢].

---

[٢٦٢] سورة الأنفال، من الآية: ٢.

وكلّما كان العبد (المُصلّي) أعرفْ بربّه كان منه أخوف، وكمال المعرفة هو الموجب لشدّة الخوف؛ لأنّه يوجب احتراق القلب، فيفيض أثـر الحرقة من القلب إلى:

١ –البدن؛ بالخمول والصفار والغشية والبكاء.

٢ –الجوارح؛ بكفّها عن المعاصي وتقييدها بالطاعة، فمن لم يجتهد في ترك المعاصي وكسب الطاعات فليس على شيء من الخشية والخوف، وقد ورد (ليس الخائف من يبكي ويمسح عينيه، بل مَن يترك ما يخاف أن يعاقَب عليه)[٢٦٣] فتصبح المعاصي المحبوبة مكروهة عند الخائف كما يصير العسل مكروهًا عند من يشتهيه إذا عرف كونه مسمومًا، فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدّب الجوارح به، ويحصل بالقلب الحضور والتفهّم والتعظيم والذبول والذلّة والخشوع، وتفارقه الصفات الذميمة الرذيلة، فلا يكون له شغل إلّا مجاهدة نفسه ومحاسبتها.

فشدّة محاسبة النفس تتناسب مع شدّة الخوف الذي هو حرقة القلب وتأمّله، وشدّة الخوف تتناسب مع شدّة وعمق المعرفة بجلال الله وعظمته، والمعرفة بعيوب نفسه وما يتقدّمها من أهوال، وبحسب درجات الخوف وانعكاساتها على الشخصيّة الإسلاميّة، ويمكن تصنيف الإنسان المسلم إلى:

١ –الوَرِع: وهو الذي يمتلك أقلّ درجات الخوف، فيكفّ نفسه عن المحرّمات.

٢ – التقيّ: وهو الذي يمتلك خوف أعلى من درجة الوَرَع، وهذه الدرجة تحمله على الكفّ عن الشبهات.

٣ –الصادق في التقوى: وهو الذي يمتلك درجة خوف أعلى من التقيّ، والذي يحمله خوفه على ترك ما لا بأس به خوفًا من الوقوع في ما به بأس.

٤ – الصدّيق: وهو الذي يمتلك أعلى درجات الخوف والذي يحمله خوفه على التفرّغ للخدمة، فيصبح ممّا لا يبني ما لا يسكنه، ولا يجمع ما لا يأكله، ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنّه مفارقها، ولا يعرف إلى غير الله نفسًا من أنفاسه. ورد في الحديث القدسي: «وعزّتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فإذا آمنني في الدنيا، أخفته يوم القيامة، إذا خافني في الدنيا آمنته يوم القيامة»[٢٦٤].

---

[٢٦٣] النراقي، جامع السعادات، ج١، ص٢٠٣.

[٢٦٤] الصدوق، الخصال، ص٧٩؛ الطبرسي، مكارم الأخلاق، ص٤٦٢.

الوصول إلى درجة المتقين والصدّيقين

إنّ اقتطاف ثمار الصلاة ومعطياتها والاستفادة من ذلك والدوام عليه، يحصل إذا تحقّق قبول الصلاة، فالصلاة المقبولة هي التي تربّي الإنسان وتجعله عنصرًا فعّالًا مفيدًا رساليًّا في مجتمعه، وكذلك تربّيه روحيًّا وأخلاقيًّا فيسير في خطّ التكامل حتّى الوصول إلى درجة المتّقين والصدّيقين، والقبول المطلوب في الصلاة في هذا المقام، يتحقّق إذا توفّر قسمان من الإقبال:

الأوّل: الإقبال على الله تعالى

وهو الشعور بالحضور بين يدي الله تعالى ومناجاته.

الثاني: الإقبال على الصلاة

وهو تفهّم الصلاة بمحتواها ومعطياتها، ولا يخفى أنّ طبيعة الصلاة نوع من الحضور بين يدي الله تعالى، وأنّ محتواها يتضمّن شيء من الدعاء والتكلّم مع الله تعالى، ولكن طبيعة الصلاة الغالبة (كما ذكرنا في الجزء السابق) هي تقرير وتذكير النفس بالحقائق أمام الذات المقدّسة، فإذا جعل المصلّي صلاته خطابًا لله وتكلّمًا ومناجاةً ودعاءً معه تعالى، وأغفل ناحية تقرير الحقائق على نفسه فقد قلّل من عطائها، وكذلك العكس. والصحيح التركيز على الجانبين، جانب الحضور والمثول بين يدي الله تعالى والشعور به عزّ وجلّ، وجانب تربية النفس بذكر حقائق الصلاة أمامها. فالواجب على كلّ مصلٍّ أن يـُمارس أفعال الصلاة وتلاواتها بوعي وترسُّل[٢٦٥] بحيث يتركها تؤثّر أثرها على عقله وشعوره، وتعطي ثـمارها الخاصّة والعامّة الشخصيّة والاجتماعيّة، ويساعد على تحقيق ذلك عدّة أمور تختلف من شخص إلى آخر ومن حالة إلى أُخرى، نذكر منها ما فيه الفائدة العامّة، ونترك التفصيل والتعمّق وانتخاب الوسائل المتّبعة للمكلّف، فهو على نفسه بصيرة ومن تلك الأمور:

الأوّل: الإيمان

ينبغي على كلّ إنسان الإيمان والمعرفة اليقينيّة بالله تعالى، ومعرفة صفاته كجلاله وعظمته وكونه عالمًا بالظاهر والباطن، فالهروب وعدم الإقبال على الصلاة يدلّ على عدم الإيمان وعدم التيقّن.

الثاني: فراغ القلب وخلوّه من مشاغل الدنيا

---

[٢٦٥] الترسّل بمعنى التأنّي وعدم العجلة، ورد في طلبة الطلبة: وَالتَّرَسُّلُ فِي الْأَذَانِ هُوَ الْإِبْطَاءُ فِيهِ. وفي جمهرة اللغة: تخاجأ الرجلُ، إذا مشى متمطّياً، وهي المُطَيْطاء، مِشية فيها ترسُّل.

أشرنا إلى أنّ الغفلة عن الصلاة وعدم حضور القلب لا سبب له إلّا الخواطر الشاغلة، وعلاج الغفلة برفع الخواطر الشاغلة، ورفع الاخيرة يتحقّق برفع أسبابها، أمّا توارد الخواطر فهو لسببين أشرنا إليهما سابقًا وهما:

١ - السبب الخارجي: ما ينتقل إلى النفس من الخارج عن طريق الحواس، فما يظهر للبصر أو يقرع السمع، غالبًا ما يلهي الإنسان ويشغل قلبه وفكره فيكون الإبصار والاستماع سبب الخواطر وانشغال القلب والفكر.

ولعلاج ذلك علينا قطع الأسباب المولّدة للخواطر الشاغلة بأن يغضّ البصر أو الصلاة في بيت مظلم، أو الاقتراب من جدار عند صلاته حتّى تضيق وتقلّ مسافة نظره، وأن لا يصلّي في الشوارع والأماكن العامّة، ولا في المواضع المنقوشة، ولا في الأماكن العامّة للجلوس والحديث، ولا بأس أن يصلّي وهو مُعَصب العينين، أو في غرفة صغيرة معزولة ومظلمة لجمع العزيمة وتعميقها.

٢- السبب الباطني: ما يدور في ذهن المصلّي من أفكار مادّيّة دنيويّة، فمن تفرّقت همومه وتشتّت أنظاره في أودية الدنيا لم ينحصر فكره، بل يصبح مضطربًا يطير من جانب إلى آخر، ومثل هذا الإنسان غضّ البصر لا يكفيه كعلاج لغفلته وغياب قلبه.

وعلاج ذلك أَن يردَّ نفسه قهرًا إلى ما يقرأ، ويشغلها بما يقرأ عن غيره، ويُعينه على ذلك أن يستعدّ قبل بدء الصلاة بأن يجدّد على نفسه ويُلزمها ذكر الآخرة وعظم المقام بين يدي الله تعالى، ويستحضر العقبات والأهوال التي ستواجهه عند الموت وفي البرزخ وفي الآخرة، وعليه أن يجتهد من أجل تفريغ القلب عن مشاغل الدنيا، وإذا لم ينفعه ذلك عليه بردع وقمع الأفكار الشاغلة له، (مثلًا) أَن ينظر في الأمور الصارمة والشاغلة له والتي تعود إلى شهواته وليعاقب نفسه بالابتعاد عن تلك الشهوات وقطع تلك العوائق، أو يعاقب نفسه بزيادة النوافل، أو بالصيام فيما لو انشغل فكره وقلبه بتلك الأُمور وغفل عن الصلاة أو عن بعض أجزائها، ومما يساعد في العلاج استحضار ما ورد عن الشارع المقدس في ذمّ حبّ الدنيا.

الثالث: تربية النفس على التركيز والجدّيّة

إنّ الانتباه والتركيز على أفعالنا اليوميّة تختلف من شخص لآخر، ويعتمد على الحالة الفكريّة والنفسيّة للشخص، فبعض الأشخاص يمارس أعماله بقدر قليل من التركيز بسبب انشداد مشاعره وأفكاره إلى أمر آخر، وبعضهم يركّز ذهنه ومشاعره غالبًا أو دائمًا على كلّ عمل يقوم به، والشخصيّات الناجحة والصالحة هي التي تمتلك قدرًا كبيرًا من التركيز على أعمالها، وباستطاعة الإنسان أن يربّي نفسه على التركيز حتّى يصبح سمة لشخصيّته، والصلاة من الأعمال التي يقوم بها الإنسان، فالإقبال عليها وشدّته

تعتمد على ما يتمتّع به المصلّي من تركيز وإقبال قلبي في سلوكه وشخصيّته العامّة، فالأنبياء والأئمّة (عليهم الصلاة والسلام) والصالحون يتمتّعون بدرجات كبيرة وعجيبة من الإقبال والخشوع في صلواتهم وعباداتهم بسبب الجدّيّة العالية في سلوكهم العام وشخصيّتهم.

الرابع: فهم الصلاة ومعانيها

على المصلّي فهم الصلاة ومعانيها ومعطياتها وأسلوبها التربويّ الرساليّ الشخصيّ والاجتماعيّ، فبمقدار ما يملك الإنسان من وعي لذات الصلاة ودورها في الحياة، سيكون مقدار نصيبه من الإقبال عليها الإفادة منها.

والصحيح والنافع أن تجعل الصلاة ملازمة لك في كلّ أفعالك وحياتك، وكذا العكس بأن تجعل أفعالك وحياتك كلّها ملازمة للصلاة، فعندما تصلّي تستحضر أنّ أفعالك جميعها لا تُقْبَل إذا لم تُقبل الصلاة، هذا سيدفعك ويُلزمك أن تأتي بالصلاة وشروطها الظاهريّة والباطنيّة حتّى تكون مقبولة فتُقْبَل الأعمال.

وكذلك عندما تريد أن تأتي بطاعة أو بعمل معروف فعليك استحضار الصلاة واعتبارها أحد الأسباب التي دعتك لفعل المعروف أو للإتيان بالطاعة، لأنّ من شروط قبول الصلاة ومن آثارها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وعن الفحشاء، أي إنّ من شروط قبول الصلاة أن يكون المصلّي من المتّقين ومن أهل المعروف.

وكذلك عندما تنتهي عن المنكر اجعلْ أحد الأسباب التي جعلتك تنتهي عن المنكر هو الصلاة، وأنّك تريد أن تحقّق الصلاة المقبولة الناهية عن الفحشاء والمنكر.

الخامس: الإصرار والمثابرة

إذا ابتليتَ بالغفلةِ وعدم حضور القلب فلا تجعل مثل هذا مثبّطًا لك ومسببًا للآلام واليأس في النفوس ومضعِّفًا للإصرار، بل عليك الاصطبار والإصرار والمثابرة، فإنّك في حالة صراع مع الهوى والنفس والشيطان، وكلّ منهم يحاول أن يصلَ بك إلى حالة اليأس والضعف، فلا تسمح لها بهزيمتك والإطاحة بك، فإنّ الله تعالى قد كرّمك وأنعم عليك بالاستعدادات والقدرات الذاتيّة التي تستطيع بها أن تتغلّب عليها وتسقطها، فتوكّل على الله تعالى وأعقد العزم على هزيمة تلك القوى الشرّيرة وستنتصر بعون الله وتسديده.

السادس: صور الإقبال والحضور

يمكن لبعض المصلّين إعطاء الإقبال على الصلاة صبغة وحالة النفس وصفة الظروف التي يعيشها ويتأثّر بها، ففي حالة فرحه يكون الإقبال إقبال الفرح والشكر لله على ما أنعم عليه، وفي حالة حزنه يكون الإقبال إقبال الحزن والشكوى لله وطلب الفرج وهكذا.

إذا توفّرت للإنسان ما سبق من أمور، وعَمِل على تحقيقها مع معرفة الله تعالى وصفاته ومن إفراغ القلب من الدنيا والتركيز على الصلاة ومعانيها وحقيقتها بعد معرفتها، فلا يبقى إلّا أن يتوكّل على الله جلّت قدرته ويثق بما عنده من قدرات منحه الله تعالى إيّاها، فيعقد العزم على هزيمة تلك القوى الشرّيرة من الهوى والنفس والشيطان، ويثق ويعتقد بأنّه عند البدء بالصلاة والدخول بها يكون قد دخل في حرمها المقدّس الجميل، وإن شاء الله سيقذف الله تعالى من نوره في قلبكَ وستعيش واقعًا في ذلك الحرم المقدّس الشريف وستشعر بالمتعة والأنس في تلك الحضرة المقدّسة، رزقنا الله جميعًا هذه المتعة والتشريف والتكريم.

كتاب الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَما كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۞ أَيَّامًا مَعْدُوداتٍ فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ شَهْرُ رَمَضانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّناتٍ مِنَ الْهُدى وَالْفُرْقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كانَ مَرِيضًا أَوْ عَلى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلى ما هَداكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞

صدق الله العلي العظيم

سورة البقرة (الآيات: ١٨٣ – ١٨٥)

العبادة وتكامل الفرد والمجتمع

خلق الله الإنسان ومنحه العقل والرشد والفاعليّة والتكيّف، وجعل فيه الإمكانيّة والشأنيّة لحمل الغرائز والتجارب وعلى مسرح الحياة وحمل كلّ بذور ومقوّمات نجاح تلك التجارب، ومن التجارب الأصيلة والأكثر امتدادًا وشمولًا في حياة الإنسان هي تجربة الإيمان وكون الإنسان مشدودًا ومرتبطًا بطبيعته إلى المعبود المطلق، وهذه التجربة ملازمة للإنسان منذ أبعد العصور وفي كل مراحل التاريخ، ولكن مع هذا فإنّ الإيمان كغريزة لا يكفي ولا يضمن تحقيق الارتباط بالمعبود بصورته الصحيحة الصحيّة؛ لأنّ صورة وكيفيّة الارتباط تعتمد وتربط بدرجة كبيرة ورئيسة مع طريقة إشباع تلك الغريزة الإيمانيّة، ومع كيفيّة وأسلوب الاستفادة من تلك الغريزة، فالتصرّف السليم والصحيح في إشباعها هو الذي يكفل المصلحة النهائيّة للإنسان لارتباطه بالخالق المطلق بالكيفيّة الصحيحة المناسبة.

ومن الواضح إنّ أيّ غريزة تنمو وتتعمّق إذا كان السلوك موافقًا لها، فبذور الرحمة والشفقة مثلًا تنمو في نفس الإنسان من خلال التعاطف العملي المستمرّ مع الفقراء والبائسين والمظلومين، أمّا لو كان السلوك مخالفًا ومضادًا للغريزة فإنّه يؤدي إلى ضمورها وخنقها، فبذور الرحمة والشفقة مثلًا تضمر وتموت في الإنسان من خلال التعامل والسلوك السلبي من الظلم وحبّ الذات.

وعليه فالإيمان بالله والشعور الغريزي العميق بالتطلّع نحو الغيب والانشداد إلى المعبود لا بدّ له من توجيه وتسديد وتحديد الطريق والسلوك المناسب لإشباع هذا الشعور وتعميقه وترسيخه؛ لأنّه بدون توجيه سيضمر هذا الشعور وينتكس ويمنى بألوان من الانحراف والشبهات، ممّا يؤدّي إلى ارتباط غير صحيح ليس له حقيقة فاعلة ومنتجة في حياة إنسان قادرًا على إنتاجيّة طاقاته الصالحة الدينيّة والأخلاقية والعلميّة.

وقد تصدّى الشارع المقدّس لتعميق ذلك الشعور والإيمان بجعل العبادات التي تمثّل التعبير والوجه العملي والتطبيقي لغريزة الإيمان، وقد نجحت هذه العبادات في المجال التطبيقي في تربية أجيال من المؤمنين على مرّ التاريخ، الذين جسّدت عباداتهم من صلاة وصيام وزكاة وغيرها في نفوسهم الارتباط العميق والصحيح بالله تعالى ورفض كلّ قوى الشر الماديّة والمعنويّة، ولتعميق وتأكيد الإيمان جعل الشارع المقدّس بعض النقاط والأفعال في العبادات مبهمة وغيبيّة لا يمكن للإنسان أن يعي سرها وتفسيرها تفسيرًا ماديًّا محسوسًا، ومن الواضح أنّه كلّما كان عنصر الانقياد والاستسلام في العبادة أكبر كان أثرها في تعميق الربط بين العابد وربّه أقوى، أمّا إذا كان العمل واضح الغرض والمصلحة في كلّ تفاصيله تضاءل فيه عنصر الاستسلام والانقياد وطغت عليه دوافع المصلحة والمنفعة.

ومن الجدير بالذكر إنّ الله سبحانه وتعالى لم ينصِّب نفسه هدفًا وغاية للمسيرة الإنسانيّة لكي يطأطئ الإنسان رأسه ويتذلل بين يديه من أجل تكريس ذاته المقدّسة فحسب، بل أراد بهذه العبادة أيضًا أن يبني الإنسان الصالح المتكامل القادر على تجاوز ذاته والمساهمة في المسيرة الشموليّة لجوانب الحياة المتنوعة، حيث حرص المولى الشرعي على أن يكسب الإنسان الصالح المتكامل روح العبادة في كل أعماله وتصرفاته ويحولها إلى عبادات. كما ورد عن النبي الأكرم (ﷺ) ما معناه «إن استطعت أن لا تأكل ولا تشرب إلّا لله فافعل»[٢٦٦]، إضافة لذلك فقد صيغت العبادة في الشريعة المقدّسة بطريقة جعلت منها في أغلب الأحيان أداة ووسيلة لعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، والتأكيد على أن العلاقة العبادية ذات دور اجتماعي في حياة الإنسان، ولا تكون ناجحة إلاّ حين تكون قوة فعّالة في توجيه ما يواكبها من علاقات اجتماعية توجيهًا صحيحًا. وبعبارة أخرى، إنّ الإنسان لم يخلق ولم يوجد أساسًا إلاّ في نسيج إنساني عام لا ينسجم ولا يحفظ كيانه إلاّ مع تعاليم الله سبحانه وتعالى، فجعل الإنسان مرتبطًا بالمجموعة البشرية بقوانين من التعامل والسلوك.

الأول: حبّ الآخرين، فكلّ مسلم بل كلّ إنسان مطالب بحبّ الآخرين وعدم حمل الحقد والضغينة في قلبه عليهم، وعليه أن يترجم ذلك في سلوكه وإحساسه فيتألم لألم الآخرين ويحزن لحزنهم ويفرح لفرحهم.

الثاني: السعي في حوائج الآخرين، وهذا القانون يُمثّل الترجمة العمليّة والتطبيق الواقعي لما حسّ وشعر به تطبيقًا للقانون الأول.

وممّا لا يخفى أنّ الشارع المقدّس قد ترجم ذلك في العمل والتطبيق بعد الطرح النظري، فسيرة النبي الأعظم (ﷺ) وسيرة الأئمة المعصومين(عليهم السلام) خير شاهد على ذلك، حيث الحضور في الساحة الاجتماعيّة والإحساس بما يحسه المجتمع ومعرفة حاجة الناس العمليّة العباديّة والأخلاقيّة ضمن ما يسمح لهم وما قدروا عليه كل حسب ظروفه، ونتيجة عملهم (عليهم السلام) إنّهم أعطوا صورة كاملة وواضحة تفرز المجتمع المسلم وتميزه عن سائر المجتمعات المتوحشة الغائبة عن الإيمان والارتباط بالله تعالى والبعيدة عن الأخلاق.

---

[٢٦٦] وردَ عنْ رسولِ الله (ﷺ) في وصاياه لأبي ذَرّ: «يا أبا ذرّ ليكنْ لكَ في كلِّ شيءٍ نِـيَّةٌ حتّى في النومِ والأكلِ». وسائل الشيعة، ج١، ص٣٤؛ بحار الأنوار، ج٧٤، ص٨٢.

وقد تصدّى الشارع المقدّس لتوجيه وتحديد مسار العمل العبادي الصحيح والمتكامل لخدمة الفرد والمجتمع. ونحن قد ذكرنا بعض الشيء في التطبيقات العبادية السابقة كالصلاة والطهارة، وقد حان الوقت بفضل الله تعالى للكلام عن الصيام بل عن شهر رمضان وما يتميز به من توجيهات وعبادات لو التزم بها كلّ إنسان وجعلها منهجًا وسلوكًا في حياته لوصلنا إلى المجتمع المتكامل المثالي.

الصوم وشهر رمضان

في هذا الموجز لم نقتصر بالحديث عن الصوم فقط بل يشمل شهر رمضان بصورة عامّة ليله ونهاره، خاصّة وإنّ لياليه تشمل أفضل الليالي وهي ليلة القدر المباركة. وقد ورد الكثير من النصوص التي تشير إلى شهر رمضان وأفضليته، وتشير إلى أعمال كثيرة في لياليه، كما يوجد كثير من الأعمال في أوقات النهار.

لقد ورد عن النبي الأكرم (ﷺ): «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ بِالْبَرَكَةِ وَالرَّحْمَةِ وَالْمَغْفِرَةِ. شَهْرٌ هُوَ عِنْدَ اللهِ أَفْضَلُ الشُّهُورِ، وَأَيَّامُهُ أَفْضَلُ الأَيَّامِ، وَلَيَالِيهِ أَفْضَلُ اللَّيَالِي، وَسَاعَاتُهُ أَفْضَلُ السَّاعَاتِ. هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَافَةِ اللهِ، وَجُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللهِ...»[٢٦٧].

وعن الإمام زين العابدين(عليه السلام): «... ثم آثرتنا به على سائر الأمم، واصطفيتنا دون أهل الملل، فصمنا بأمرك نهاره، وقمنا بعونك ليله...»[٢٦٨].

ذكرنا سابقًا أنّ الشارع المقدّس تبنّى توجيه العبادات ومنها العبادة في شهر رمضان بما يحقق التكافل والتكامل في الشخصيّة الإسلاميّة والمجتمع الإسلامي، والكلام في شهر رمضان يكون على مستويين:

الأوّل: مستوى الشخص والفرد

أكد الإسلام في موارد كثيرة على أنّ الحياة الدنيا جسر للآخرة وأنّها دار اختبار وابتلاء، وإنّ الواجب على الإنسان العاقل السويّ أن يؤجّل شهواته ويسيطر عليها ويوجهها بما يرضى به الشارع المقدّس؛ لترتيب الجزاء والثواب، وبخلاف ذلك يترتّب العقاب في الدنيا وفي الآخرة (أجارنا الله ذلك) وقد عالج الإسلام مشكلة الانقياد وراء الشهوات والتمسّك بالدنيا بأساليب عديدة منها ما أوجبه من صوم شهر رمضان وما حَثّ عليه من العبادات في أيام شهر رمضان ولياليه، وعلى مستوى الفرد نلاحظ

---

[٢٦٧] الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، ص٧٧؛ الحرّ العاملي، وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣١٣؛ القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، ج١، ص١٦٦.

[٢٦٨] الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (عليه السلام)، ص٢٩٥؛ الطوسي، مصباح المتهجد، ص٦٤٤.

العلاج شمل ثلاثة جوانب رئيسة تعالج مشاكل كثيرة منها ما ذكر أعلاه، والغرض من ذلك كله هو الوصول بالفرد إلى التكامل وبالتالي انعكاس ذلك وتأثيره في تكامل المجتمع.

أوّلًا: الجانب الحيوي (البيولوجي)

لقد أوجب المولى الشرعي الصوم في شهر رمضان، ومن فوائد الصوم الفائدة الصحيّة فهو يزكّي ويقي البدن من العديد من الأمراض والجراثيم بما يقارب المئتين حسب إخبار بعض أهل الاختصاص، ونحن نعلم أنّ حاجة الإنسان إلى الطعام والشراب مثلًا ضروريّة لتحقيق التوازن الحيوي له، والإسلام لم يترك هذه الحاجة والرغبة بدون ضابطة وقانون يتحكّم بها بل جعل لها سلوكًا متوازنًا ومناسبًا، حيث بيّن الأضرار والمضاعفات السلبيّة المترتّبة على الشبع في الأكل والشرب وغيرهما من حيث الصحة الجسميّة، وقد حثّ على عدم تناول الطعام إلّا مع الحاجة الملحّة إليه، وإذا تناول الطعام فلا يُشبع نفسه ويتخمها فعلى الإنسان المسلم أن يكون في كل أوقاته على قدر من الجوع والعطش والحاجة إلى المأكل والمشرب، وقد أثبتت البحوث الطبّيّة صحّة هذا البرنامج الغذائي الإسلامي. وقد ورد الكثير من الإشارات العبادية في توصيات أهل البيت (عليهم السلام) بخصوص هذا البرنامج الغذائي الصحي الإسلامي.

١- عن الإمام علي(عليه السلام) لابنه الحسن(عليه السلام): «ألا أُعلمك أربع خصال تستغني بها عن الطب، قال: بلى. قال: لا تجلس على الطعام إلاّ وأنت جائع، ولا تقم عن الطعام إلاّ وأنت تشتهيه...»[٢٦٩].

٢- عن الإمام علي (عليه السلام): « وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ»[٢٧٠].

٣- وعن الإمام الصادق(عليه السلام): «ليس بدّ لابن آدم من أكلة يقيم بها صلبه، فإذا أكل أحدكم طعامًا فليجعل ثلث بطنه للطعام، وثلث للشراب، وثلث بطنه للنَفَس»[٢٧١].

٤- وعنه(عليه السلام): «كلّ داء من التخمة»[٢٧٢].

٥- وعنه(عليه السلام): «إياكم و الإكثار من شرب الماء فإنّه مادة لكل داء»[٢٧٣].

٦- وعنه(عليه السلام): «لا يشرب أحدكم الماء حتى يشتهيه، فإذا اشتهاه فليقلّ منه»[٢٧٤].

---

[٢٦٩] الصدوق، الخصال، ص٢٢٩؛ وسائل الشيعة، ج٢٤، ص٢٤٥.

[٢٧٠] ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٣٣٢.

[٢٧١] وسائل الشيعة، ج٢٤، ص٢٤٠.

[٢٧٢] المحاسن، ج٢، ص٤٤٧؛ الكافي، ج٦، ص٢٦٩.

[٢٧٣] المحاسن، ج٢، ص٥٧١؛ بحار الأنوار، ج٦٣، ص٤٤٥.

ثانيًا: الجانب النفسي والأخلاقي

إنّ الصيام في شهر رمضان بل في كلّ الأيام هو عمل وفعل سلبي وعدمي؛ ليس فيه تظاهر أمام الخلق ولا يدخله الرياء ولا طلب الجاه ولا السمعة ولا الشهرة غالبًا؛ لأنّه إضافة إلى اشتراط القربة في النية وعدم الرياء، فإنّه حتى لو علم الآخرون أنّه صائم فلا بد أن يبقى جزء من وقت النهار دائمًا أو غالبًا لا يراه أحد، وفي هذا الوقت باستطاعته أن يتناول المفطر لكنّه لم يفعل، أو يقال إنّ الصيام بدون التصريح به لا يوجد ما يدلّ عليه لأنّه عمل وفعل عدمي، بينما أكثر العبادات الأخرى عبارة عن أفعال خارجيّة إذا قام بها الإنسان علم الآخرون أنّه أدى العبادة تلك دون الحاجة إلى التصريح بالقول مثلًا.

ويعتبر الصوم مظهر من مظاهر التدريب النفسي والبدني على تحمّل الشدائد وعدم الجري واللهث وراء النعيم الدنيوي من المأكل والمشرب والشهوة، ومن ثمراته علاج آفة الكذب؛ حيث نهى الشارع عن الكذب في شهر رمضان مطلقًا وخاصّة الكذب على الله تعالى ورسوله (ﷺ) وقد جعله من المفطرات.

وقد ورد في هذا الخصوص:

١-عن الأكرم والأصدق خاتم الأنبياء (ﷺ): «...أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ حَسَّنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلُقَهُ كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ وَ مَنْ خَفَّفَ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ خَفَّفَ اللهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ وَ مَنْ كَفَّ فِيهِ شَرَّهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَ مَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتِيماً أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ...»[٢٧٥].

٢-عن الإمام الرضا (عليه السلام): «... وليكون الصائم خاشعًا ذليلًا مستكينًا مأجورًا محتسبًا عارفًا صابرًا على ما أصابه من الجوع والعطش فيستوجب الثواب، مع ما فيه من الإمساك عن الشهوات، ويكون ذلك واعظًا لهم في العاجل ورائضًا لهم على أداء ما كلفهم ودليلًا لهم في الآجل...»[٢٧٦].

ثالثا: الجانب العبادي

رُبّ قائل بأنّ الجانب الصحي يمكن تحقيقه بدون الالتزام بالصوم في شهر رمضان أو في غيره من الأيام؛ وذلك بتمرين النفس وتعويدها التقليل من الطعام ومن وجباته حتى يبقى وجبتان أو وجبة واحدة في اليوم، وكذلك الجانب السلوكي يمكن أن يتحقق عند الإنسان بعد تمرين وتعويد النفس على السلوك الصحيح الأخلاقي وتكرار ذلك ومعايشته حتى تنمو وتتأكد في نفسه الغريزة الأخلاقيّة الحسنة،

---

[٢٧٤] المحاسن، ج٢، ص٥٧١؛ وسائل الشيعة، ج٢٥، ص٢٣٨.

[٢٧٥] أمالي الصدوق، ص١٥٤؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣١٤.

[٢٧٦] الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، ص١٢٢؛ الصدوق، علل الشرائع، ج١، ص٢٧٠؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٩.

وكذلك تمرن وتعود النفس على ترك السلوك السلبي اللاأخلاقي وترك العمل به حتى تصل النفس إلى مرحلة النفور من ذلك السلوك السلبي مما يؤدّي إلى عدم صدوره من ذلك الإنسان، فيستطيع الإنسان أن يمرن ويروض نفسه على الشجاعة والرحمة وغيرها فتصبح جزء من سلوكه وفعله الخارجي، وهكذا وعليه لا يبقى ثمرة لتشريع الصيام، للإجابة على ذلك نذكر تعليقين في المقام:

الأول: إنّ المشرّع الإسلامي وأيّ مشرّع آخر عندما يشرّع قانونًا فهو يأخذ بنظر الاعتبار الحالة النوعيّة والعامّة للمجتمع لا الحالة الشخصيّة الخاصّة لفرد أو لبعض الأفراد، وفي المقام فإنّ الغرض من تشريع العبادات كما قلنا هو لإصلاح وتكامل الشخصيّة الإسلاميّة للمجتمع المسلم بأكمله لا شريحة دون أخرى، ومن الواضح أنّ الحالات التي ذكرها المستشكل نادرة وأنّ الكثرة العظيمة من الناس تستفيد من هذا القانون الإلهي وهذه الثمرة لا يمكن لعاقل أن ينكرها.

الثاني: إنّ الإنسان مهما امتلك من العلم والفكر فإنّ عقله يبقى قاصرًا عن إدراك ملاكات ومصالح الأحكام، وهذا يعني وجود عنصر غيبي لا يستطيع الإنسان معرفته ولا تفسيره التفسير المادي المحسوس، وقلنا سابقًا إنّ مثل هذا العنصر الغيبي في العبادة يُعمّق ويُؤكد الإيمان والارتباط بالله تعالى، وإنّ ذلك العنصر هو المقياس للانقياد والاستسلام في العبادة، وعليه فكلما كان العنصر الغيبي أعمق في الإيهام والإبهام وأبعد عن إدراك العقول، كان انقياد العابد واستسلامه للمعبود في العبادة أكبر، وإذا كان الانقياد والاستسلام أكبر، كان أثرها في تعميق الربط بين العابد وربه أقوى. وقد تصدّى الشارع لتوجيه الجانب العبادي في شهر رمضان، فحثّ الإنسان المسلم على أن يجعل صومه منطلقًا إلى كفّ النفس عن الشهوات واللذات التافهة الزائلة، والارتفاع بالقلب عن حضيض وسفلية النفس البهيميّة إلى أعالي المقامات الملكوتيّة القدسيّة، وذلك بقمع الشيطان ومنع النفس من ارتكاب الجرائم والمعاصي والشهوات المنحرفة، والعمل على إطلاق الأشياء الحسنة الصالحة والمداومة على ذلك بخشوع وتواضع وإخلاص في النية لكسب رضوان الخالق الجبار تبارك وتعالى.

ونذكر بعض توجيهات الشارع المقدّس بخصوص الجانب العبادي للصيام ولشهر رمضان والإشارة إليه:

١ – في الحديث القدسي: «كل عمل ابن آدم له إلّا الصيام فإنّه لي وأنا أجزي به، يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي»[٢٧٧].

---

[٢٧٧] عبد الله بن قدامة، المغنى، ج٣، ص٣٢.

٢- في الحديث القدسي: «إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي، فَالصِّيامُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، كُلِّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ، إِلَّا الصِّيَامَ فَهُوَ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»[٢٧٨].

٣- عن النبي الأكرم (ﷺ): «إنّما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته»[٢٧٩].

٤-عن النبي الأكرم (ﷺ): «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ قَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكُمْ شَهْرُ اللهِ...هُوَ شَهْرٌ دُعِيتُمْ فِيهِ إِلَى ضِيَافَةِ اللهِ وَ جُعِلْتُمْ فِيهِ مِنْ أَهْلِ كَرَامَةِ اللهِ أَنْفَاسُكُمْ فِيهِ تَسْبِيحٌ وَ نَوْمُكُمْ فِيهِ عِبَادَةٌ وَ عَمَلُكُمْ فِيهِ مَقْبُولٌ وَ دُعَاؤُكُمْ فِيهِ مُسْتَجَابٌ فَاسْأَلُوا اللهَ رَبَّكُمْ بِنِيَّاتٍ صَادِقَةٍ وَ قُلُوبٍ طَاهِرَةٍ أَنْ يُوَفِّقَكُمْ لِصِيَامِهِ وَ تِلَاوَةِ كِتَابِهِ فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ غُفْرَانَ اللهِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْعَظِيمِ»[٢٨٠].

٥-عن الرسول الأكرم (ﷺ): «{... وَمَنْ تَلَا فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَبْوَابَ الْجِنَانِ فِي هَذَا الشَّهْرِ مُفَتَّحَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُغَلِّقَهَا عَنْكُمْ وَ أَبْوَابَ النِّيرَانِ مُغَلَّقَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُفَتِّحَهَا عَلَيْكُمْ وَ الشَّيَاطِينَ مَغْلُولَةٌ فَاسْأَلُوا رَبَّكُمْ أَنْ لَا يُسَلِّطَهَا عَلَيْكُمْ}. وقال علي (عليه السلام): {فَقُمْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ؟ فَقَالَ (ﷺ): يَا أَبَا الْحَسَنِ، أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ فِي هَذَا الشَّهْرِ الْوَرَعُ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ}»[٢٨١].

٦- عن الإمام زين العابدين (عليه السلام): «ثمّ أثرتنا به على سائر الأمم واصطفيتنا دون أهل الملل، فصمنا بأمرك نهاره، وقمنا بعونك ليله»[٢٨٢].

٧- عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّما فرض الله صيام شهر رمضان على الأنبياء دون الأمم، ففضل به هذه الأمة وجعل صيامه فرضًا على رسول الله (ﷺ) وعلى أمته»[٢٨٣].

٨- عنه (عليه السلام): «أقرب ما يكون العبد من الله جلّ وعزّ إذا خفّ بطنه، وأبغض ما يكون العبد إلى الله عز وجل إذا امتلا بطنه»[٢٨٤].

---

[٢٧٨] موطأ الإمام مالك، ج١، ٣١٠؛ مسند الإمام أحمد، ج١٦، ص٥٩.

[٢٧٩] الغزالي، إحياء علوم الدين، ج١، ص٢٣٦.

[٢٨٠] الصدوق، فضائل الأشهر الثلاثة، ص٧٧؛ الحر العاملي، وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣١٣؛ القندوزي، ينابيع المودة لذوي القربى، ج١، ص١٦٦؛ أمالي الصدوق، ص١٥٤؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣١٤.

[٢٨١] فضائل الأشهر الثلاثة، ص٧٧؛ ينابيع المودة لذوي القربى، ج١، ص١٦٦؛ أمالي الصدوق، ص١٥٤؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣١٤.

[٢٨٢] الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين عليه السلام، ص٢٩٥؛ الطوسي، مصباح المتهجد، ص٦٤٤.

[٢٨٣] الصدوق، من لا يحضره الفقيه، ج٢، ص١٠٠؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٢٤٠.

٩- عنه (عليه السلام): «وليس شيء أضرّ لقلب المؤمن من كثرة الأكل»[٢٨٥].

١٠- عن الإمام الرضا (عليه السلام): «إنّما أُمروا بالصيام لكي يعرفوا ألم الجوع والعطش فيستدلوا على فقر الآخرة»[٢٨٦].

الثاني: المستوى الاجتماعي

ذكرنا سابقًا أنّ أحد الأهداف للعبادة هو بناء الإنسان الصالح المتكامل القادر على تجاوز ذاته والمساهمة في المسيرة الشموليّة التكامليّة للمجتمع في كل مجالات الحياة، فجُعلت عبادات الإنسان وأعماله في سبيل الله تعالى، وهذا السبيل في الحقيقة طريق وممرّ ووسيلة وكاشف عن السبيل لخدمة المجتمع الإنساني؛ لأنّ كل عمل من أجل الله تعالى هو من أجل عباد الله، لأنّ الله غني عن عباده، ويؤيد هذا أو يدل عليه قول النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله): «إنّما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[٢٨٧].

فالصيام هو أحد العبادات، يوفر الأرضيّة المناسبة لعلاج الشخصيّة الإسلاميّة من الجانب العبادي والصحي الحيوي والنفسي والسلوكي، إضافة لذلك أو من نتائج ذلك ما يحصل عليه الصائم من تنمية غريزة الرقابة الذاتيّة؛ حيث يلتزم بالصيام والإمساك عن المفطرات دون أن يراقبه أي إنسان، فهو يستطيع أن يتناول المفطر دون أن يراه أحد من الناس لكنّه مع ذلك لا يتناوله خوفًا من الله تعالى، وهذا بدوره يؤدي بالإنسان إلى الشعور الداخلي بالمسؤوليّة؛ لأنّه تمرّن وتعوّد بعباده على تقديم ما يشعر به من فعل مجهد ومتعب دون أيّ مردود مادي أو معنوي دنيوي من الناس، نعم، هو امتثال وإطاعة لأمر المعبود المطلق، وهنا يدفعه إلى إطاعة أوامر المعبود العباديّة والتوجيهات الأخلاقيّة والاجتماعيّة والتي تهدف إلى صيانة المجتمع وتكامله، فمثلًا قد نهى الشارع الإسلامي الصائم عن الغيبة والنميمة والظلم والكذب، وحذّر الشارع المقدّس الصائم من التعامل اللاأخلاقي مع الناس، وفي نفس الوقت حثّه على عمل الخيرات من مواصلة الفقير والمسكين والضعيف بعد أن عاش الصائم وذاق مرارة الجوع والحرمان فحثّته على الصدقة للفقراء وعلى زكاة الفطرة.

---

[٢٨٤] الكافي، ج٦، ص٢٦٩؛ محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٣، ص٢٥٤٠.

[٢٨٥] بحار الأنوار، ج٦٣، ص٣٣٧؛ مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٩٤.

[٢٨٦] وسائل الشيعة، ج١٠، ص٩.

[٢٨٧] ابن أبي الدنيا، مكارم الأخلاق، ص٦؛ محسن الأمين، أعيان الشيعة، ج١، ص٣٠١؛ بحار الأنوار، ج١٦، ص٢١٠.

ولصيانة الوطن وحمايته من الأعداء الخارجيين والثبات أمامهم في سوح القتال حيث الماء والطعام القليل والابتعاد عن الأهل والشهوات، أمر الشارع بالصيام ليتمرّن ويتدرّب الصائم على تحمل تلك المشاق، وحثّه الشارع على صلاة الليل وإحياء ليالي رمضان بأدعية السحر فيكون على استعداد لحراسة حدود وطنه ليلًا ونهارًا.

وكتطبيق عملي ونظري للتكافل والتكامل الاجتماعي حثّ الشارع المقدّس على إعداد الولائم لإفطار الصائمين لتحقيق المواصلة بين الناس، وفي الأدعية الرمضانية النهاريّة والليليّة نجد فيه إضافة إلى الجانب الروحي العبادي، الجانب الاجتماعي حيث يبدأ الإنسان بالدعاء إلى الآخرين ثم يدعو لنفسه أو الدعاء للجميع من الوالدين والأهل والإخوان والمؤمنين والمسلمين والمسلمات والفقراء والمساكين والمظلومين.

وأذكر في المقام بعض ما ورد عن الشارع المقدّس فيما يخص الجانب الاجتماعي والجانب الشخصي أيضًا.

١- عن النبي (ﷺ): «... وَ اذْكُرُوا بِجُوعِكُمْ وَ عَطَشِكُمْ فِيهِ جُوعَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَ عَطَشَهُ وَ تَصَدَّقُوا عَلَى فُقَرَائِكُمْ وَ مَسَاكِينِكُمْ وَ وَقِّرُوا كِبَارَكُمْ وَ ارْحَمُوا صِغَارَكُمْ وَ صِلُوا أَرْحَامَكُمْ وَ احْفَظُوا أَلْسِنَتَكُمْ وَ غُضُّوا عَمَّا لَا يَحِلُّ النَّظَرُ إِلَيْهِ أَبْصَارَكُمْ وَ عَمَّا لَا يَحِلُّ الِاسْتِمَاعُ إِلَيْهِ أَسْمَاعَكُمْ وَ تَحَنَّنُوا عَلَى أَيْتَامِ النَّاسِ يُتَحَنَّنْ عَلَى أَيْتَامِكُمْ»[٢٨٨].

٢- وعنه (ﷺ): «... أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ فَطَّرَ مِنْكُمْ صَائِماً مُؤْمِناً فِي هَذَا الشَّهْرِ كَانَ لَهُ بِذَلِكَ عِنْدَ اللهِ عِتْقُ نَسَمَةٍ وَ مَغْفِرَةٌ لِمَا مَضَى مِنْ ذُنُوبِهِ...»[٢٨٩].

٣- عنه (ﷺ): «... أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ حَسَّنَ مِنْكُمْ فِي هَذَا الشَّهْرِ خُلُقَهُ كَانَ لَهُ جَوَازاً عَلَى الصِّرَاطِ يَوْمَ تَزِلُّ فِيهِ الْأَقْدَامُ وَ مَنْ خَفَّفَ فِي هَذَا الشَّهْرِ عَمَّا مَلَكَتْ يَمِينُهُ خَفَّفَ اللهُ عَلَيْهِ حِسَابَهُ وَ مَنْ كَفَّ فِيهِ شَرَّهُ كَفَّ اللهُ عَنْهُ غَضَبَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَ مَنْ أَكْرَمَ فِيهِ يَتِيماً أَكْرَمَهُ اللهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَ مَنْ وَصَلَ فِيهِ رَحِمَهُ وَصَلَهُ اللهُ بِرَحْمَتِهِ يَوْمَ يَلْقَاهُ وَ مَنْ قَطَعَ فِيهِ رَحِمَهُ قَطَعَ اللهُ عَنْهُ رَحْمَتَهُ يَوْمَ يَلْقَاهُ...»[٢٩٠].

---

[٢٨٨] فضائل الأشهر الثلاثة، ص٧٧؛ ينابيع المودة لذوي القربى، ج١، ص١٦٦؛ أمالي الصدوق، ص١٥٤؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣١٤.

[٢٨٩] فضائل الأشهر الثلاثة، ص٧٧؛ ينابيع المودة لذوي القربى، ج١، ص١٦٦؛ أمالي الصدوق، ص١٥٤؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٣١٤.

[٢٩٠] المصادر نفسها.

٤- وعن النبي الأكرم (ﷺ) دعاء يُقرأ بعد كلّ فريضة في شهر رمضان: «اللهم أدخل على أهل القبور السرور، اللهم أغنِ كل فقير، اللهم أشبع كل جائع، اللهم اكسِ كل عريان ، اللهم اقضِ دين كل مدين، اللهم فرّج عن كل مكروب، اللهم رد كل غريب ، اللهم فك كل أسير، اللهم أصلح كل فاسد من أمور المسلمين، اللهم اشفِ كل مريض، اللهم سدّ فقرنا بغناك، اللهم غيّر سوء حالنا بحسن حالك، اللهم اقضِ عنّا الدين وأغننا من الفقر إنّك على كل شيء قدير»[٢٩١].

٥- عن الإمام الصادق (عليه السلام): «إنّما فرض الصيام ليستوي به الغني والفقير، وذلك أنّ الغني لم يكن يجد مس الجوع فيرحم الفقير، لأنّ الغني كلما أراد شيئًا قدر عليه، فأراد الله تعالى أن يسوّي بين خلقه، وأن يُذيق الغني مس الجوع والألم ليرقَّ على الضعيف ويرحم الجائع»[٢٩٢].

٦- عن الإمام الرضا (عليه السلام): «إنّما أمروا بالصيام... ولعرفوا شدّة مبلغ ذلك على أهل الفقر والمسكنة في الدنيا، فيؤدوا إليهم ما افترض الله لهم في أموالهم»[٢٩٣].

---

[٢٩١] الكفعمي، المصباح، ص٦١٧؛ بحار الأنوار، ج٩٥، ص١٢٠.

[٢٩٢] فضائل الأشهر الثلاثة، ص١٠٣؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٧.

[٢٩٣] عيون أخبار الرضا، ج١، ص١٣٢؛ وسائل الشيعة، ج١٠، ص٩؛ بحار الأنوار، ج٩٣، ص٣٧٠.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم.

٢- الإمام علي بن الحسين (عليه السلام)، الصحيفة السجادية الكاملة، خط: حاج عبد الرحيم أفشاري زنجاني، طبع ونشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، طبع حجرية، سنة الطبع: ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش.

٣- ابن حنبل، عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانيّ (ت٢٤١هـ)، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرناؤوط؛ عادل مرشد؛ وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركيّ، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأوّلى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٤- أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيي التميمي (ت٣٠٧هـ)، مسند أبي يعلى، تحقيق: حسين سليم أسد، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، الناشر: دار المأمون للتراث، عدد الأجزاء: ١٣.

٥- ابن شعبة الحرّانيّ، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين(ت٣٨١هـ)، تحف العقول، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ - ١٣٦٣ ش، مؤسسة النشر الإسلاميّ.

٦- أبو الفتح الكراجكي، محمّد بن علي بن عثمان (ت٤٤٩هـ)، معدن الجواهر ورياضة الخواطر، تحقيق: السيد أحمد الحسيني، الطبعة: الثانية، مهر استوار – قم، ١٣٩٤ش.

٧- ابن شهر آشوب، أبو جعفر محمّد بن عليّ بن شهرآشوب بن أبي نصر بن أبي الجيش المازندرانيّ (ت ٥٨٨هـ)، مناقب آل أبي طالب، تصحيح وشرح ومقابلة: لجنة من أساتذة النجف الأشرف، سنة الطبع: ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م، المطبعة: الحيدرية - النجف الأشرف، عدد الأجزاء: ٣.

٨- ابن العربيّ، أبو عبد الله محمد بن علي الحاتميّ الطائيّ(ت٦٣٨هـ)، الفتوحات المكّيّة، مطبعة دار الكتب العربيّة الكبرى- مصر، عدد الأجزاء ٤.

٩- ابن طاووس، رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد(ت٦٦٤ هـ)،

- المجتنى من دعاء المجتبى، تحقيق: صفاء الدين البصري.
- فلاح السائل ونجاح المسائل، تمت تسويد هذه النسخة في غرة شهر صفر المظفر سنة ١٣٢٦.

١٠- ابن فهد الحلي، جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد بن فهد الحلي (ت٨٤١هـ)، عدّة الداعي، تصحيح: أحمد الموحدي القمي، مكتبة وجداني – قم.

١١- ابن أبي الحديد المعتزلي، عزّ الدّين أبو حامد عبدالحميد بن هبة الله بن محمّد بن محمّد بن حسين بن أبي الحديد المدائنيّ(ت٦٥٦هـ)، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمد ابراهيم، الأميرة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، الطبعة الأوّلى ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

١٢- البرقيّ، أحمد بن محمد بن خالد (ت٢٧٤هـ)، المحاسن، تصحيح وتعليق: السيد جلال الدين الحسينيّ (المحدّث)، الناشر: دار الكتب الإسلاميّة – طهران، سنة الطبع: ١٣٧٠ - ١٣٣٠ش، عدد الأجزاء: ٢.

١٣- البيهقيّ، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِرديّ الخراسانيّ (ت ٤٥٨ هـ)، السنن الكبرى، الناشر: دار الفكر.

١٤- البحراني، يوسف بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صالح بن عصفور الدرازي (ت١١٨٦هـ)، الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، مؤسسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرّفة، قام بنشره: الشيخ علي الآخوندي، عدد الأجزاء: ٢٥.

١٥- البروجرديّ، السيد حسين بن السيد علي الطباطبائيّ البروجرديّ (ت١٣٨٣هـ)، جامع أحاديث الشيعة، الناشر: منشورات مدينة العلم- آية الله العظمى الخوئيّ- قم- ايران، المطبعة العلمية – قم، سنة الطبع: ١٤٠٧- ١٣٦٦ش، عدد الأجزاء: ٢٦.

١٦- تحقيق ضياء الدين المحمودي، الأصول الستة عشر من الأصول الأوليّة، تحقيق: تحقيق ضياء الدين المحمودي بمساعدة نعمة الله الجليلي، مهدي غلامعلي، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٢٣- ١٣٨١ش، دار الحديث للطباعة والنشر.

١٧- الحميري القمي، عبدالله بن جعفر بن الحسن بن مالك بن جامع الحميري أبو العبّاس القمّى (ت ٣٠٠هـ)، قرب الاسناد، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٣هـ، المطبعة: مهر– قم، الناشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث– قم.

١٨- الحسين بن سعيد الكوفي الأهوازي (ت: ق٣)، كتاب الزهد، تحقيق: ميرزا غلام رضا عرفانيان، سنة الطبع: ١٣٩٩، المطبعة: العلميّة– قم.

١٩- الحرّ العامليّ، أبو جعفر محمد بن الشيخ الحسن بن علي الحرّ العامليّ (ت١١٠٤هـ)

• تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، الطبعة: الثانية، مطبعة مهر– قم، سنة الطبع: ١٤١٤هـ، عدد الأجزاء: ٣٠.

• الفصول المهمّة في أصول الأئمّة، تحقيق وإشراف: محمد بن محمد الحسين القائينيّ، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ، نكَين- قم، مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا، عدد الأجزاء: ٣.

٢٠- الديلمي، الحسن بن أبي الحسن محمد الدّيلمي (ت: ق٨)، أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث- قم.

٢١- السيّد المرتضى، أبو القاسم علي بن الطاهر أبي أحمد الحسين الموسوي العلوي (ت٤٣٦هـ)، الانتصار، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلاميّ، سنة الطبع: ١٤١٥هـ.

٢٢- السيّد هاشم البحراني الموسوي التوبلي (ت١١٠٧هـ)، حلية الأبرار، تحقيق: الشيخ غلام رضا مولانا البروجردي، مطبعة بهمن، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ، الناشر: مؤسسة المعارف الإسلامية- قم- إيران.

٢٣- الشهيد الثاني، الشيخ زين الدين بن علي الجبعي العاملي(ت٩٦٥ هـ)، رسائل الشهيد الثاني، منشورات مكتبة بصيرتي- قم، طبعة حجرية.

٢٤- الشيخ الحويزي، عبد علي بن جمعة العروسي (ت ١١١٢هـ)، تفسير نور الثقلين، تصحيح وتعليق: السيد هاشم الرسولي المحلاتي، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٤١٢هـ - ١٣٧٠ش، مؤسسة إسماعيليان، عدد الأجزاء: ٥.

٢٥- الشيخ محمد عبده، شرح نهج البلاغة، دار الذخائر- قم – إيران، مطبعة: النهضة– قم، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٢ - ١٣٧٠ش، عدد الأجزاء: ٤.

٢٦- الشيخ هادي النجفيّ، موسوعة أحاديث أهل البيت (عليهم السلام)، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

٢٧- الصنعاني، أبو بكر عبد الرزاق بن همام(ت٢١١هـ)، المصنف، تحقيق وتخريج وتعليق: حبيب الرحمن الأعظم، منشورات المجلس العلمي، الأجزاء:٣.

٢٨- الصفار، بصائر الدرجات، محمد بن الحسن الصفار، (ت٢٩٠هـ)، تصحيح وتعليق وتقديم: الحاج ميرزا حسن كوچه باغي١٤٠٤هـ.

٢٩- الصدوق، أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي(ت٣٨١هـ)،

- الخصال، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، ١٤٠٣هـ.
- من لا يحضره الفقيه، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلميّة في قم المقدّسة، الطبعة: الثانية، سنة الطبع: ١٤٠٤هـ، عدد الأجزاء: ٤.
- الأمالي، مؤسسة البعثة– قم، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ.
- كمال الدين وتمام النعمة، صحّحه وعلّق عليه: علي اكبر غفاري، مؤسّسة النشر الإسلاميّ.
- علل الشرائع، تقديم: السيّد محمد صادق بحر العلوم، سنة الطبع: ١٣٨٦ - ١٩٦٦م، منشورات المكتبة الحيدريّة ومطبعتها- النجف الأشرف، عدد الأجزاء: ٢.
- المقنع، تحقيق: لجنة التحقيق التابعة لمؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام)، سنة الطبع: ١٤١٥، المطبعة: اعتماد، الناشر: مؤسسة الإمام الهادي (عليه السلام).
- ثواب الأعمال وعقاب الأعمال، منشورات الرضا – قم، مطبعة أمير، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٣٦٨هـ ش.
- عيون أخبار الرضا (عليه السلام)، تصحيح وتعليق وتقديم: الشيخ حسين الأعلميّ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، مؤسسة الأعلميّ للمطبوعات- بيروت– لبنان، عدد الأجزاء: ٢.
- معاني الأخبار، صحّحه وعلّق عليه: علي أكبر غفاري، مؤسّسة النشر الإسلامي، سنة الطبع: ١٣٧٩ - ١٣٣٨ هـ ش.

٣٠- الصدر، السيّد محمد مهدي (ت١٣٥٨هـ)، أخلاق أهل البيت (عليهم السلام).

٣١- الطوسيّ، أبو جعفر محمد بن الحسن(ت ٤٦٠هـ)،

- مصباح المتهجد، مؤسسة فقه الشيعة- بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩١م.
- تهذيب الأحكام، تحقيق وتعليق: السيد حسن الموسويّ الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة– طهران، المطبعة: خورشيد، الطبعة: الرابعة، سنة الطبع: ١٣٦٥ش.
- الأمالي، مؤسسة البعثة، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع- قم.

٣٢- الطبرسيّ، أبو الفضل علي بن الشيخ رضي الدين أبي النصر الحسن بن الشيخ أبي علي الفضل بن الحسن بن الفضل(ت٥٤٨هـ)،

- مكارم الأخلاق، منشورات الشريف الرضي، الطبعة السادسة،١٣٩٢هـ- ١٩٧٢م.
- مشكاة الأنوار، تحقيق: مهدي هوشمند، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ، الناشر: دار الحديث.

٣٣- علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي- والد الصدوق- (٣٢٩هـ)، فقه الرضا (عليه السلام)، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث - قم المشرفة، الناشر: المؤتمر العالمي للإمام الرضا (ع)- مشهد المقدسة، الطبعة الأولى، سنة الطبع: شوال ١٤٠٦هـ.

٣٤- عبد الله بن قدامة، أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت٦٢٠هـ)، المغني، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع- بيروت – لبنان، عدد الأجزاء: ١٢.

٣٥- العلّامة الحلي، الحسن بن يوسف بن علي بن المطهّر (ت٧٢٦هـ)،

- نهاية الإحكام في معرفة الأحكام، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مؤسسة إسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع- قم- إيران، الطبعة الثانية، سنة ١٤١٠هـ.
- منتهى المطلب، تحقيق: قسم الفقه في مجمع البحوث الإسلاميّة، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٥هـ، مؤسسة الطبع والنشر في الآستانة الرضويّة المقدّسة، عدد الأجزاء: ٢.

٣٦- علي النمازيّ الشاهروديّ (ت١٤٠٥هـ)، مستدرك سفينة البحار، تحقيق وتصحيح: الشيخ حسن ابن علي النمازيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ، سنة الطبع: ١٤١٨هـ، عدد الأجزاء ١٠.

٣٧- الغزاليّ، أبو حامد محمد بن محمد الغزاليّ الطوسيّ (ت ٥٠٥هـ)، إحياء علوم الدين، الناشر: دار المعرفة– بيروت، عدد الأجزاء: ٤.

٣٨- الفتال النيسابوري، الشيخ أبو علي محمّد بن الحسن بن علي بن أحمد (ت٥٠٨هـ)، روضة الواعظين، تقديم: السيّد محمد مهدي السيّد حسن الخرسان، منشورات الشريف الرضي- قم.

٣٩- الفتني، محمد طاهر بن علي الصديقي الهنديّ (ت٩٨٦هـ)، تذكرة الموضوعات، الطبعة: الأولى، ١٣٤٣هـ، إدارة الطباعة المنيرية-جحك.

٤٠- الفاضل الهندي، بهاء الدين محمد بن الحسن الأصفهاني (ت١١٣٧هـ)، كشف اللثام عن قواعد الأحكام، تحقيق: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤١٨، عدد الأجزاء: ١١.

٤١- القاضي المغربي، أبو حنيفة النعمان بن محمد بن منصور بن أحمد بن حيون التميمي المغربي(ت٣٦٣هـ)، دعائم الإسلام، تحقيق: آصف بن علي أصغر فيضي، الناشر: دار المعارف– القاهرة، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام)، سنة الطبع: ١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م، عدد الأجزاء: ٢.

٤٢- قطب الدين الراوندي، أبو الحسين سعيد بن عبد الله الراوندي (ت٥٧٣هـ)، الدعوات، تحقيق: مدرسة الإمام المهدي (عليه السلام)، المطبعة: أمير– قم، الناشر: مدرسة الإمام المهدي (ع)– قم، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٧هـ.

٤٣- القرطبي، أَبُو عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أبو إسحاق إبراهيم أطفيش، دار إحياء التراث العربي– بيروت– لبنان، سنة ١٤٠٥ – ١٩٨٥م.

٤٤- القندوزيّ، سليمان بن خوجه إبراهيم قبلان الحسينيّ الحنفيّ النقشبنديّ (ت١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة لذوي القربى، تحقيق: سيّد علي جمال أشرف الحسيني، الناشر: دار الأسوة للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى، سنة الطبع: ١٤١٦هـ، عدد الأجزاء: ٣.

٤٥- الكلينيّ، الشيخ محمد بن يعقوب (ت ٣٢٩هـ)، الكافي، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاريّ، الطبعة الثالثة، دار الكتب الإسلاميّة– طهران، سنة الطبع: ١٣٦٧هـ ش، عدد الأجزاء: ٨.

٤٦- الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ)، بدائع الصنائع، المكتبة الحبيبية– باكستان، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م.

٤٧- الكفعمي، تقي الدين إبراهيم بن عليّ بن الحسن بن محمد بن صالح بن إسماعيل الحارثي الهَمْداني العاملي (٩٠٥هـ)، المصباح= جنة الأمان الواقية وجنة الإيمان الباقية، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات– بيروت، الطبعة الثالثة، سنة الطبع: ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.

٤٨- مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (ت ١٧٩هـ)، الموطّأ، صححه ورقّمه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت– لبنان، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م.

٤٩- مصباح الشريعة المنسوب للإمام الصادق (عليه السلام)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان، الطبعة الأولى، سنة الطبع: ١٤٠٠هـ– ١٩٨٠م.

٥٠- المفيد، محمَّد بن محمَّد بن النعمان بن عبد السَّلام الحارثيّ المذحجيّ العكبريّ (ت٤١٣هـ)،

- الاختصاص، صححه وعلق عليه: علي أكبر الغفاري، رتّب فهارسه: السيّد محمد الزرندي، منشورات: جماعة المدرسين– قم المشرفة.
- الأمالي، تحقيق: حسين الأستاد ولي، علي أكبر الغفاري، الطبعة الثانية، سنة الطبع: ١٤١٤هـ– ١٩٩٣م، دار المفيد للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت– لبنان.

٥١- موسوعة كلمات الإمام الحسين (عليه السلام)، لجنة الحديث في معهد باقر العلوم (عليه السلام)، دار المعروف للطباعة والنشر، الطبعة الثالثة، ١٤١٦ – ١٩٩٥ م .

٥٢- النراقيّ، محمّد مهدي بن أبي ذرّ النراقيّ الكاشانيّ (ت١٢٠٩هـ)،

- جامع السعادات، تحقيق وتعليق: السيّد محمد كلانتر، تقديم: الشيخ محمد رضا المظفر، دار النعمان للطباعة والنشر- النجف الأشرف، الطبعة: الرابعة، عدد الأجزاء: ٢.
- مستند الشيعة، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث- مشهد المقدسة، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، عدد الأجزاء: ١٩.

٥٣- المتقيّ الهنديّ، علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهنديّ(ت٩٧٥هـ)، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ضبط وتفسير: الشيخ بكري حياني، تصحيح وفهرسة: الشيخ صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م، عدد الأجزاء: ١٦.

٥٤- المازندرانيّ، مولي محمد صالح (ت١٠٨١هـ)، شرح أصول الكافي، تحقيق: الميرزا أبو الحسن الشعرانيّ، ضبط وتصحيح: السيد علي عاشور، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠ م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، عدد الأجزاء: ١٢.

٥٥- المجلسيّ، محمد باقر(ت١١١١)، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمّة الأطهار، تحقيق: محمد مهدي السيد حسن الموسويّ الخرسان، السيّد إبراهيم الميانجي، محمد الباقر البهبوديّ، الطبعة: الثانية المصحّحة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مؤسسة الوفاء- بيروت- لبنان، عدد الأجزاء: ١١٠.

٥٦- الميرزا النوريّ، حسين الطبرسيّ (ت١٣٢٠هـ)، مستدرك الوسائل، مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، بيروت- لبنان، الطبعة الأولى المحققة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م، عدد الأجزاء: ١٨.

٥٧- محسن الأمين، أبو محمد الباقر محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين بن أبي الحسن موسى بن حيدر بن أحمد بن إبراهيم (ت ١٣٧١هـ)، أعيان الشيعة، تحقيق وتخريج: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات- بيروت- لبنان، عدد الأجزاء: ١٠.

٥٨- محمد الريشهريّ، ميزان الحكمة، تحقيق ونشر: دار الحديث، الطبعة الأولى، عدد الأجزاء: ٤.

٥٩- الهيثميّ، نور الدين علي بن أبي بكر (ت٨٠٧هـ)، مجمع الزوائد، دار الكتب العلميّة- بيروت- لبنان، سنة الطبع: ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، طبع بإذن خاص من ورثة حسام الدين القدسيّ مؤسس مكتبة القدسي بالقاهرة، عدد الأجزاء: ١٠.

٦٠- السيّد محمد باقر الصدر، العمل الصالح في القرآن، مقالة، جريدة "اخترنا لك"، بيروت- دار الزهراء، ١٩٨٢م.

المحتويات

كتاب الطهارة ٣
الطهارة ٥
معنى الطهارة: ٥
عِلَل وعِبَر ٦
١-البول والغائط: ٧
٢- المني: ٨
٣ ـ الدم: ٩
٤ ـ الميتة: ١٠
٥ ـ الكافر: ١٠
٦ ـ الكلب والخنزير: ١٠
٧ ـ الخمر: ١٠
كتاب الصلاة ١٣
البابُ الأوّلُ ١٥
الآدابُ المعنويَّةُ لِلصَّلاةِ ١٥
الفَصْلُ الأوَّلُ ١٧
العَمَلُ فِي نَظَرِ الإسْلامِ ١٧
الدَّوَافِعُ النَّفْسِيّةُ للعملِ ١٩
الأولى: الدافِعُ النَّفْسِيّ الخاصّ ١٩
الثانية: الدافِعُ النَّفْسِيّ العامّ ١٩
قَبولُ الأعمالِ ٢٠
أسبابُ عَدَمِ قَبول الأعمال ٢٠
شروطُ قَبول الأعمال ٢٢
الفصلُ الثاني ٢٣
أسبابُ عدمِ قَبولِ الصلاةِ وتضييعها ٢٥
الأوّل: شُربُ الخمرِ ٢٥
الثاني: الظلمُ ٢٥
الثالث: الإساءةُ ٢٥
الرابع: نُشوزُ الزوجةِ ٢٦
الخامس: الاستخفافُ ٢٦
السادس: الجَهْلُ ٢٨
السابع: الكَسَل ٣٠
شخصيّة الإنسان وانْحراف النَّفْس ٣٢
الثامن: حُبّ الذّات ٣٣
حُبّ الذّات الإسلامِيّ الرسالِيّ ٣٥
الفصل الثالث ٣٧
شروط قبول الصلاة ٣٧
الأوّل: مَعرِفَةُ النبِيِّ(صلى الله عليه وآله) حَقّ المَعْرِفَةِ ٣٧
الثاني: وِلايَةُ أهْلِ البَيْتِ (عليهم السلام) ٣٧
الثالث: اتّباع الحقّ وأهله ٣٩
الرابع: الإقبال والتوجّه ٣٩
الخامس: أداء الزكاة ٣٩
السادس: الأخلاق الحَسَنة ٣٩
السابع: التقوى ٤٠
الفصل الرابع ٤١
مِن ثمار الصلاة ٤١
الثَّمَرَةُ الأولَى: التذكيرُ بِالغَيْبِ ٤١
الثمرة الثانية: النَّهْي عَن الفَحْشاءِ والمُنْكَر ٤٣
المُنكَرات والفواحِش ٤٦

الثمرة الثالثة: التّوازُنُ النَّفْسِيّ ٥٠
الثَمَرَة الرابَعَة: تَربِيَة الإنسانِ وتَكامُلِهِ ٥١
الثَّمَرَةُ الخامِسَةُ: الصِّحَّةُ الجَسَدِيَّةُ ٥٢
الثَّمَرَة السادِسَة: التَّكامُل الاجتِماعِيّ ٥٣
الفصل الأوّل ٥٩
أفعال الصلاة ٥٩
١ – الجانب الصحّيّ ٥٩
٢ – الجانب السلوكيّ: معالجة العجب والكِبر ٥٩
النظرة الموضوعيّة في تقييم النفس ٥٩
الانحراف النفسي والأخلاقي ٦٠
العجب ٦٠
التكبر ٦٠
الأولى: الضعف والوهن الذاتي ٦٢
الثانية: الضعف والعجز أمام بلاء الدنيا ٦٢
الثالثة: الضعف والعجز التامّ أمام الله تعالى ٦٢
الرابعة: محاسن التواضع والمتواضعين ٦٣
الخامسة: تربية النفس ٦٤
معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعراج المصلّي ٦٦
الجهة الأولى: تلاوات الصلاة ٦٦
الجهة الثانية: العروج المقدس ٦٦
الأولى: التخلّي عن علائق الدنيا ٦٦
الثانية: العروج ٦٦
الثالثة: خرق الحجب ٦٦
الرابعة: التكلّم والمناجاة ٦٧
الخامسة: تجلي نور الكبرياء ٦٧
السادسة: تجلّيات إضافية ٦٧
السابعة: التشريف والتكريم ٦٧
الثامنة: السلام على المقربين ٦٧
الجهة الثالثة: معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ومعراج المصلّي ٦٧
المحطّة الأولى: طهور الصلاة ٦٨
المحطّة الثانية: التوجّه للمسجد والمحراب ٧٠
المحطة الثالثة: الأذان والإقامة ٧٠
الأمر الأوّل: الآذان والإقامة في معراج النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ٧٠
الأمر الثاني: الآذان والإقامة في معراج المصلّي ٧٣
المحطة الرابعة: التكبير ٧٥
الأمر الأول: التكبير في معراج النبيّ(صلّى الله عليه وآله وسلّم) ٧٥
الأمر الثاني: التكبير في معراج المصلّي ٧٦
المحطّة الخامسة: القراءة ٧٧
الأمر الأوّل: القراءة في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) ٧٨
الأمر الثاني: القراءة في معراج المصلّي ٧٨
المحطة السادسة: الركوع ٨١
الأمر الأوّل: الركوع في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلم) ٨١
الأمر الثاني: الركوع في معراج المصلّي ٨١
المحطة السابعة: السجود ٨٣
الأمر الأوّل: السجود في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ٨٣
الأمر الثاني: السجود في معراج المصلّي ٨٤
المحطة الثامنة: التشهّد والتسليم ٨٦
الأمر الأول: التشهّد والتسليم في معراج النبيّ (صلّى الله عليه وآله وسلّم) ٨٦
الأمر الثاني: التشهّد والتسليم في معراج المصلّي ٨٧
الأولى: التشهّد ٨٧

الثانية: التسليم: (السلام عليكم ورحمة الله وبركاته) ٨٨
روح الصلاة ٩٠
المعاني الباطنة للصلاة ٩١
الأوّل: الإخلاص ٩٦
الثاني: حضور القلب: ١٠٥
الثالث: خشوع الصلاة ١٠٨
الرابع: التفهّم ١١٢
الخامس: التعظيم ١١٣
السادس: الهيبة والخوف ١١٣
السابع: الرجاء ١١٤
الثامن: الحياء ١١٤
الفصل الثاني ١١٦
الصبر والاصطبار ١١٧
الأوّل: الصبر على المصائب ١١٧
الثاني: الصبر على النعم ١١٧
الثالث: الصبر عن المعاصي ١١٨
الرابع: الصبر على الطاعات ١١٨
الوصول إلى درجة المتّقين والصدّيقين ١٢١
كتاب الصوم ١٢٥
العبادة وتكامل الفرد والمجتمع ١٢٧
الصوم وشهر رمضان ١٢٩
الأوّل: مستوى الشخص والفرد ١٢٩
الثاني: المستوى الاجتماعي ١٣٤
المصادر والمراجع ١٣٧
المحتويات ١٤٤